الأدب الإسلامي ٢٤

العدد الرابع والعشرون - ١٤٢٠هـ

قضية المصطلح.. في النقد الأدبي الإسلامي

عبده زايد

أيهما السابق.. في التجديد ونظم الشعر؟

أ.د. يوسف عز الدين

خصائص الأدب الإسلامي في مطولة إقبال

د. عبد الباسط بدر

***

د. شكري عياد وخدمة التراث

د. سعد أبو الرضا

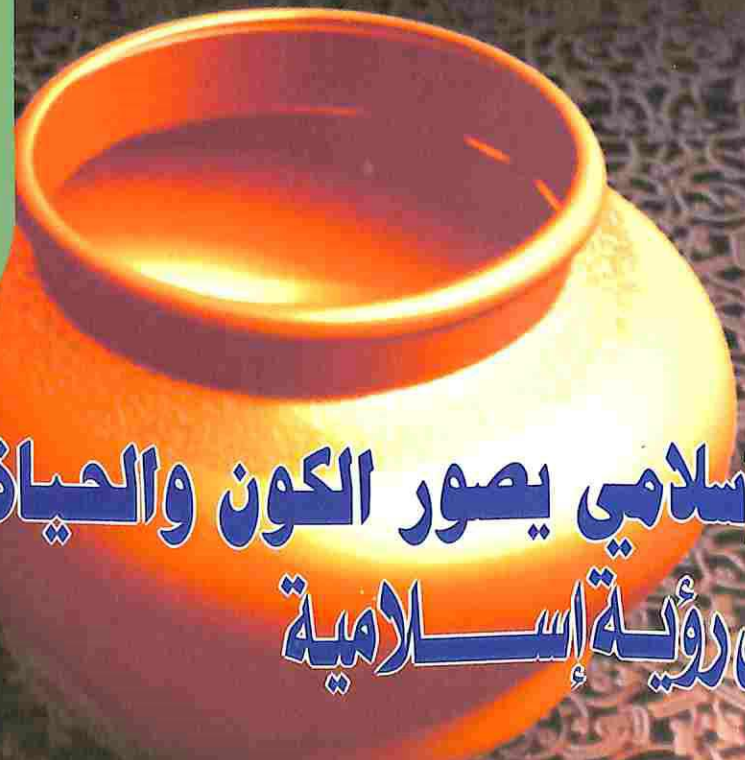

الأدب الإسلامي يصور الكون والحياة والإنسان من خلال رؤية إسلامية

أ.د. أحمد هيكل

المنهل

المجلة السعودية الأم

مجلة شهرية للآداب والعلوم والثقافة

أسسها الشيخ عبد القدوس الأنصاري ـ يرحمه الله ـ عام ١٣٥٥ هـ (١٩٣٧م)

■■ صدر أول عدد منها في المدينة المنورة. ثم انتقلت إلى مكة المكرمة ـ ثم إلى جدة، حيث مقر دارتها الحالي.

■■ تهتم «المنهل» بنشر المعارف الإنسانية، ويعتبر دورها تأصيلاً في حركة الفكر والمعرفة.

■■ كان لها دورها الفاعل في توثيق الحركة الفكرية والأدبية والعلمية في المملكة العربية السعودية بخاصة، والعالم العربي بعامة.

■■ تابعت ووثقت نهضة المملكة العربية السعودية في كل المجالات.

■■ تفردت «المنهل» بنشر عددسنوي خاص يتناول موضوعاً واحداً يتميز بوحدة الموضوع والطرح الفكري.

■■ يرأس تحريرها حالياً، صاحبها الأستاذ نبيه بن عبد القدوس الأنصاري.

■■ وفرت «المنهل» للدارسين والباحثين والقراء مجموعة أعدادها الكاملة في ٧٢ مجلداً قيماً من ١٣٥٥ هـ إلى ١٤١٨ هـ، حددت لها سعراً رمزياً مساهمة منها في إثراء حركة الفكر والمعرفة.

العنوان: ص. ب ٢٩٢٥ جدة ٢١٤٦١ ـ المملكة العربية السعودية

افتتاحية

واكتمل عام الحزن!

سماه بعض الناس عام الحزن.. وصدقوا!..

فقد تخطف الموت في هذا العام عدداً من أكابر العلماء، لاتكاد الأمة تجد مثيلاً لهم ولاعوضاً عنهم.

وكان آخر الراحلين في قافلة العلماء، سماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي، الذي أقل مايوصف به أنه كان بركة العصر، وحكيم الهند،والركن الركين لرابطة الأدب الإسلامي العالمية.

فأما أنه «بركة العصر» فيكفي أن نستحضر ماقاله فيه فضيلة الشيخ يوسف القرضاوي، إذ وصفه بقوله:

«وآتاه الله القلب الحي، والعاطفة الجياشة بالحب لله العظيم، ولرسوله الكريم، ولدينه القويم؛ فهو يحمل بين جنبيه نبعاً لايغيض، وشعلة لاتخبو، وجمرة لاتتحول إلى رماد.

هذا القلب الحي، يعيش مع الله في حب وشوق، راجياً خائفاً، راغباً راهباً، يحذر الآخرة، ويرجو رحمة ربه، كما يعيش في هموم الأمة على اتساعها، ويحيا في آلامها وآمالها، لايشغله هم عن هم، ولابلد عن آخر، ولافئة من المسلمين عن الفئات الأخرى».

وأما أنه حكيم الهند فقد استطاع بحكمته وحنكته، وبمنهجه الفريد في الاعتدال والبعد عن الغلو أن ينجي المسلمين في الهند وهم وسط جزيرة من الأعداء الحاقدين، وأقام جمعية «رسالة الإنسانية» فاستطاع أن يستل بها حقد كثير من الهندوس المتعصبين الذين انضموا إلى هذه الحركة، وفيهم عدد كبير من ذوي المناصب العالية والمكانة المرموقة.

وأما أنه عماد رابطة الأدب الإسلامي العالمية وركنها الركين، فهو الذي سارت رابطة الأدب الإسلامي ببركة دعائه، وحكمته وتوجيهه، رعاها وليدة، وغذاها ناشئة، وظل يتعهدها بعد أن بلغت أشدها، وبعد أن أصبحت ثغراً من ثغور الإسلام،وحصناً من حصونه المنيعة، لن يؤتى الإسلام من قبله إن شاء الله تعالى.

ولقد دُعي - رحمه الله - إلى رئاسة الرابطة فاستجاب بحماسة بالغة، وكان أحب شيء إليه أن يحضر لقاءاتها، ويشهد ندواتها ومؤتمراتها. ولم يتخلف قط عن دورة من دورات مجلس أمناء الرابطة، ولا عن مؤتمر من مؤتمرات الهيئة العامة، على ماكان يلقاه من مشقة السفر ووطأة المرض الذي ثقل عليه حتى أقعده عن مؤتمر الهيئة العامة الخامس في الصيف الماضي.

وإنما انتشرت مكاتب الرابطة العشرة في أنحاء العالم العربي والإسلامي بفضل شيخ الرابطة ومكانته، ولاطمئنان الحكام والمسؤولين إلى نهجه القويم وحكمته البالغة.

ولقد كان مما أسر به إليّ عندما دُعي إلى الدورة الأخيرة للمجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي قوله: «أدعو الله أن يلهم الحكام والمسؤولين في العالم العربي والإسلامي أن يجعلوا من الأدب الإسلامي وسيلة لإيجاد جيل مؤمن بالله، متمسك بأخلاقه الإسلامية، معتز بدينه القويم وتراثه العظيم».

اللهم ارحم شيخنا الجليل وأسكنه فسيح جناتك.. اللهم لاتحرمنا أجره ولاتَفْتِنّا بعده.

رئيس التحرير

الأدب الإسلامي

رابطة الأدب الإسلامي العالمية

UNIVERSAL LEAGUE OF ISLAMIC LITERATURE

مجلة فصلية

تصدر عن:

رابطة الأدب الإسلامي العالمية

■ المجلد السادس ـ العدد الرابع والعشرون ١٤٢٠ هـ

المشرف العام:

أبو الحسن علي الندوي

رئيس التحرير:

د. عبدالقدوس أبو صالح

نائب رئيس التحرير:

الفريق يحيى المعلمي

مدير التحرير:

د. سعد أبو الرضا

مستشارو التحرير:

د. محمد زغلول سلام

د. عبده زايد

د. علي الخضيري

هيئة التحرير:

د. عبدالباسط بدر

د. حسين علي محمد

حبيب معلا المطيري

د. عدنان النحوي

عبد التواب يوسف

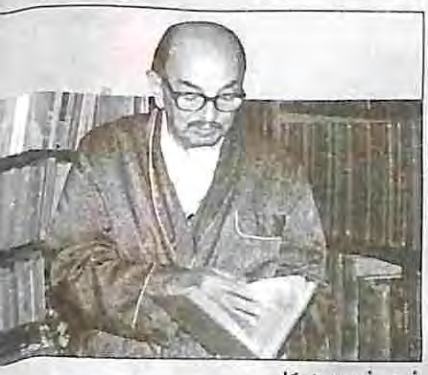

أ. د. أحمد هيكل

المقالات والبحوث	٤
الإبداع	١٥
ردود ومناقشات	٧٤
الأقلام الواعدة	٨٠
من أخبار الأدب الإسلامي	٨٧
الورقة الأخيرة	١٠٠

□□ الصف وأعمال التصميم والتنفيذ:

مناجرافيك القاهرة ـ هاتف وفاكس: ٣٢٦٠٦٠٣ ـ ٣٢٧٣١٣٩

□□ طبع هذا العدد في مطابع..

مؤسسة الرسالة

بيروت ـ وطي المصيطبة ـ بناء عبد الله سليت

تلفاكس: ٨١٥١١٢-٣١٩٠٣٩-٦٠٣٢٤٣

البريد الإليكتروني: Resalah@Cyberia.net.lb

■■ المراسلات:

□□ السعودية ـ الرياض: ١١٥٣٤
ص.ب ٥٥٤٤٦

هاتف وفاكس: ٤٧٩٣٢٣٤ ـ ٤٠٣٦٠٨٢

فهرس الأدب الإسلامي

■■ المقالات والبحوث:

- الافتتاحية: واكتمل عام الحزن. رئيس التحرير ١
- قضية المصطلح في النقد الأدبي الإسلامي. د. عبده زايد ٤
- أيهما السابق في التجديد ونظم الشعر الحديث. أ.د. يوسف عز الدين ١٦
- خصائص الأدب الإسلامي في مطوّلة إقبال. د. عبد الباسط بدر ٢٠
- دراسة نص شعري: «الحب والصحراء».. لذي الرمة. د. عبده بدوي ٣٠
- لقاء العدد: الأستاذ عبد التواب يوسف. التحرير ٣٨
- قراءة في قصة «مازلت على قيد الحياة».. لحيدر قفة. أ. د. مصطفى عليان ٤٨
- د. شكري عياد.. وخدمة التراث. د. سعد أبو الرضا ٥٤
- من ثمرات المطابع: حوار مع الأديب والشاعر.. د. أحمد هيكل. محمد عبد الشافي القوصي ٦٦

■■ الإبداع:

- تحية للشيشان «شعر». محمد الحسناوي ١٥
- إلى مصر.. تحية ووفاء «شعر». د. عدنان النحوي ٢٦
- في المرآة «قصة قصيرة». يوسف الغزو ٢٩
- مازلت على قيد الحياة «قصة قصيرة». حيدر قفه ٤٦
- الفارس «شعر». عبد الكريم المشهداني ٥٣
- كسوة العيد «مسرحية». علي أحمد باكثير ٥٦
- بل أنت «شعر». حيدر الغدير ٥٩
- قصة من البطولات الأفغانية في الجهاد «قصة قصيرة». د. محمد أمان صافي ٦٠
- من تراث الشعر: فخر وكلمة. دعبل الخزاعي ٦٤
- من تراث النثر: قصور همم الكُتّاب. ابن قتيبة ٦٥
- الباب الذي لايغلق «قصة قصيرة». حسين العصفوري ٨٦
- اللباب «شعر». أحمد محمود مبارك ٩٩

■■ ردود ومناقشات:

- مرة أخرى: تعقيب على قصيدة «دموع من أجل ليلى».. قدر وعفة. سليم عبد القادر ٧٤

■■ مكتبة الأدب الإسلامي:

- السحار: رحلة إلى السيرة النبوية تأليف: محمد جبريل. عرض د. حسين علي محمد ٧٢
- القصائد الإسلامية الطوال في العصر الحديث. تأليف: د. حلمي القاعود. عرض فرج مجاهد عبد الوهاب ٧٣

■■ الأقلام الواعدة:

- قراءة في بريد الأقلام الواعدة. د. حسين علي محمد ٨٠
- هم قادمون «قصة». عبد الله بن معدي القحطاني ٨٢
- أرحنا بها يابلال «شعر». عبد العظيم فوزي ٨٣
- من محراب الظلام«شعر». علي بن جبريل ٨٤
- مرآة في وجه الزمن «شعر». بكر موسى هوساوي ٨٤
- مفاتح الفجر «شعر». محمد أمين البساطي ٨٥

■■ أخبار الأدب الإسلامي: إعداد: شمس الدين درمش

- رسالة شكر من الشيخ أبو الحسن للأمير سلطان بن عبد العزيز. ٨٧
- والأمير سلطان يرد. ٨٧

□□ من أخبار أعضاء الرابطة:

- تكريم د. عبد الباسط بدر في إثنينية الشيخ عبد المقصود خوجة. ٨٨
- درجة الماجستير لسحر أشقر. ٨٨

□□ أخبار المكاتب:

- ندوة تكريم المجذوب والزرقا والطنطاوي.. بمكتب عمان. ٨٩
- البقاء لله. ٩٢
- من إصدارات أعضاء الرابطة. ٩٣
- كتب وصلت إلى المجلة. ٩٤

■■ بريد الأدب الإسلامي:

- الأدب الإسلامي تخاطب العقل والقلب والضمير. محمد بن زعبار ٩٦
- تفتح صدورها للكلمة المجنحة الطاهرة. محمد سعيد سالم ٩٦
- قالوا عن المجلة. ٩٦
- فليبارك الله «الأدب الإسلامي». أ. د. نبيل سليم علي ٩٧
- أجد في مجلتكم الطود الأشم. عبد العزيز بن محمد اليحيان ٩٨

■■ الورقة الأخيرة:

- «التناص» في رأي ابن خلدون. محمد طه حسين ١٠٠

■■ كشاف مجلة الأدب الإسلامي

- فهرس الموضوعات. التحرير ١٠١
- فهرس الكُتاب. التحرير ١٠٩

■■ أسعار بيع المجلة

دول الخليج : ١٠ ريالات سعودية أو ما يعادلها ـــ الأردن: دينار واحد ـــ مصر : ٣ جنيهات ـــ سورية : ٥٠ ليرة ـــ لبنان : ٢٥٠٠ ليرة ـــ المغرب العربي : ١٠ دراهم مغربية أو مايعادلها ـــ اليمن : ٢٥٠ ريالاً ـــ السودان : ٥٠ جنيهاً ـ الدول الأوربية : مايعادل دولارين .

■■ الاشتراكات :

للأفراد : ما يعادل ١٥ دولاراً في البلاد العربية . و ٢٥ دولاراً خارج البلاد العربية .للمؤسسات والدوائر الحكومية : ما يعادل ٣٠ دولاراً .

دراسة

قضية المصطلح في النقد الأدبي الإسلامي

■ د. نجيب الكيلاني

■ د. عماد الدين خليل

إذا كان الأدب الإسلامي ينتمي إلى دائرة الفنون فإن النقد الأدبي الإسلامي ينتمي إلى دائرة العلوم، ولا يكون العلم علماً إلا إذا قام على أصول وضوابط، تمثل مرجعية للمشتغلين به، ولعلنا لانعدو الحقيقة إذا قلنا: إن المصطلح في أي علم من العلوم هو أهم مايحرص عليه المشتغلون بهذا العلم، ولايصير العلم علماً إلا إذا توافرت له مجموعة متكاملة متجانسة من المصطلحات، تمثل مفاهيمه الأساسية، ومع أن هذه مسألة بدهية فإننا حتى هذه اللحظة لم نعط قضية المصطلح في النقد الأدبي الإسلامي ما تستحقه من الاهتمام.

بقلم الدكتور:

عبده زايد

■■ عماد الدين خليل:

إن مصطلح النقد الأدبي الإسلامي طرح في سياق مصطلح الأدب الإسلامي ومصطلح الفن الإسلامي، وربما كان أول كتاب يحمل عنوان «النقد الإسلامي» هو كتاب «في النقد الإسلامي المعاصر» للدكتور عماد الدين خليل، الذي صدرت طبعته الأولى عن مؤسسة الرسالة ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢م، ومع أنه مصطلح غير دقيق،لأن النقد الإسلامي يمكن أن يكون نقداً أدبياً ونقداً فنياً(حتى يستوعب الفنون التعبيرية الأخرى) ونقداً اجتماعياً .. إلى غير ذلك من جوانب الحياة التي تحتاج إلى أن تنقد من وجهة نظر إسلامية، أقول على الرغم من ذلك فإن الكتاب بدلالته - لا بدقة مصطلحه - كان خطوة على الطريق الطويل في عالم النقد الأدبي الإسلامي، لكن هذه الخطوة الرائدة والجادة لم تصحبها أي عناية بالمصطلح، فلم يحاول الدكتور عماد الدين خليل أن يلقي الضوء على مشكلة المصطلح نظرياً، ولم يبذر بذرة مصطلحات النقد الأدبي الإسلامي عملياً.

محمد إقبال عروي

ولما أخرج كتابه الثاني في هذا المجال وهو «محاولات جديدة في النقد الإسلامي»الذي صدر عن مؤسسة الرسالة ١٤٠١ هـ/١٩٨١م لم يتغير الأمر في شيء، ناهيك عن كتبه الأخرى ومقالاته النظرية والتطبيقية في ميدان النقد الأدبي الإسلامي الذي عالج به أعمالاً أدبية غير إسلامية برؤية إسلامية(١).

صحيح أنه استعمل مصطلحات يمكن أن تنتمي إلى شجرة مصطلحات النقد الأدبي الإسلامي مثل: الأدب الإسلامي، والفن الإسلامي، والإسلامية، والتوازن، والواقعية الإسلامية .. الخ،

ولكن هذه المصطلحات التي استعملها هو وغيره من النقاد الإسلاميين كانت مصطلحات عامة فخصصوها بصفة «الإسلامية» ومن ذلك الأدب (الإسلامي) والمسرح (الإسلامي) والشعر (الإسلامي) وأدب الأطفال(الإسلامي).. وهكذا، وهذه الأسلمة للفنون والمصطلحات الأصول على أهميتها - يجب أن تكون البذرة التي ينبغي أن نتعهدها بالعناية والرعاية، حتى تثمر مصطلحاتها الخاصة.

ولم يكن د. عماد الدين خليل بدعاً في عدم العناية بمصطلحات النقد الأدبي الإسلامي، فإن أكثر من يخوضون لجة هذا النقد،لايحرصون على إثارة هذه القضية ومعالجتها، على أهميتها وخطورتها.

■■ نجيب الكيلاني:

لكن على الجانب الآخر وجدنا عدداً قليلاً من النقاد الإسلاميين يلتفتون إلى هذه القضية نظرياً أو عملياً، فالدكتور نجيب الكيلاني - رحمه الله - أثار هذه القضية في كتابه «مدخل الى الأدب الإسلامي» الذي صدر في سلسلة «كتاب الأمة» بقطر ١٤٠٧ هـ حينما خصص لها بضع صفحات في نهاية الكتاب، ووضع لها عنوان «مصطلحات جديدة للأدب الإسلامي» لكنه استهلك أغلب هذه الصفحات في بيان الفوضى والاضطراب والاختلاط الذي أصاب المصطلحات النقدية المتداولة في النقد الأدبي المعاصر وتاريخ الآداب العالمية، وكشف عن ارتباطها بمناسبات وأيديولوجيات ولغات معينة . وقد وقف عند مصطلحات جديدة للأدب الإسلامي، لها ارتباط وثيق بتراثنا وبالتجارب الأدبية والتاريخية التي مرت بنا وبالعقيدة التي نؤمن بها، بدلاً من العيش في ظل المصطلحات الأجنبية المستوردة التي كان لها أعمق وأخطر الأثر في انحراف مسيرتنا الأدبية(٢).

ثم يقول عن المصطلحات المتداولة الآن: «إننا جميعا نردد هذه

المصطلحات ونحاول أن نلبسها الزي العربي أو الإسلامي، وإذا كان هذا اضطراراً في بداية النهضة الأدبية، فإنه اليوم بات حراماً إن صح التعبير، وعلينا أن نجد في البحث عن مصطلحات جديدة(٣)

إن هذه الصرخة الحادة التي أطلقها د. نجيب الكيلاني لم تستغرق من كتابه الصغير الحجم أكثر من صفحة، فهل وجدت صداها عند النقاد الإسلاميين؟!

●● صرخة في واد:

إنني لم أجد لهذه الصيحة من الصدى ما تستحقه، لاعند د/نجيب ولاعند غيره،مع أنه صور البحث عن المصطلحات الجديدة بأنه بحث عن شخصية مستقلة وأنه ختم صيحته بقوله:«ولن تتضح ملامح الأدب الإسلامي أو تستكمل إلا بالاهتمام بهذا الجانب الحيوي .. جانب المصطلحات الخاصة بأدبنا الإسلامي(٤)

إننا بدلاً من البحث عن المصطلح الجديد الذي يتناسب مع «الأدب الإسلامي» والنقد الإسلامي رحنا نردد مصطلحات المذاهب النقدية الغربية!

فمنا من يعتمد المصطلحات النقدية القديمة، كالكلاسيكية والرومانسية والواقعية وما شاكلها اعتماداً على أننا يجب أن ننفتح على هذه المذاهب ونتعامل معها ونفيد منها.

ومنا من تبنى مذهباً بعينه أو نظرية أو منهجاً، واعتمد على مفاهيمه ومصطلحاته.

●● مصطلحات النظرية الحجاجية:

فهذا ناقد يتخذ من النظرية الحجاجية كما وجدها عند أزفالد ديكرو وتلاميذه مذهباً ومن ثم يتعامل مع مصطلحاتها كالاستراتيجية الخطابية وتعالق الروابط والبرنامج الحجاجي وغير ذلك من مصطلحات النظرية، ولابأس عنده أن ينظر إلى القرآن الكريم في ضوء هذه النظرية ومصطلحاتها(٥)

●● مصطلحات نظرية الوساطة:

وهذا ناقد يتخذ من نظرية الوساطة كما جاءت عند رني جيرار مذهباً ينطلق منه في المفاهيم والمصطلحات، ولابأس عنده أن يحلل قصة يوسف عليه السلام في ضوء النظرية(٦)

ويتكرر هذا الاتجاه مع مذاهب ومناهج أخرى وفي مقدمتها الأسلوبية؛ فكثيراً ما تستخدم مفاهيمها ومصطلحاتها في معالجة النصوص الإسلامية وفي مقدمتها القرآن الكريم.

ولست أدري كيف يمكن أن يقوم نقد إسلامي بهذا الخلط العجيب من المصطلحات والمفاهيم التي تنطلق من أصول غريبة لم تبرأ من ركائزها العقدية المنافية للإسلام.

●● الوعي بمأزق المصطلح:

■ د. طه حسين

وإذا كان بعض نقادنا لايلتف إلى الأصول الفكرية والفلسفية والعقدية للمصطلح وهو يستخدمه في سياق نقد الأدب الإسلامي، فإن هناك من يعي هذه الأصول وعياً جيداً، ومن ثم يجد نفسه في مأزق حقيقي فيبحث له عن مخرج.

إن د. إدريس الناقوري اعتنق مذهب «الوساطة» الذي استهواه منذ أكثر من عقدين من الزمان وقدم فيه رسالة جامعية هي : «نظرية الوساطة في الفن القصصي» ثم وسع دائرة الوساطة لتشمل الفكر التاريخي والسياسي والديني والاقتصادي، بالإضافة إلى حياتنا الثقافية والاجتماعية والأدبية والعلمية واستخدم في دراسته لهذه النظرية المنهج الأنثروبولوجي(٧) لأنه في نظره أنسب المناهج لدراسة هذه النظرية، فهو «منهج يحاول أن يدرس الثقافات والتراثات المختلفة برؤية تختلف عن المناهج الأخرى «وهو في هذا يتفوق على المنهج النفسي والمنهج الاجتماعي والمنهج الظاهراتي والمناهج اللغوية واللسانية(٨).

وكان من الطبيعي أن يستخدم المصطلحات الأصول في نظرية الوساطة وهي: الذات والموضوع والوسيط، بالإضافة لمصطلح مهم جداً في هذه النظرية وهو مصطلح «الرغبة»، ولأنها تقوم على العناصر الثلاثة الماضية سميت «الرغبة المثلثة» (٩).

ولم يكن د. إدريس الناقوري يستخدم نظرية الوساطة والمنهج الأنثروبولوجي - وهما من إفرازات الثقافة الغربية المسيحية - في تحليل الحياة المعاصرة بمختلف جوانبها، وإنما عاد إلى القرآن الكريم والحديث الشريف ليطبق عليهما نظرية الوساطة باستخدام المنهج الأنثروبولوجي.

ولأن د. إدريس رجل مسلم وليس عنده استعداد لأن يضحي بثوابته الإسلامية في سبيل هذه النظرية وهذا المنهج فإنه وجد نفسه في مأزق حقيقي.

فالنظرية والمنهج يحملان بصمة العقيدة النصرانية، وهما بمفاهيمهما ومصطلحاتهما ونتائجهما قد يصطدمان بالتصور الإسلامي.

وقد حاول د. إدريس الناقوري أن يفصل بين نظرية الوساطة المثلثة ونظرية التثليث المعروفة في المسيحية، فنظرية الوساطة المثلثة لاينبغي أن تلتبس من الناحية المنهجية والنقدية مع فكرة أخرى مسيحية لاصلة لها بفكرنا وتقاليدنا الإسلامية، لأنها مرفوضة عقدياً، وترفض أيضا على مستوى المعاملات والتطبيق الاجتماعي. ولكن من الناحية الفكرية تبقى هذه النظرية القائمة على الرغبة المثلثة.(١٠) أي أنه هنا ينظر إلى نظرية الوساطة التي تحمل بصمة التثليث باعتبارها نظرية أدبية ثقافية، لا باعتبارها عقيدة مسيحية وفكراً مسيحياً، فاذا قرأ رني جيرار صاحب النظرية تراثه بمنظور مسيحي تثليثي في ضوء نظريته المثلثة فإن د. إدريس يمكن أن يقرأ تراثه الإسلامي في ضوء نفس النظرية، واذا كان رني جيرار منسجما مع نفسه حينما جعل التثليث جوهر النظرية كما هو جوهر العقيدة المسيحية التي تمثل ركيزة من ركائز الحضارة الغربية فإننا لابأس من أن نفقد هذا الانسجام، لأننا سوف نأخذ بالتثليث في الثقافة والفكر ونرفضه في الدين، ونحاول أن نقيم انسجاماً ما بين تثليث النظرية وتوحيد العقيدة !!

والمأزق الذي وجد نفسه فيه باستخدام النظرية تكرر معه في استخدام مصطلحاتها.

فمصطلح «الوسيط» أطلقه د. إدريس على آدم عليه السلام في قصة الخلق، وعلى الأنبياء جميعاً عليهم السلام باعتبارهم الأسوة والقدوة والنموذج والمثال ـ وهذا معنى من معاني الوساطة.

وهنا وجد نفسه أمام مشكلة، فكيف يستبدل بمصطلح النبي والرسول مصطلح الوسيط ولأن د. إدريس لايريد أن يضحي بمعتقداته وثوابته ولايريد في الوقت نفسه أن يضحي بالنظرية التي ملأت عليه أقطار نفسه فقد عرض هذه النظرية على بعض الباحثين في كليات الشريعة في بعض البلاد العربية، وهنا وجد معارضة كما يقول، فالرسول رسول وليس وسيطا، فقال لهم: «لا مشاحة في الاصطلاح، ولاشيء يمنع مادام الرسول عليه السلام هو الرسول فهو بالنسبة إليّ وسيط لأنه القدوة».(١١)

ومصطلح الوسيط الذي لم ير بأسا في أن يطلق على الرسل جميعاً حسب نظرية الوساطة المثلثة يطلق أيضاً على الشيطان، وعلى العشيق في قصة «الزواج الأبدي» لدستويفسكي(١٢)، فالوسيط قد يكون وسيط خير وقد يكون وسيط شر.

●● المصطلح الديني والمصطلح الأدبي:

وهو هنا يفرق بين المصطلح الديني والمصطلح الأدبي(١٣)

، فإطلاق مصطلح البطل أو الوسيط على النبي والرسول يأتي في مجال التحليل تحقيقاً للمصداقية المنهجية(١٤) دون أن يمس ذلك بقداسة الأنبياء عليهم السلام.

وقد جره هذا الفصل بين ماهو ديني وماهو أدبي في النص الواحد مع إقراره أنه يصعب في كثير من الأحيان الفصل بينهما(١٥) إلى تفسير عمل د. محمد أحمد خلف الله في القصص القرآني تفسيراً مقبولاً، لأنه درس القصة القرآنية دراسة أدبية(١٦) لادراسة دينية . وكلنا يعرف ما أحدثته هذه الرسالة من ضجة في مصر لاحتوائها على القول بأن في القرآن أساطير، ولم يشفع لصاحبها ولا للمشرف على الرسالة حجتهم بأن هذه الدراسة للقصص القرآني دراسة فنيه لا دراسة دينية.

■■ لايصير العلم علماً إلا إذا توافرت له مجموعة متكاملة متجانسة من المصطلحات تمثل مفاهيمه الأساسية .

كما جره إلى الفصل بين ماهو ديني وما هو أدبي إلى قوله عن سورة الشعراء : «ففي نظري هذه السورة الكريمة عندما يقرؤها الإنسان يحس وكأنها قصيدة في منتهى الروعة والجمال لأنها تضعنا أمام قطعة موسيقية فيها لازمة تتكرر(١٧) فإحساسه بأنه أمام قطعة موسيقية وكأن السورة قصيدة في منتهى الروعة والجمال إحساس أدبي، واعتقاده أن القرآن ليس بشعر وما هو بقول شاعر اعتقاد ديني، ولا ينبغي أن نخلط بينهما في رأيه.

وهذا يذكرنا بما ادعاه د. طه حسين أمام وكيل النيابة وهو يحقق معه في قضية كتابه «الشعر الجاهلي» المشهور، فقد قرر في التحقيق أنه كمسلم لايرتاب في وجود إبراهيم وإسماعيل، وما يتصل بهما مما جاء في القرآن الكريم، ولكن كعالم مضطر إلى أن يذعن لمناهج البحث فلا يسلم بالوجود التاريخي لإبراهيم وإسماعيل. وقد نشر د. طه هذا المعنى على الملأ في مقال تحت

عنوان «العلم والدين» نشر في العدد(١٩) من جريدة السياسة الأسبوعية الصادر في ١٩٢٦/٧/١٧م.

وشبيه بذلك أيضاً ما أورده عبد الرحيم محمد عبد الرحيم في بحثه «أزمة المصطلح النقدي في النقد القصصي» حيث قال: «ومن الأمثلة التي يبدو فيها تعدد المفاهيم الاصطلاحية التي يحملها شكل اصطلاحي واحد أن نقاشاً حاداً احتدم مؤخراً بين المشاركين في أحد المهرجانات الأدبية عندما أطلق أحد المتحدثين كلمة «أسطورة» على بعض الأقاصيص القرآنية، ولم يرض بذلك بعض الحاضرين، فاحتجوا على وصفه للقصة القرآنية بهذه الصفة، ولم يكن يقصد هو من المصطلح ما أخذوه به، وإنما كان يفهم من لفظ الأسطورة غير ما يفهمون(١٨) فهم في نظره قد فهموا المعنى الديني لمصطلح «الأسطورة»، وهو أراد المعنى الأدبي !!

وهكذا تتجسد أمامنا أزمة المصطلح واستخدامه في النقد الأدبي.

وأنا هنا اخترت د. إدريس الناقوري ـ كنموذج ـ لأنه عضو في رابطة الأدب الاسلامي العالمية، وعضو الهيئة الاستشارية لمجلة المشكاة التي تعنى بالأدب الإسلامي، ولأنه ـ وهذا مهم جداً ـ يقدم على أن يؤصل لمنهج إسلامي في النقد الروائي(١٩)، ولأنه أيضا على وعي بالمشكلات المترتبة على استخدام نظرية الوساطة، والمنهج الأنثروبولوجي ومصطلحاتهما الأساسية في دراسة النصوص الدينية ونصوص الأدب الإسلامي، وأنه حاول قدر طاقته أن يستفيد من النظرية والمنهج ويتجنب المحاذير، فهو على هذا يتعامل مع النظرية والمنهج بوعي إسلامي وحذر شديد، ومع كل هذا تظل المخاطر قائمة والمنزلقات كثيرة ، فالدكتور إدريس يرى أن هذه النظرية سيف ذو حدين، فإما أن يستعملها ويتعامل معها تعاملاً عقلانياً وعلمياً ودينياً ملائما، وإما أن يقع ضحيتها، فالوساطة تضع الإنسان بين خيارين، ولكن أخشى ـ في الواقع ـ أن تنتصر الوساطة على الإنسان، لأن الاتجاه العام في المجتمعات المعاصرة ينذر بهذا(٢٠) وإذا كان هذا ما يتوقعه في نهاية المطاف فلماذا الإصرار على التمسك بها وبمصطلحاتها والتبشير بها ووقف حياته عليها ؟! أليس في هذا دعم للنظرية التي يتوقع لها أن تنتصر على الإنسان؟! وهل بما قدمه من نتائج ـ مع حذره الشديد ـ قد أنجاه من سيطرة الوساطة عليه؟

وإذا كانت هذه هي الصورة مع ناقد كالدكتور إدريس الناقوري فما الذي يمكن أن يحدث مع شخص منبهر بالثقافة الأجنبية والفكر الغربي، وهم كثر في وطننا الكبير ؟!

●● صيحة نجيب الكيلاني:

■ محمد بن عزوز

أليس هنا باعثاً قوياً للاستجابة لصيحة د. نجيب الكيلاني في البحث عن مصطلحات جديدة للأدب الإسلامي والنقد الإسلامي، تكون وشيجة الصلة بتاريخنا وأدبنا ونقدنا وثقافتنا، كما هو الشأن في مصطلحات أي أمة تنطلق من خصوصيتها؟!

لقد وجه د. نجيب نداءه على وجه الخصوص إلى النقاد الإسلاميين، وإلى أساتذة الجامعات في العالم الإسلامي، وبين أننا ينبغي «أن نعيد النظر في تراث أدبائنا القدامى والمحدثين الذين ارتبطوا بقيم الإسلام وتقاليد مجتمعاته السامية، واستوعبوا ثقافته وكتابه وسنة نبيه وفقهاءه وأدبائه وقادة الفكر فيه .. ولن تتضح ملامح الأدب الإسلامي أو تستكمل إلا بالاهتمام بهذا الجانب الحيوي .. جانب المصطلحات الخاصة بأدبنا(٢١).

وإذن فإن البداية ينبغي أن تكون من التراث، بإعادة قراءته وفهمه، واستخراج المصطلحات الحية فيه والتي يمكن أن تكون صالحة للاستعمال في هذا العصر، سواء أبقيت على معناها القديم أم توسعنا في دلالتها بما تقتضيه الضرورة، لافرق في ذلك بين تراث الأدب والنقد والبلاغة، وتراث اللغة، والنحو وتراث الحديث والتفسير، وتراث الفقه والأصول . فمصطلحات هذه العلوم جميعاً ـ إلا ماندر ـ تنبثق من خصوصية هذه الحضارة التي ترتكز على الدين،تماماً كما ارتكزت الحضارة الغربية على التراث اليوناني والتراث اليهودي والمسيحي وبرغم أن أوربا ـ والغرب عموماً ـ قد تعلمنت منذ زمن ليس بالقصير فإن بصمة المسيحية واليهودية تظهر بوضوح ـ بالإضافة إلى البصمة اليونانية ـ في العلوم والمعارف والنظريات والمناهج والمصطلحات الحديثة، وما رأيناه في نظرية الوساطة مثال

صارخ على هذا .. فلماذا لانفعل فعلهم فنعود إلى تراثنا كما عادوا إلى تراثهم فنستنطقه كما استنطقوه، ونبعث روحه كما بعثوا روح تراثهم في إنتاج معرفة جديدة ومصطلحات جديدة تمثل الخصوصية التي نسعى إليها؟!

●● القرآن والحديث والمصطلح النقدي:

إننا إذا رجعنا إلى تراثنا واستنطقناه فسنجد أن أسلافنا لم يجدوا حرجاً في الإفادة من القرآن الكريم ومن الحديث الشريف في وضع المصطلح النقدي، تماماً كما لم يجدوا حرجاً في الإفادة منهما حينما وضعوا مصطلحات الفقه والأصول والحديث والنحو .. وكيف يجدون حرجاً وكل هذه العلوم وما شاكلها قامت حول القرآن الكريم أولاً ثم الحديث الشريف ثانياً؟!

إن مصطلح الخطبة «البتراء» أطلقوه قديما على الخطبة التي لاتتضمن شيئاً من القرآن الكريم، وكانوا يكرهون أن تخلوا الخطبة من القرآن أياً كان ميدانها، وأصل المصطلح مأخوذ من قوله تعالى: «إن شانئك هو الأبتر» [الكوثر ٣] فشانيء الرسول أبتر والخطبة الخالية من القرآن بتراء.

ومصطلح الاقتباس وهو «أن يضمن الكلام شيئا من القرآن أو الحديث لا على أنه منه»(٢٢) منظور فيه إلى القبس الذي فيه معنى الدفء والإضاءة، والقرآن والحديث يقتبس منهما فيستضيء النص بالاقتباس ويعلو ويشرف، وقد فرقوا بين مصطلح الاقتباس ومصطلح التضمين الذي لا يحمل هذه الدلالة؛ لأن الأخذ فيه لايكون من القرآن ولا من الحديث، وبهذا يمتاز مصطلح الاقتباس بهذه الظلال والإيحاءات، ولن يستطيع مصطلح التناص الذي يراد له أن يحل محل هذا المصطلح وما اتصل به بقادر على أن يعطى هذه الدلالة .

والجدل الذي دار بين العلماء حول السجع ما بين مثبت له في القرآن الكريم وناف كان يقف وراءه حديث النبي صلى الله عليه وسلم حينما قال للذين جاءوه وكلموه في شأن الجنين : كيف ندى من لاشرب ولا أكل ولا صاح فاستهل، أليس دمه قد يطل؟ فقال : «أسجاعة كسجاعة الجاهلية »؟ وفي بعض الروايات «أسجعا كسجع الكهان»؟(٢٣)

والذين استخدموا مصطلح فواصل بدلا من مصطلح «السجع» لما ورد منه في القرآن الكريم أخذوه من قوله تعالى: «كتاب فصلت آياته» [فصلت٣]

ومصطلح «التصريف» يأخذه الرمّاني من قوله تعالى «ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل [الإسراء ٨٩] كما جاء ذلك صراحة في تفسيره لهذه الآية(٢٤)

وهذه المصطلحات وما كان على شاكلتها تجدها مبثوثة في كتب الإعجاز والنقد والبلاغة قديمها وحديثها، ولم يحرص النقاد على أن يكون المصطلح النقدي مخالفا للمصطلح الديني.

■■ كيف يمكن أن يقوم نقد إسلامي بهذا الخلط العجيب من المصطلحات الغربية التي تبدأ من ركائزها العقدية ؟!

وكما أفاد أسلافنا من القرآن الكريم في وضع المصطلح أفادوا كذلك من البيئة، فمصطلحات مثل: الفحولة والرواية والسبب والوتد والبيت وغيرها كثير تجد أثر البيئة فيها واضحاً.

ونحن حينما نحاول أن نضع مصطلحات للنقد الأدبي الإسلامي علينا أن نفيد من منهج أسلافنا ومن جهودهم في وضع المصطلحات، وهذا يعني أن نبدأ بقراءة التراث وفحصه والوقوف على آلاف المصطلحات المبثوثة فيه، فهذه المصطلحات في معظمها كانت تنطلق من الخصوصية الدينية والثقافية والحضارية.

وحينما يقول د. عماد الدين خليل في كتابه النقدي الأول: «لقد انطلق(الجرجاني) و(الآمدي) و(القيرواني) ومئات غيرهم من صفحات القرآن وراحوا ـ من ثم ـ يتجولون في معطيات الشعر والنثر والفنون، بعد أن علمهم كتاب الله الكثير من أسرار البلاغة والبيان وطرق الأداء والتعبير، ومقاييس التذوق والنقد وأساليب الروعة والجمال»(٢٥) فإن هذا القول يكون حافزاً لنا للعودة إلى هذا التراث لنفيد منه ونتخذ منه منطلقاً، ونحن نقيم صرح الأدب الإسلامي والنقد الإسلامي في المقاييس والمصطلحات معاً، حتى تكون لهذا النقد خصوصيته.

وقد سبق أن رأينا كيف يردد د. نجيب الكيلاني نفس المعنى في آخر صيحته التي ختم بها كتابه «مدخل إلى الأدب الإسلامي»، وهذه الصيحة وتلك تدور حول الخصوصية، فخصوصية المصطلح جزء من خصوصية الهوية.

وليس معنى ما سبق أنه لاتوجد محاولات لوضع المصطلح النقدي الخاص الذي ينبثق من الخصوصية الحضارية.

إن هناك محاولات بذلت وتبذل في هذا الميدان، ولكن المشكلة أنه ليست هناك متابعة لهذه المحاولات بحيث تصب في مجرى

واحد في النهاية، وما لم نصل إلى هذه الغاية فستظل كل هذه المحاولات قطرات مبعثرة على مساحة واسعة من الأرض، سرعان ما تبتلعها الرمال أو تتبخر في الهواء.

ومما ينبغي التنبيه إليه أنه ليست هناك جهة معنية بمراجعة المصطلحات وإقرارها، وإشاعتها بين النقاد، وبهذا تقل الفائدة من هذه الجهود المبعثرة، فالمصطلح لايكتسب قيمته بمجرد اقتراحه أو وضعه مهما بذل فيه صاحبه من جهد، ومهما كان دقيقاً، لكن يكتسب هذه القيمة بشيوع استعماله.

●● المصطلحات الأصول:

ربما كانت المصطلحات الأصول هي التي شغلت القسم الأكبر من جهد العاملين في هذا الميدان فمصطلح «الأدب الإسلامي» كان يمثل نقطة مركزية تدور حولها مجموعة من المصطلحات، منها مصطلحات تطرح كبدائل، ومنها مصطلحات تأتي لازمة له بالضرورة. وإذا كان مصطلح «الأدب الإسلامي» قد استقر له الأمر في معركة المصطلحات البدائل(٢٦) فقامت باسمه رابطة، ومجلة، ومناهج دراسية، وبرامج إذاعية، وحلقات تليفزيونية ومؤتمرات وندوات، وبذلك توارت المصطلحات الأخرى أو كادت فإن المصطلحات التي ارتبطت به لم يكتب لها ما كتب له حتى الآن.

فما المصطلح الذي يقابل هذا المصطلح مثلاً؟ وهل يمكن أن تنحصر أنواع الأدب في «الأدب الإسلامي» وما يقابله ؟ أو أن هناك آداباً أخرى تقع بين هذا وذاك؟

إن هذا التقسيم وهذا التصنيف قد تعددت فيه الرؤى والمصطلحات، واختلفت فيه وجهات النظر إلى حد بعيد.

وربما كان هناك اتفاق إجمالاً على أن الأدب الذي ينطلق من الإسلام أم من التصور الإسلامي لعالمي الغيب والشهادة ويكتبه أديب مسلم هو أدب إسلامي . وأن الأدب الذي لايتفق مع التصور الإسلامي ويصدر عن غير المسلم يكون أدباً غير إسلامي، ومن الممكن أن ينسب إلى التصور الذي صدر عنه، فقد يكون أدباً مسيحياً أو يهودياً أو بوذياً أو هندوسياً أو وجودياً أو علمانياً .. إلى غير ذلك من التصورات.

ولكن يبقى هناك الأدب الذي صدر عن مسلم ولم يكن موافقاً للتصور الإسلامي، أو الأدب الذي صدر عن غير مسلم ملتقياً ـ ولا أقول متفقاً ـ مع التصور الإسلامي، والأدب الذي لايصدر عن تصور معين، سواء أصدر عن مسلم أم عن غير مسلم، فما المصطلحات التي يمكن أن تطلق على هذه الأنواع من الأدب؟

ربما كان الأدب الذي يصدر عن غير مسلم ملتقياً مع التصور الإسلامي هو الذي شغل أكبر مساحة من الجدل بين النقاد الإسلاميين.

فهناك من يدخله تحت مظلة الأدب الإسلامي ويرى أن تعريف الأدب الإسلامي ينطبق عليه، ومن ثم فهو أدب إسلامي بغض النظر عن قائله، فالاصطلاح للأدب لا للأديب.

■ د. جابر قميحة

وهناك من يرفض دخول هذا اللون من الأدب تحت مصطلح الأدب الإسلامي، ولكنهم يختلفون في المصطلح الذي يصلح له.

فالشيخ أبو الحسن الندوي يسميه «أدباً جيداً» أو «أدباً صالحاً»(٢٧)

ويوافقه د. محمد بن عزوز في مصطلح «الأدب الصالح»(٢٨)

والدكتور عبد القدوس أبو صالح يسميه «أدباً موافقاً»(٢٩)

ويوافقه د. جابر قميحه في هذا المصطلح، غير أنه يفرق بين الأدب الأخلاقي والإنساني من غير المسلم وهو ما أطلق عليه هذا المصطلح وبين الأدب الجاهلي الإنساني، فقد أطلق عليه «أدب الفطرة»(٣٠)

ويمكن أن يؤخذ من كلام الأستاذ محمد قطب مصطلح «الأدب الملتقي»(٣١) مع التصور الإسلامي وليس صحيحاً أنه يدخله تحت مصطلح «الأدب» الإسلامي» مع شيوع هذا الفهم عن الرجل.

ويمكن أن يطلق مصطلح «أدب الفطرة» ـ الذي اقترحه د. جابر قميحة للأدب الجاهلي الإنساني على كل ما صدر عن غير المسلم ملتقيا مع التصور الإسلامي جاهلياً كان أو غير جاهلي، حيث إن كل تصور صحيح عند غير المسلم إنما يكون منبثقاً من بقايا الفطرة التي فطر الله الناس عليها، سواء التقط هذا التصور من دين أم من عقل أم من عرف، فكل هذه المصادر تنتمي إلى بقايا الفطرة الصحيحة.

■■ محمد إقبال عروي:

لكن هناك محاولة تستحق الوقوف عندها في اقتراح مصطلح مناسب لهذا النوع من الأدب وهي محاولة الأستاذ محمد إقبال

عروي الذي وضع لهذا النوع مصطلح «الكاديةّ» ولم يقترحه لهذا اللون من الأدب وحده، وهو الذي يصدر عن غير مسلم ملتقياً مع التصور الإسلامي ولكن اقترحه أيضا للأدب الذي يصدر عن التصور الإسلامي وصاحبه مسلم غير ملتزم سلوكياً، وقد ضرب لذلك مثلا بنزار قباني في قصائده : «تقرير سري جداً من بلاد قمعستان» و «السيمفونية الجنوبية الخامسة» و«لماذا يسقط متعب بن تعبان في امتحان حقوق الإنسان».. فهي قصائد تجسد من الناحية الفكرية اعترافاً بضرورة الاسلام، غير أن سلوك صاحب تلك القصائد (ونحن ندعو له ولغيره بالهداية والارتباط بحبل الإسلام) لايشجع على إدراجه ضمن الإسلامية ومن هنا تأتي قيمة المصطلح الذي اقترحناه، ليؤطر الإنتاجات تأطيراً سليماً ويبعد بنا عن السلبيات التي يقع فيها بعض النقاد ممن حرصوا على إدراج مثل ذلك الإبداع في دائرة «الإسلامية» دونما سند شرعي مقبول أو مسوغ موضوعي معقول».

وتأتي قيمة هذه المحاولة من أنها تحاول أن تلتمس لها مرجعية من المصادر الإسلامية الأصول(الكتاب والسنة)، وأنها تقوم على وعي تام بصياغة المصطلحات عربياً.

فأما المرجعية فهي قول النبي صلى الله عليه وسلم حينما سمع مائة بيت من شعر أمية بن أبي الصلت استنشدها من الشريد والد عمرو بن الشريد راوي الحديث :«إن كاد ليسلم»،وفي حديث ابن مهدي : «فلقد كاد يسلم في شعره».

وأما صياغة المصطلح فإنه عدل عن استخدام المصدر للفعل «كاد» «وهو» «كود» لأنه غريب وغير متداول وأضاف ياء النسبة وتاء التأنيث إلى الفعل «كاد» باعتبار لفظه، فأصبح «الكادية» وهكذا انتهى إلى صياغة مصطلح جديد يمكن أن يحل مشكلة قائمة بالفعل.

ولكن الالتزام بدلالة المرجعية النبوية في صياغة المصطلح يمكن أن يقف به عند النصوص التي تلتقي مع التصور الإسلامي وقائله غير مسلم، أما إذا كان قائلها مسلماً غير ملتزم فإن المصطلح ـ اعتماداً على مرجعيته ـ لاينطبق عليه فالمعصية مهما كانت درجاتها لاتخرج المسلم من دائرة الإسلام فما صدر عنه من أدب متفق مع التصور الإسلامي ومع الإسلام لاينبغي ان يخرج من دائرة الأدب الإسلامي، تماما كما لو صلى وصام وزكى وكان في الوقت نفسه يرتكب الفواحش والموبقات، فلا نستطيع أن نقول عن أفعاله الأولى من صلاة وصوم وزكاة أنها غير اسلامية لأنه مسلم عاص، فهذا يدخل تحت فئة الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً.

وبهذا المصطلح يكون محمد إقبال عروي قد خطا خطوة أوسع في قضية المصطلح المناسب لهذا اللون من الأدب، ذلك أنه حاول هذه المحاولة قبل ذلك في كتابه «جمالية الأدب الإسلامي» فاقترح هناك مصطلح «الأبعاد الضمنية» ليضم تحت لوائه كل إنتاج أدبي تمثلت فيه القيم الإيمانية بعيداً عن معتقد صاحبه «فهذا المصطلح يستطيع حالياً أن يؤطر تلك الأعمال تأطيراً سليماً، فهاته الأخيرة أي الأعمال، لاتتضمن الإسلامية، وإنما تحتوي على بعض أبعادها، هذا من ناحية، أما من ناحية أخرى فإن تلك الأبعاد ضمنية لايصرح بها المبدع، ولايرد أصولها إلى المذهبية الإسلامية لأنه لايؤمن بها أصلاً، ومن خلال هذين التفسيرين نطرح المصطلح المركب عسى أن يوافق عليه نقادنا ويجدوا تبريراً مسوغاً لاستعماله وتداوله».(٣٣)

■■ معظم المصطلحات الجديدة المستمدة من التراث الإسلامي تصب في ميدان الفن القصصي والروائي .

وكما ترى فإن الفرق شاسع بين المصطلح المركب الذي اقترحه أولا والمصطلح البسيط الذي انتهى إليه أخيراً،وإذا كان مصطلحه الأول لم يجد صداه عند النقاد الإسلاميين، فهل يمكن للوليد الجديد أن يحتل مكانه بين مصطلحات النقد الأدبي الإسلامي حتى تقر به عين والده ؟

■■ أحمد بسام ساعي :

وهناك محاولة أخرى طريفة ينبغي الوقوف عندها أيضاً في اقتراح المصطلح النقدي الخاص وهي محاولة د/أحمد بسام ساعي في كتابه «الواقعية الإسلامية في الأدب والنقد» فقد ذهب فيه إلى خطأ الدلالة الشائعة لمصطلح «الأدب الجاهلي» فالمعنى المفهوم من هذا المصطلح أنه الأدب السابق على نزول الإسلام، أي أن دلالته هنا دلالة زمنية، والحقيقة أن مصطلح «الجاهلية» «مصطلح إسلامي وجد للمقارنة بين الهدى والضلال»(٣٤) وهو على هذا يقابل «الإسلامية»(٣٥)

وبناء عليه فإن مصطلح «الأدب الجاهلي» ينبغي أن يطلق «على كل ماخالف روح الإسلام سواء جاء هذا الأدب قبل بعثة محمد أو بعدها» أما مصطلح «الأدب الإسلامي» فينبغي أن يطلق على كل ما وافق روح الإسلام من أدب سبق البعثة النبوية أو تلاها، لأن الإسلام لم يبدأ بهذه البعثة الخاتمة للرسالات، وكانت بدايته على يد إبراهيم الخليل، ولم يكن محمد إلا مكملا لرسالة الإسلام التي بدأها جده أبو الأنبياء عليهما الصلاة والسلام»(٣٦)، وقد أضاف إلى هذين المصطلحين مصطلحاً ثالثا هو مصطلح «الأدب الحائر»، وواضح من اسمه أنه لايستوفي شروط دخوله تحت أي من المصطلحين، فبقي حائراً بينهما مذبذباً بين هذا وذاك.

والملاحظ هنا أن د. أحمد بسام ساعي يوسع من دلالة مصطلح «الإسلامية» أو الإسلام فيرده زمنيا إلى بداياته الأولى ابتداء من دعوة إبراهيم، وأنا ما رأيت أحداً من دعاة الأدب الإسلامي توسع في مفهوم الإسلام أو الإسلامية هذا التوسع، فالإسلام كما دعا إليه إبراهيم عليه السلام والأنبياء الآخرون لم يبق له مصدر صحيح تستقى منه تصوراته قبل نزول القرآن الكريم، فكيف نقول عما قيل قبل نزول القرآن إنه صدر عن تصور إسلامي؟ فما مرجعيته التي يمكن الرجوع إليها لنحكم أهو موافق للتصور الإسلامي أم مخالف؟

لكن د. أحمد بسام ساعي حصر مصطلحي «الجاهلية» و«الإسلامية» في آداب الشعوب الإسلامية، أما الشعوب غير الإسلامية فيفضل أن يطلق على ما يوازي الأدب الجاهلي عندنا بحسب الدلالة التي حددها له مصطلح «الأدب التراجعي» وعلى ما يوازي «الأدب الإسلامي» مصطلح «الأدب الإنساني»(٣٧).

أي أن الأدب الملتقي مع التصور الإسلامي يمكن أن يكون أدباً إسلامياً إن كان قائله من مواطني الأمة الإسلامية في أي بقعة من بقاعها بغض النظر عن عقيدته أو سلوكه فإذا لم يكن من مواطني الأمة الإسلامية كان أدبه الذي يوافق التصور الإسلامي أدبا إنسانيا لا إسلاميا، وأما الأدب المخالف للتصور الإسلامي فهو أدب جاهلي إن كان صاحبه من مواطني هذه الأمة وإن لم يكن فهو أدب تراجعي.

فهل يعني هذا أن خريطة الإسلام ثابتة فتثبت معها هذه المصطلحات؟

إن من الشعوب الإسلامية ما كان ماضيه كماضي الشعوب غير الإسلامية لعدة قرون بعد نزول الإسلام، والشعوب الإسلامية في شرق أوروبا مثل ألبانيا والبوسنة والهرسك كان ماضيها هو ماضي شعوب أوروبا حتى خمسمائة عام مضت، ومع انتشار الإسلام في أوروبا وأمريكا الآن فإننا لانستبعد أن تظهر في هذه البلاد شعوب إسلامية جديدة، فهل يكون أدب هذه الشعوب الآن تراجعيا بحسب مفهوم المصطلح ثم يكون جاهلياً بعد أن تدخل هذه الشعوب إلى الإسلام ؟!

■ سيد قطب

●● الواقعية الإسلامية:

وإذا تركنا هذه المصطلحات الأصول ودلفنا إلى باحة النقد الأدبي الإسلامي وجدنا مصطلح الواقعية قد حظي بجهد لابأس به، وكان الأستاذ. سيد قطب ـ رحمه الله ـ قد قدم هذا المصطلح باعتباره واحداً من خصائص التصور الإسلامي، بالإضافة إلى الربانية والثبات والشمول والتوازن والإيجابية والتوحيد، وقد كان في كل ما قدمه يستلهم القرآن الكريم مباشرة، ومن هنا لم يحتج إلى أن يضيف إلى هذا المصطلح صفة تخصصه وتحدد مفهومه، تمييزاً له عن المفاهيم المتعددة الأخرى، وإن كان قدم تنبيهاً يحدد به استخدام المصطلح فقال: «نحن نستخدم هذا التعبير بمعناه الذي يعطيه لفظه العربي، مجردا من كل ما علق به من معنى اصطلاحي تاريخي في البيئات الأخرى.. ونقصد به على الأخص : التحقق في عالم الواقع، ومن مراجعة الفصل كله يزداد هذا المعنى جلاء وتحديداً»(٣٨)

لكن الأستاذ محمد قطب استخدم مصطلح «الواقعية الإسلامية» تمييزاً له عن الواقعية الأوروبية التي تنظر إلى واقع الإنسان كما يراه دارون أو فرويد، فهو حيوان تحكمه غرائزه أو دوافعه الفطرية، أو واقع الإنسان الذي تحكمه أوضاع اجتماعية واقتصادية لايد له فيها »(٣٩)

وأصبح مصطلح «الواقعية الإسلامية» مستساغاً يتصدر عناوين المقالات والكتب(٤٠)، وفي الوقت الذي تتراجع فيه المصطلحات الأخرى للواقعية يزداد مصطلح «الواقعية الإسلامية» كل يوم رسوخاً وثباتاً.

●● الالتزام الإسلامي:

وكما تميز مصطلح الواقعية باعتباره واحداً من مصطلحات

النقد الأدبي الإسلامي عن الواقعيات الأخرى، تميز مصطلح الالتزام الإسلامي، وتجيء رسالة الماجستير «الالتزام الإسلامي في الشعر» لناصر الخنين لتعبر عن هذا التمييز للمصطلح بصفة الإسلامية.

●● المصطلح والاجتهاد الجماعي:

وتجيء أهمية هذه الرسالة من أنها عمل شارك فيه عدد من أهل الاختصاص، فقد ناقش العنوان/ المصطلح ووافق عليه قسم وكلية وجامعة، وأشرف على الرسالة أستاذ متخصص،وناقشها أساتذة متخصصون، وهذا كله يخرج المصطلح من دائرة الاجتهاد الفردي إلى دائرة الاجتهاد الجماعي، وهذا أمر مهم جداً في قضية المصطلحات ، وقد خطا قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي بكلية اللغة العربية ـ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ـ حينما أقر عدداً من المصطلحات النقدية مأخوذة من القرآن الكريم منها: التدافع، والنفس الأمارة بالسوء، والنفس اللوامة، والنفس المطمئنة، وذلك رغبة منه في إفادة النقد الأدبي الإسلامي من المصطلح القرآني.

وفي هذا السياق تأتي محاولة د. محمد بن عزوز في إشرافه على البحوث العلمية في مجال الأدب الإسلامي، فقد ذكر أنه يصدر فيها عن تصور معين يقوم على أربع نقاط منها : «إدخال مصطلحات جديدة لم تكن معروفة في مجال الدراسات السردية من قبل وهي ذات دلالات إسلامية من مثل : التدافع ـ الجدال ـ التصنيف العقدي(للشخصيات مثلا) ـ التكامل ـ المشاركة ـ الولاء ـ العداء ـ الحذر ـ التأزم ـ الابتلاء ـ التمكين ..»(٤١)

وهذه جهود ينبغي أن نتوسع فيها، وهي كما قلت سابقاً تدخل في إطار العمل الجماعي الذي يعطي لهذه المصطلحات وزناً كبيراً.

●● مصطلحات القصة والرواية:

ومن الملاحظ أن هذه المصطلحات الجديدة التي اعتمد فيها أصحابها على القرآن الكريم ومصادر التراث الإسلامي إنما تصب في ميدان جديد على مسيرة الأدب العربي، ألا وهو الفن القصصي والروائي، والنقد الأدبي الغربي يكتظ بالمصطلحات النقدية التي شاركت في وضعها مذاهب ومناهج ونظريات نقدية متعددة، ومعظم المصطلحات المتداولة في هذا المجال الجديد على أدبنا العربي إنما هي مصطلحات غربية الأصل، مرتبطة بحركة الفكر الأوروبي، وتسير حسب تطوره العام، وقد قام أحد الباحثين باستقصاء المصطلحات المتداولة في أكثر من مائة كتاب عن النقد القصصي في الأدب العربي فاستخرج منها حوالي خمسمائة مصطلح، لم يعثر من بينها إلا على حوالي ثلاثين مصطلحاً تحمل مضامين عربية الأصل»(٤٢)

وهذا الفقر في المصطلح النقدي العربي في ميدان القصة والرواية، ينبغي أن يكون حافزاً للنقاد الإسلاميين لبذل الجهد المضاعف فردياً وجماعياً لاستنباط مصطلحات جديدة، تكون أكثر تعبيراً عن الخصوصية الحضارية للأمة الإسلامية وإذا كان القدماء قد أهملوا الفن القصصي على وفرته في القرآن الكريم والحديث الشريف والتراث فلم يستنبطوا أصوله و لم يضعوا له مصطلحاته الخاصة، فإن المحدثين لاينبغي أن يتقاعسوا عن القيام بهذا الأمر.

■■ هناك محاولات فردية في وضع المصطلح ، وهناك محاولات جماعية ، وهناك محاولات متنامية .

●● محاولات متنامية:

وإذا كانت المصطلحات التي أشرنا إليها فيما مضى تمثل عملا جماعياً ـ على تفاوت هذه الجماعية، بين الرسائل الجامعية وبين البحوث الطلابية ـ فإن هناك محاولات فردية متنامية هي في مجموعها أشبه بالعمل الجماعي.

من ذلك أن د. سعد أبو الرضا تحدث في كتابه «الأدب الإسلامي قضية وبناء» الذي صدر عام ١٤٠٣ هـ /١٩٨٣ م عن «النماذج البشرية» في إطار التصور الإسلامي، وقد لاحظ أن القرآن الكريم «يحفل بالجمع بين النماذج المتقابلة ليؤكد من احتكاكها الوجه الأمثل للحياة كما في النموذج الأمثل للإنسان، حيث يتجلى الطهر والعفة والجمال، كقيم مطلقة لهذا الإنسان ولتلك الحياة التي يرتضيها الإسلام للبشر»(٤٣) ويضرب على ذلك مثلاً بموقف إسماعيل من رؤيا أبيه عليهما السلام حينما أسلم نفسه طائعاً لينفذ فيه أبوه ما رآه فى منامه، وفى المقابل نجد موقف ابن نوح من أبيه عليه السلام حينما دعاه إلى الركوب في السفينة، ويضرب على ذلك أمثلة أخرى، ثم يقول: «وتتباين النماذج الإنسانية وتتعدد حتى إنها لتتجاور ويقترن بعضها ببعض في السور القرآنية »(٤٤)

ويكرر هذا الكلام في حديثه عن الإنسان .. البطل في ضوء التصور الإسلامي أيضاً.(٤٥).

ثم جاء د. محمد أحمد حمدون الذي أصدر كتابه «نحو نظرية للأدب الإسلامي» عام ١٤٠٧ هـ /١٩٨٦ م فأقام مقارنة بين مفهوم الصراع بين الأدبين الغربي والعربي، لأنه يرى أن هذا الموضوع - كما بدا له - محور «أساسي من محاور البحث عن «شخصيتنا الأصيلة» في أدبنا»(٤٦)، ولما عرض لبناء الشخصيات في «الكوميديا الإلهية» لدانتي، وجدها تقوم على عرض نماذج بشرية ممثلة لـ «المتقابلات المتجاورة» (٤٧) وهذا دليل على تأثر دانتي في تصوره للشخصيات بالنموذج العربي الإسلامي، فالأساس في رسم الشخصيات في التراث الأدبي الإسلامي هو: «التقابل والتجاور»(٤٨)

«..وللبحث بقية»

■■ الهوامش:

(١) انظر على سبيل المثال: فوضى العالم في المسرح الغربي المعاصر - مؤسسة الرسالة - بيروت ١٣٩٧/١٩٧٧

(٣،٢) مدخل إلى الأدب الإسلامي صـ١٤٧ سلسلة كتاب الأمة رقم ١٤ - قطر ١٤٠٧ هـ

(٤) السابق صـ ١٤٨

(٥) انظر: البنية الحجاجية للخطاب القرآني - سورة الأعلى صـ ١٢٣ ومابعدها. نموذجاً - أبو بكر العزاوي - المشكاة - العدد ١٩.

(٦) راجع الحوار الذي أجرى مع الدكتور إدريس الناقوري حول كتابه: الوساطة في الفكر والفن - المشكاة - العدد ١٩ صـ ٣٩ وما بعدها.

(٧) السابق صـ ٣٩، ٤٠.

(٨) السابق صـ ٤٢، ٤٥.

(٩) السابق صـ ٤٣.

(١٠) السابق صـ٤٤.

(١١) السابق صـ٥١.

(١٢) السابق صـ ٥٨.

(١٣، ١٤) السابق صـ ٦٠

(١٥) السابق صـ ٦١

(١٦، ١٧) السابق صـ٦٨

(١٨) أزمة المصطلح في النقد القصصي - فصول - المجلد السابع عدد ٣، ٤ صـ ١٠٢ ابريل - سبتمبر ١٩٨٧.

(١٩) المشكاة - عدد ١٩ صـ٦٠.

(٢٠) السابق صـ ٦٢، ٦٣

(٢١) مدخل إلى الأدب الإسلامي - مرجع سابق صـ ١٤٧، ١٤٨

(٢٢) الإيضاح - للخطيب القزويني - ط عبد المتعال الصعيدي جـ٤ صـ ١٣٠ - مكتبة الآداب - القاهرة - ب .ت.

(٢٣) إعجاز القرآن - للباقلاني - تحقيق السيد أحمد صقر صـ ٥٨ الطبعة الرابعة - دار المعارف - القاهرة ١٩٧٧م

(٢٤) الجامع لعلم القرآن - جـ ١٢ مخطوط . عن دراستنا: الرماني وجهوده في بلاغة القرآن الكريم - تحت الطبع.

(٢٥) في النقد الإسلامي المعاصر صـ١١ وانظر أيضا كتابه : مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي صـ ٢٠٦ ط. أولى - مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤٠٧ - ١٩٨٧.

(٢٦) طرحت عدة مصطلحات لتكون بداية لهذا المصطلح ، منها الأدب الديني - الأدب الأخلاقي - الأدب المسلم - الاتجاه الإسلامي .. إلخ راجع «شبهة المصطلح» للدكتور عبد القدوس أبو صالح - الأدب الإسلامي - العدد ٨ صـ ٦، ٧

(٢٧) راجع: المشكاة - العدد ١٤ صـ ١٢٤.

(٢٨) الأدب الإسلامي - العدد ١٥ صـ ٢٧.

(٢٩) الأدب الإسلامي - العدد ٨ صـ ٥

(٣٠) المسلمون العدد ٥٣٥ صـ ٩ - ١٤١٥/٢/٥ - ١٩٩٥/٥/٥ ، لكن في دراسته التي نشرها على حلقتين في مجلة : «الوعي الإسلامي» يقول كلاما مختلفاً، فالأدب الإسلامي في نظره يصدق «على كل إبداع شعري أو نثري ذي أبعاد إنسانية أخلاقية اجتماعية أو نفسية تربوية» وهذا يجعلنا نغفل هوية المبدع اسماً وجنسية وديناً «وبهذا يتخلى عن مصطلحي» «الأدب الموافق»و «أدب الفطرة» انظر : مجلة الوعي الإسلامي العدد ٣٧٧ صـ٧٣

(٣١) منهج الفن الإسلامي صـ ١٨٣ ط. سادسة - دار الشروق ١٤٠٣ هـ /١٩٨٣م.

(٣٢) الأدب الإسلامي - العدد ٦ صـ٢٤

(٣٣) جمالية الأدب الإسلامي صـ ٢١٩ - . أولى - المكتبة السلفية - الدار البيضاء ١٩٨٦م.

(٣٤) الواقعية الإسلامية في الأدب والنقد صـ٤١ - ط. أولى - دار المنارة - جدة ١٤٠٥ - ١٩٨٥.

(٣٥، ٣٦ ، ٣٧) السابق صـ٤٢.

(٣٨) خصائص التصور الاسلامي ومقوماته - القسم الأول - هامش صـ٢٧ - الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية ١٣٩٨/١٩٧٨.

(٣٩) منهج الفن الإسلامي - مرجع سابق صـ٤٩.

(٤٠) انظر على سبيل المثال : كتاب: الواقعية الإسلامية في الأدب والنقد للدكتور أحمد بسام ساعي ، وكتاب: الواقعية الإسلامية في روايات نجيب الكيلاني الإسلامية للدكتور حلمي القاعود وهو من مطبوعات رابطة الأدب الإسلامي العالمية.

(٤١) الأدب الإسلامي - العدد ١٥ صـ ٣٠.

(٤٢) أزمة المصطلح في النقد القصصي - مرجع سابق - فصول - مجلد ٧ عدد ٣ ، ٤ صـ١٠٣.

(٤٣) الأدب الإسلامي قضية وبناء للدكتور سعد أبو الرضا صـ١٣ - عالم المعرفة - جدة - ١٤٠٣ - ١٩٨٣.

(٤٤) السابق صـ١٥

(٤٥) السابق صـ ٢١

(٤٦) نحو نظرية للأدب الإسلامي - د /محمد أحمد حمدون - صـ١٣٧ - ط. أولى - إصدارات المنهل - جدة ١٤٠٧ هـ ١٩٨٦م.

(٤٧) السابق صـ ١٤٣.

(٤٨) السابق صـ ١٤٧.

تحية الشيشان

شعبٌ من الماس الرهيب تَسلسلا
ومن السموم الناقعات تَكحَّلا
تَخِذَ الحياةَ رسالةً ممهورة
بالسيف أو سيفاً تجوّلَ في العُلا
حتى غدا حصّادَ أشواكِ توغّل (م)
في حتوف الشانئيه تَوغُّلا
عصفاً وقصفاً ما يَقِرُّ قرارُه
أو يبلغَ الشأوَ الأجلَّ الأمثلا
حَسِبوه مسبوعاً، فكان لهم أشدَّ (م)
من السباعِ الضاريات تَغَوُّلا
في ليلة مَزؤودة تَلِدُ الذئا
ب ومولدُ الشيشان أمسى ألْيَلا
غِبَّ الزئير تُخيِّرت أسماؤهم
فاستأسدوا إذ طامنتْ أُسْدُ الفَلا
من كان يفخر بالنجار ففخرُهم
بالشيخ «شامل» عالماً مُستبسلا
آي الكتاب لواؤه ونِداؤه
ألقى عن القفقاس أطباقَ البِلى
فإذا الجبالُ كتائبٌ مرصودة
وإذا الثلوجُ مساكبٌ. ما أجملا
وإذا جيوشُ الروس هلكى دونَهُ
وملوكُهم شَلاَّءُ يَفريها القِلى
خمسون عاماً والحروب تَهزُّه
هزَّ النسيم أراكة أو جدولا
دوحُ الشريعةِ مُلكُه، آخى القبا
ئلَ والشقاقَ استأصلا
ما فلَّ شوكتَه حِرابُ خصومه
لكنما الدّاءُ الدَخيلُ تدخّلا

«فأبو رغال» لم يزل في مائنا
وهوائنا، مُتوسِّلا، مُتَسَلِّلا
يأتي مَغاليقَ الحصون يَفكُّها
ويُبدد الشمل الجميعَ إذا خلا
الوجهُ طَلقٌ والفؤاد دُجنَّةٌ
والطعنةُ النجلاءُ أخفى مَدخَلا
حِلْفٌ مع الشيطان، لاأُربي يَصو
نُ ولا وفاء على الجميل، ولا ولا

■■■

طوبىَ لـ «جوهر دودَيفْ» من فارسٍ
أعلى لِواءَ الماجدين الأعزلا
وأضاء ذكرى «شامل» ماإنْ يود (م)
عُ جَحفلاً إلاّ ليلقى جَحفلا
من ذِرْوةِ «القفقاس» حتى «الكَرْمَلِينَ» (م)
شباكُه منصوبةٌ نَصْبَ الصِّلَى
رِيعتْ أباطِرَةٌ وخارَ أكاسرٌ
لمّا أصابَ من الطرائدِ مَقتلا
واستيقظَ «الشرقُ» الحبيسُ وأشرعتْ
أشواقُه بابَ الجهاد المُقفَلا
في الساحِ لم تَخْلُصْ إليه رماحُهم
والصقرُ أمنعُ مايكونُ مُجفَلا
صادوهُ وهو مُوادِعٌ يُملي شرو
طَ النصر.. لا وَغْلاً ولا متنصِّلا
الغدرُ من شِيَمِ اللئامِ إذا هوتْ
أُحبولةٌ خُسْراً أعادوا أحْبُلا
أما اللواء فليس يُطوىَ إن توا
رى النجم خلف غمامة أو أطْفَلا
فالأرض حُبلى، والسماء فسيحةٌ
والنورُ في سِرِّ السرائر أوغلا

شعر: محمد الحسناوي

أيهما السابق.. في التجديد ونظم الشعر الحديث ؟

اختلف الكتاب في العراق وخارجه في قضية الشعر الحر؛ من سبق في نظمه؟ بعد أن تبارى الشاعران نازك الملائكة وبدر شاكر السياب في كثرة ما نظما فيه . لأن أكثر الكتاب لم يدرسوا الجذور الثقافية والفكرية في العراق، وحركات التطور والتجديد فيه، وحسب هؤلاء أنَ الشاعرين هما أول من جاء بالشعر الحر، مع أن هذه الكلمة الانجليزية لو طبقت على أكثر الشعر لا تنطبق عليه؛ لأن المعنى قد التبس على المثقف العربي، وظهرت اصطلاحات متعددة منها: (الشعر المنطلق) و(الشعر المرسل) و(الشعر المنثور) وغيرها من المصطلحات، وقد شرحتها في كتابي. (التجديد في الشعر الحديث.. بواعثه النفسية وجذوره الفكرية)

بقلم:
أ.د.يوسف عزالدين

■ بدر شاكر السياب

■ إبراهيم المازني

ومنهم من عزا التجديد إلى محمد فريد أبو حديد، وإلى عبد الرحمن شكري، وإلى على أحمد باكثير، الذي رد على أستاذه الإنجليزي بنظم مسرحيات، ليبرهن على وجود الشعر المرسل في الأدب العربي ، وكانت معارك في مصر أصاب منها عبد الرحمن شكري الكثير، حتى سماه المازني «صنم الألاعيب» وفي مصر كان التجديد متأثراً بالشعر الإنجليزي الذي كان يدرس في المدارس، مع أن التجديد في العراق كان حاجة فنيه أراد منها الزهاوي وشكري الفضلي وبسيم الزويب ومحمد الهاشمي الخروج عن الأسلوب القديم؛ حتى يمكن أن يعبر الشاعر عن حاجات نفسه وتفتق عواطفه، وبداية بشعر البند في القرن التاسع عشر وما قبل والذي لم يظهر بغير العراق.

إن دراسة الجذور الثقافية للشاعرين: بدر شاكر السياب ونازك الملائكة، واتجاههما الفني هو الحكم الفصل في النتيجة. كان الشاعران في دار المعلمين العالية، ولم تكن الجامعة قد تأسست، وكان ثقل الدولة موضوعاً في هذه الدار التي كانت جامعة لكل التيارات العلمية والأدبية، وكان يصلها أساتذة من كل أنحاء العالم، وبخاصة مصر وانجلترا، فتخرج فيها جماعة أخذت الريادة في العلوم والآداب.

دخل السياب الدار في قسم اللغة العربية، ولكنه انتقل في السنة الثانية إلى قسم اللغة الإنجليزية، ولعل هذا يدل على أن الشاعر يريد شيئاً جديداً في الأدب يضيفه إلى محصوله في اللغة العربية.

وقد أكب على الدراسة، وتعرف على التيارات الأدبية من خلال محاضرات وكتب الأساتذة الإنجليز والعرب، الذين كانوا قد تخرجوا في إنجلترا.

وكانت الدراسة شاملة العصور الأدبية؛ فاطلع بدر وزملاؤه على شعر شكسبير، وبوب، وبايرون، ونقد هازلت، وت.إس. إيلوت ، فتنبه إليه. وكان قد سبقه علي أحمد باكثير في نظم (روميو وجوليت) و(أخناتون) وسماه الشعر المنطلق، وهو مزيج من النظم المرسل الذي دعا إليه جميل صدقي الزهاوي، ومن النظام الحر، فهو مرسل من القافية، ومنطلق لانسيابه مع السطور، ولن يكون قائماً على الجملة التامة المعنى، سواء أكانت سطراً أو أكثر(١)

فكانت تجارب التجديد في الشعر في العراق، وتجارب على أحمد باكتير وعبد الرحمن شكري والمازني أمام الشاعرين واضحة المعالم.

إن الأدب هو صورة الثقافة العميقة اللاشعورية في ذهن الشاعر أو الكاتب، ولن يقدر على التخلي عنها، فيمكن أن تعرف جذوره الحضارية والفنية في إبداعه، وتعرف حتى حرفته وصفاته من دراسة شعره بعمق.

■■ ستول وأثرها في الشاعر Edith Sit Well:(٢)

فالشاعر المسلم تجد أثار الفكر الإسلامي تظهر في أدبه، وكذلك النصراني والبوذي واليهودي، وقد وجدنا الشاعر بدر قد هام حباً في أدب الشاعرة، وأخذ يقلده، ويترجم قصائدها شعراً إلى اللغة العربية، ويمكن أن يُحصي القارئ ذلك بوضوح في قصيدته (المسيح بعد الصلب) و(العودة إلى جيكور) وقصيدته(المطر) التي احتذى فيها حذو الشاعرة في قصيدتها (Still Falls The Rain) (مايزال المطر يسقط) والشاعرة امرأة كاثوليكية صادقة المشاعر والأحاسيس، فقلدها وأعجب بها..

والسؤال لماذا أعجبه شعرها؟

قد يكون التعليل النفسي لايرضي أحباء بد، ولكن الواقع يجب أن أقوله مع حبي وصداقتي له؛ فإن بدر السياب كان يحس بنقص كبير في نفسه، ويرى نفسه قبيح الصورة؛ فلازم الشاعرة وكأنها صديقة تحنو عليه، وقرأ شعرها ليتمتع به ويسرح معها خياله. وهي في شعرها ترى في المسيح (المخلص) الذي يطرد الاضطهاد، ويحارب الظلم، وسوف يدخل من أحبه الجنة ويخلصه من العذاب، فرأى في ابتعاد النساء عنه كأنه المسيح، فأعجبته القصيدة ونظم قصيدة العودة إلى جيكور فيها:

■ عبد الرحمن شكري

■■ دراسة الجذور الثقافية لبدر شاكر السياب ونازك الملائكة ، واتجاههما الفني . . هو الحكم الفصل في النتيجة .

***

■■ كان بدر صادقاً مع نفسه وأحاسيسه . . فعوض عن شعوره الداخلي بحب ستول وشعرها .

من ينزل المصلوب عن لوحه ؟!
من يطرد العقبان عن جرمه؟
من يرفع الظلماء عن صبحه ؟
ويبدل الأشواك بالغار

كان الشاعر صادقاً مع نفسه وأحاسيسه وعواطفه، فعوض عن شعوره الداخلي بحب ستول وشعرها عن حرمانه الداخلي بترجمة هذا الشعر.

كان الشاعر رقيق الخلق، حلو الصفات جميل المعشر، شأن أهل البصرة في تلك الفترة، وكان معه عدد من الطالبات المترفات من أهل بغداد.

ونشأ الشاعر محروماً من عطف الأم، ومات أول حب له وهو صغير، فهو بحاجة كبيرة إلى العطف والحنان، ولم يكن الشاعر غنياً مترفاً ، وكانت الفتيات يلبسن أجمل الملابس، ويرتدين أحلى الحلل، وهو في دور المراهق المتدفق حيوية وحباً وشوقاً، ولايجد من تعطف عليه أو تتحدث معه؛ لأن المجتمع في تلك الفترة كان شديد المحافظة حذر الإحساس من العلاقات التي تتكون بين الطالب والطالبة. وزاد شعوره بالألم إحساسه بأنه قبيح الوجه، ولم يكن كذلك، وانما بالغ في إحساسه به، وأكده له أصدقاؤه الذين ينفسون عليه قابليته الفذة؛ فقال أحد الشعراء:

لم يكفه قبح الملامح رادعاً
وإذا به في العالمين ينادي
أنا شاعر ملك البيان وإن لي
دراً وأحكاماً وإني الهادي

إن إحجام الطالبات عن الحديث معه للظروف الاجتماعية جعله يشكو من هذا الإحجام، وظهر ذلك في شعره بوضوح، ولم تكن النساء يخرجن إلا بالعباءة والحجاب الكثيف، وقد عرف الحزب الشيوعي حرمان الشاعر، وتفجر عاطفته ورغبته في التنفيس عن معاناته، فغمره بالمتع والشراب والجنس حسب اعترافاته . إن الشعور بالقبح هو الذي جسم في نفسه الحرمان، ورأى ابتعاد الفتيات عنه لهذا السبب، وكان يثور على نفسه، ويقف أمام المرآة، ويضرب نفسه بحذائه، وقد ظهر ذلك الحرمان في شعره، لكنه لم يجد من تبادله عاطفته ، وإن الشعور بالإهمال النفسي جسمه إحساسه المرهف، وبخاصة أنه فقد الفتاة التي أحبها في الصغر ، وتركت أعمق الأثر في نفسه الرقيقة ، ولم يجد من تعوضه عن ذلك الحب البريء الطاهر، وحرمانه من عطف الأم ورعايتها وحنانها دعاه إلى أن يتلمس هذا الحب في الخيال. فوجده في الشاعرة إديث ستول، وكان من أثر هذا الإعجاب بها أنثى وشاعرة أن نجد الرموز النصرانية واضحة في شعره، والأساطير من الإنجيل والأفكار التوراتية بارزة في ثنايا سطوره، كالصلب والقتل والتعذيب وآلام المخلص، وورد اسم اليعازر الإسخريوطي، والكنيسة والتعليق بالمسامير ونزول الدم من جرح المسيح، ووضع الشوك بدلاً من التاج على رأسه، ولو جاءت في شعر أديب غربي لكانت طبيعية؛ لأنه يقرأ الإنجيل ويلازمه منذ طفولته.

ولو أن بدراً اعتمد على الأساطير العربية والتراث الضخم وأصالة هذا الأدب وطوره لكان تجديداً، بخلاف السيدة نازك الملائكة التي حافظت على الديباجة العربية وجددت بكل رفق وتؤدة، وبحدود مقبولة، إضافة إلى حسها الموسيقى المرهف ، لأنها تعزف على العود وتتذوق الأنغام الجميلة . لهذا فإن بدراً أكثر إحساساً بالتجديد والتطور لأنه أكثر اتصالا بالشعر الانجليزي ، وكان شديد العناية بدراسته، وتتبع تطوره وتجديده، طالباً وتأثر به شاعراً.

لما أراد أن يطبع ديوانه الأول «أزهار ذابلة» كان في ذهنه حركة التجديد السابقة، وكان يعرف بأن رفائيل بطي أحد زعماء دعوة التجديد؛ فطلب منه أن يكتب له مقدمة الديوان؛ لأن رفائيل بطي اعتنى بالحركة وسخر مجلته. (الحرية) لها ونشر آراء أمين الريحاني.

وفي (أزهار ذابلة) المطبوع عام ١٩٤٧ قصيدة جديدة بأوزانها وقوانينها تجمع بين البحور والمجزءات، وقد اختلفت التفاعيل ذات النوع الواحد، كما اختلف عددها من بيت إلى آخر، وكان حراً في النظم حتى آخر القصيدة فقال:

هل يكون الحب أني
بت عبداً للتمني
أم هو الحب اطراح الأمنيات
والتقاء الثغر بالثغر ونسيان الحياة
واحتفاء العين بالعين انتشاء
كانثيال عاد يفني في هدير
أو كظل من غدير

وفي تقديم رفائيل بطي قال: (إنه يحاول جديداً في قصيدته (هل كان حباً) ويأتي بالوزن المختلف وبنوع من القافية محاكياً الشعر الإفرنجي، فعسى أن يمعن في

جرأته في هذا المسلك المجدد) إذن ليست من المصادفة أن يضع داعية التجديد المقدمة، فقد كان رفائيل يدعو إلى ترك القافية والوزن تحت شعار (العصرية) والدعوة لها . وإنما كان بدر يعرف هذا معرفة جيدة عندما نظم القصيدة ووضع تاريخها ١٩٤٦/١١/٢٩م.

إن جيل هذه الفترة بين الـ(٤٠ ـ ٦٠) من هذا القرن أخذ يدرس العلوم المختلفة مع اللغة العربية فتحيفت اللغة العربية، وكان جيل الرصافي والزهاوي وقف حياته عليها دراسة وحفظا.

وكانت العلوم الأخرى تدرس على الهامش، فكانت هذه العلوم جزءاً من الفكر الجديد، الذي فرضته الحضارة الجديدة علينا؛ فأخذت في تلوين ثقافتنا وتكوين الفكر الأدبي؛ فكان المحصول اللغوي أقل من محصول جيل الرصافي والزهاوي وخيري الهنداوي ومحمد رضا الشبيبي وعبد المحسن الكاظمي، ولما جاشت العواطف كانت المفردات أقل من مفردات الجيل الرائد، لذلك حاولنا الخروج على القوافي لضعف فكرنا اللغوي، ولما أصدرت أول مجموعة شعرية لي وأنا طالب في الإسكندرية تسرب مثل هذا في شعري ، وأحسست به فكتبت في مقدمة (في ضمير الزمن) وكأني ألفت نظر القارئ (كان فيها شعر جديد نظمته على ذوقي وحسي وكنت أعرف أن هناك شيئاً جديداً فيه ولم اطلع على الحركة الشعرية في العراق، ولما ظهرت الضجة لم اتدخل فيها لأني كنت أواصل دراستي ، وليس هذا الشعر مما أكترث به، وليس هو كل ماعندي من إنتاج) وقد عد الشاعر الكبير صالح جودت رحمه الله ذلك ريادة للشعر الحر في مقالة له في مجلة المصور وضعتها مقدمة للمجموعة في الطبعة الثانية والثالثة.

■■ أثر حب بدر في شعره:

إن الحرمان من الحنان والشعور بالنقص من القبح عاملان كبيران في تجديد الشاعر بدر ، فقد حرم منه صغيراً وفي حياته الدراسية مرت به عدد من الجميلات أحس بإهمالهن له، ولعل من أبرز هذه الحسان الشاعرة لميعة عباس عمارة التي رفضت الزواج منه، مؤثرة شعرها على زواجها، واعتدادها بإبداعها على حب سوف يزول بالزواج كما ظنت، وقد أكد هذا الشعور في نفسه رفض أكثر من فتاة جميلة أحبها أو مبادلة هذا الحب، فقد كان أحب فتاة في (دار المعلمين العالية) ثم انتقلت إلى كلية الحقوق، وكان يسلمها الشعر بيده، لكن هذه الجميلة كانت واقعية بالرغم من إعجابها بشعره، وفقره أدى إلى أن تتزوج رجلاً غنياً والحق أنه جميل، فجمعت بين المال والجمال ، وتلك حالة المرأة في أكثر الزيجات؛ فهي تفضل المنصب والجاه على الحب، فقد كانت نريمان مخطوبة لطبيب ناجح، ولكنها رجحت الملك فاروق على حبها، ولما سألها الناس قالت سأكون ملكة ومع الطبيب سأكون زوجة الطبيب.

أراد الشاعر أن يتخلص من شعوره الداخلي، فنفّس في شعره عن ألمه الداخلي، ليتخلص من القنوط النفسي. وإن شعوره بالقبح تجسم عنده؛ لأنه لم يجد من تبادله الحب وتعطف عليه ، وبخاصة تلك الفتاة الجميلة التي آثرت المال والجمال عليه، فجاء اسمها تاره لمعة مثل (لمعة الأمواج) واستمر حبه لها حتى بعد الزواج لهذا قال:

ولكن كل من أحببت قبلك ما أحبوني
ولا عطفوا عليّ
عشقت سبعا ترف أحيانا
ترف شعورهن عليّ تحملني
إلى العين

ويصر على حبه وغرامه فيقول:

سأهواك حتى نداء بعيد
تلاشت على قهقهات الزمان
بقاياه من ظلمة من كل مكان
وظل الصدى من خيالي بعيد

إن عقدة القبح والشعور بالنقص وُلدا في جيكور والبصرة وبرزا في بغداد فكان هذا الشعور مدعاة إلى السمو والنقص والتجديد الفني والإبداع الشعري. والمجتمعات المتخلفة لاتعرف المكانة إلا للسلطة والجاه . ولايجد الشاعر المبدع أمله في الحياة.

■■ جيل الفترة بين ٤٠ ـ ٥٠ من هذا القرن أخذ يدرس العلوم المختلفة مع اللغة العربية . . فتحيفت اللغة العربية .

***

■■ أراد بدر التخلص من شعوره الداخلي فنفس في شعره عن ألمه ليتخلص من القنوط النفسي .

■ محمد فريد أبو حديد

دراسة أدبية

■ الشاعر محمد إقبال

في أدبنا الإسلامي نماذج عدة من العبقريات الفريدة سنقف عند واحد منها، تتمثل فيه خصائص الأدب الإسلامي كلها.. الخصائص العقدية، والخصائص الفنية، والخصائص الشمولية أو مايسميه بعضهم «العالمية» هذا النموذج هو نصر أدبي لشاعر مسلم تجاوز حدود الإقليمية الضيقة، وتجاوز حدود اللغة الواحدة إلى لغات كثيرة تُرجم إليها.

خصائص الأدب الإسلامي

لامي في مطوّلة إقبال

بقلم: الدكتور
عبدالباسط بدر

● عاش الشاعر محمد إقبال مابين الربع الأخير من القرن التاسع عشر والثلث الأول من القرن العشرين.. ولد بمدينة سيالكوت في إقليم البنجاب الذي أصبح الآن جزءاً من باكستان، وتلقى علومه الإسلامية في مدارس مدينته ثم في لاهور، ثم تابع دراسته الأدبية والفكرية في انجلترا وألمانيا، وعاد إلى بلاده ليعيش هموم المسلم الصادق في بعديها المحلي والعالمي، هموم المجتمع المسلم الذي كان يكافح وسط محيط بوذي ـ هندوسي لتكون له ذاته المسلمة المستقلة، وهموم المجتمعات الإسلامية الأخرى التي ترزح تحت وطأة الجهل والتخلف وهجمة الاستعمار الأوروبي وضرباته الموجعة هنا وهناك.. وكان الواقع الذي يعيشه إقبال وأمثاله من المفكرين والأدباء والدعاة أقرب إلى الإحباط واليأس.

● فالحضارة التي صنعتها ممالك إسلامية شتى أفلت في كل مكان ،ومعظم البلاد الإسلامية يحكمها استعمار أوروبي، يمتص خيراتها ويجتهد في تذويب شخصيتها وفصلها عن تراثها ومنعها من أن تنهض ثانية، والبلاد التي تسبح فوق كنوز من الخيرات الوفيرة والمعادن الظاهرة والمخبأة يعيش معظم أهلها تحت مستوى الفقر كما يقول الخبراء والمحللون.. ومع ذلك.. وفي هذا الواقع الكئيب المظلم تشرق نفس إقبال كمصباح يتوهج في القيمة، فيتألق نوره بقدر ماتكون القمة حالكة، ويزداد أثره بقدر ما تشتد الظلمة ويكتب القصائد القوية المؤثرة، التي تنطلق من الواقع وتحمل في ثناياها الكثير من آلامه، لكنها تجعل تلك الآلام معبراً إلى الآمال.. بل إلى اليقين الذي يملأ النفس ويدفعها إلى الخروج من متاهة الضياع، والخلاص من عوالق اليأس والإحباط والنهوض، أو القفز إلى أرض جديدة.

● تبدأ مطولة إقبال هذه بصوت أقرب إلى الأنين، صوت يحمل معاناة الواقع المظلم، ويشكو إلى الله ما يحس به الفرد المسلم الداعي آنئذ من ألم ومرارة، فيصور الشاعر نفسه وقد ملأته هموم المجتمع المسلم ، يجلس في الليل يزفر الزفرات وينازع نفسه في أن يبث آلامه أم يكتمها.. فهو يحس أنه يعيش في حالة مناقضة كل المناقضة لماضيه الإسلامي المشرق ولايجد سوى أن يهرب بخياله من ألم الحاضر إلى عزاء ذلك الماضي المجيد.. يقول:

شكواي أم نجواي في هذا الدجى
ونجوم ليلي حُسّدي أم عُوَّدي
أمسيت في الماضي أعيش كأنما
قطع الزمان طريق أمسي عن غدي
والطير صادحة على أفنانها
تُبكي الربا بأنينها المتجدد
قد طال تسهيدي وطال نشيدها
ومدامعي كالطل في الغصن الندى
فإلى متى صمتي كأني زهرة
خرساء لم ترزق براعة منشد

كل شئ يحمل الحزن ويجسده، الليل، والطير الذي لايغرد إنما ينوح السهاد الذي يؤرق الشاعر والدمع الذي ينسكب من مآقيه لوحة كاملة من الحزن صنعها واقع مؤلم، ونفس مؤمنة يثور فيها سؤال كبير، إلى متى يبقى الأديب صامتاً.. وهل يجوز أن يغمض عينيه عن آلام مجتمعه ويهرب بخياله الواسع إلى الماضي ليجد فيه العزاء لنفسه.. وسرعان مايجد السؤال جوابه: إن صاحب العطاء مسؤول عن عطائه.. ولابد له أن ينهض بمسؤوليته، ويصدح بصوته يقول:

قيثارتي ملئت بأنات الجوى
لابد للمكبوت من فيضان
صعدت إلى شفتي بلابل مهجتي
ليبين عنها منطقي ولساني
أنا ما تعديت القناعة والرضا
لكنما هي قصة الأشجان

وهنا يفتح إقبال الباب واسعاً لأشجانه، أشجان المسلم المؤمن الذي يحمل هموم مجتمعه المسلم فيما أصابه في دينه أولاً.. فضعف المسلمين وتخلفهم ضعف لشريعة الله في الأرض، وربما عجز عن تطبيقها، وقد أمر المسلم بحملها وتطبيقها.. لذلك تصور شكوى إقبال إلى الله وحده.. شكوى مصاب الدين للديان.. يقول:

أنا ما تعديت القناعة والرضا
لكنها هي قصة الأشجان
أشكو وفي فمي التراب وإنما
أشكو مصاب الدين للديان
يشكو لك اللهم قلبٌ لم يعش
إلا لحمد علاك في الأكوان

وتفتح الشكوى له باباً واسعاً ينفذ منه ليوقفنا على حجم المصاب وليبدأ أيضا رحلة التخطي من اليأس إلى الأمل.. وأول خطوة فيها العبور إلى الماضي، لنقف من ناحية على أبعاد المفارقة بينه وبين الواقع، فندرك حقيقة ما نحن فيه، ومن ناحية أخرى لنستمد من هذا الماضي عزيمة تحيي الأمل في النفوس بعد أن كاد يموت، وينظر إقبال إلى الماضي نظرة شمولية، يقارن فيها بين حال العالم قبل البعثة النبوية، وحاله بعدها، بين تيه الجاهلية وليلها المظلم، وهداية الإسلام ونوره المشرق.. يقول:

قد كان هذا الكون قبل وجودنا
روضاً وأزهاراً بغير شميم
بل كانت الأيام قبل وجودنا
ليلاً لظالمها وللمظلوم

ويستعرض إقبال صوراً من تخبط البشرية في تيه الجاهلية حينا تردت إلى هوة الوثنية، وأهانت الجباه، وأسجدتها لحجارة وشجر يقول:

عبدوا تماثيل الصخور وقدّسوا
من دونك الأحجار والأشجارا
عبدوا الكواكب والنجوم جهالة
لم يبلغوا من هديها أنوارا

وفي ظل هذا التيه تضيع قيمة العطاءات والإبداعات، فكل شئ مرتبط بعقيدة هانت وأهانت الإنسان، ومن ثم فكل ماتخرجه من فلسفة وحكمة ملوث بضلالاتها يقول:

قد كان في اليونان فلسفة وفي الـ
رومان مدرسة وكان الملك في ساسان
وبكل أرض سامري ماكر
يكفي اليهود مؤونة الشيطان
والحكمة الأولى جرت وثنية
في الصين أو في الهند أو توران

ويقف إقبال عند موقع التغيير، الذي بدل مفهومات العالم عن الحضارة، وبدل الحضارة نفسها، هذا الموقع هو البعثة النبوية، فيها بدأ تغيير العالم الجاهلي في الأرض إلى عالم إيماني حق، وبالقيم والحضارة الإسلامية والسلوك الذي صنعته في الأفراد والمجتمعات تبددت الجاهلية، وأشرق النور، وانتشرت عطور الإيمان يقول:

لما أطل محمد زكت الربا
واخضر في البستان كل هشيم
وأذاعت الفردوس مكنون الشذا
فإذا الورى في نضرة ونعيم

ولكن هذا التغير لم يحدث في لحظة أو يوم، ولم يحدث تلقائياً ولو شاء الله ذلك لفعل، ولكنه جلت حكمته شاء أن يكون التغير على يد الجيل الذي رباه رسول الله صلى الله عليه وسلم وامتداداته، وشاء أن يكون بجهاد حثيث يندفع فيه المؤمنون طلباً لإحدى الحسنيين: النصر أو الشهادة، وشاء أن يكون ناموساً من نواميس الحياة البشرية، الجهاد في سبيل الله، وبذل الغالي والرخيص عندما تتطلب شريعة الله ذلك، وقد وفى المسلمون الأولون بهذه المتطلبات، وبذلوا في الفتوحات كل ما تطلبه الجهاد منهم: النفس والمال، في غير خوف ولا شح، وهذه الحقيقة يتغنى بها إقبال ليعيد للشخصية المسلمة المحبطة آنئذ قوتها ويصلها بماضيها المجيد.. يقول عن ذلك الماضي:

كنا نقدم للسيوف صدورنا
لم نخش يوماً غاشماً جباراً

كان العبور إلى الماضي في شعر إقبال وسيلة يستمد

كنا جبالاً في الجبال وربما
سرنا على موج البحار بحارا

ولم تكن دعوة المسلمين بالسيف بل كانت بالخطاب والتبليغ والسلوك الإيماني فضلاً عن الجهاد والتضحية يقول:

بمعابد الإفرنج كان أذاننا
قبل الكتائب يفتح الأمصارا
لم تنس إفريقيا ولاصحراؤها
سجداتنا والأرض تقذف نارا
ندعو جهارا لا إله سوى الذي
صنع الوجود وقدر الأقدارا
وكأنّ ظل السيف ظل حديقة
خضراء تنبت حولنا الأزهارا
ورؤوسنا يارب فوق أكفنا
نرجو ثوابك مغنماً وجوارا

يبرز إقبال صورة للشخصية المسلمة التي صنعها الإيمان، ويبرز من خلالها حقيقة الدعوة والفتوح، ويرد بهذه الصورة على كل افتراءات المفترين، الذين يدّعون أن الفتوحات ونشر الإسلام إنما كان لأهداف اقتصادية.. وربما كانوا يمرون على الصنم من الذهب فيكسرونه ليبددوا به الكفر، لاليقتنوه مغنماً قريباً.. يقول:

كنا نرى الأصنام من ذهب فنهد (م)
مها ونهدم فوقها الكفارا
لو كان غير المسلمين لحاذها
كنزاً وصاغ الحلْي والدينارا

ويواصل إقبال رسم صورة للشخصية المسلمة التي صقلها الإيمان في ماضينا.. ليجعلها نموذجا لجيله الضعيف المحبط، وليريه طريق التغيير الحقيقي، الذي يبدأ بتربية النفس والعمل الجاد المخلص.

وركز إقبال في قصيدته على أول معلم ـ ولعله أهم معلم ـ من معالم التغير.. وهو بناء الشخصية المسلمة المؤمنة السوية، فبدون هذا البناء لايستقيم عمل ـ فبناؤها عقدياً وسلوكيا ينطلق من التوحيد ومن استيعاب شرع الله وتطبيقه في السلوك الفردي والجماعي حتى ليغدو صدر المسلم مصحفاً مسطور فيه القرآن ـ يقول:

توحيدك الأعلى جعلنا نقشه
نوراً تضئ بصبحه الأزمان
فغدت صدور المؤمنين مصاحفاً
في الكون مسطوراً بها القرآن

وسرعان ما أنبتت تلك التربية السليمة أشجاراً أو ثمارا وظهرت صفات الشخصية الجديدة في الإيمان الذي يملأ النفوس، ويوجه السلوك ويصنع الحياة القويمة يقول:

نحن الذين استيقظت بأذانهم
دنيا الخليقة من تهاويل الكرى
نحن الذين إذا دعوا لصلاتهم
والحرب تسقي الأرض جاماً أحمراً
جعلوا الوجوه إلى الحجاز وكبروا
في مسمع الكون الكبير فكبرا

ويكاد ينفرد محمد إقبال من بين شعراء عصره بهذا التغني الفخور الطرب بالإيمان، ويصل حباله بحبال الجيل الأول من الشعراء المسلمين، الذين كانوا يفخرون على الجاهليين بإيمانهم ويتغنون به بفخر واعتزاز كعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك.. وهذه رؤية إيمانية عميقة لحقيقة الصفات التي ينبغي أن يفخر بها، المسلم، صفات الإيمان والهداية التي خصه بها ولعل حرص محمد إقبال على تقديمها تنبيه قوي لجيله المتعب إلى الصفات التي ينبغي أن يبدأ صياغة نفسه بها، وإلى الكنز الذي يتفرد بملكيته عن غيره، وإلى القيمة العليا التي يجب أن يحس بها، فالمؤمن عزيز بإيمانه، قوي بعقيدته أولاً.. وهذا الشعور هو الذي يسهل عليه الانطلاق لتغيير واقعه المرير.. وفي يقيني أن اهتمام إقبال بهذه القضية هو

...ها العزيمة لإحياء الأمل في النفوس

أثر من آثار وعيه الصحيح لحقيقة الشخصية المسلمة، وإلحاحه عليها في شعره نتاج تكوين قريحته ووجدانه، وامتزاج العاطفة بالإيمان.. لذلك يستمر في تغنيه الإيماني هذا ليشحن جيله المعاصر بمعانيه الفنية المؤثرة يقول مصوراً ما صنعه المسلمون في العالم:

بلغت نهاية كل أرض خيلنا
وكأن أبحرها رمال البيد
في محفل الأكوان كان هلالنا
بالنصر أوضح من هلال العيد
في كل موقعة رفعنا راية
للمجد تعلن آية التوحيد
أمم البرايا لم تكن من قبلنا
إلا عبيداً في إسار عبيد
بلغت بنا الأجيال حرياتها
من بعد أصفاد وذل قيود

ولاشك أن صور المجد الإيمانية هذه ستنقل كل من تمتلئ بها نفسه إلى عوالم من عزة الإيمان تهون أمامه كل واقع مرير، وتشحنه بالقوة والإحساس الصحيح بأنه قادر على أن ينتقل من طين الأرض الموحلة إلى خضرة الربا والتلال.. وهنا يجد إقبال الفرصة سانحة كي يعود من الماضي إلى الحاضر.. يعود محملاً بأمجاد الماضي لينظر في هوان الحاضر آنئذ نظرة صحيح معافى يرى بوضوح ويشخص الداء.. ليعرف ما الدواء.. وكان الحاضر كما أسلفت مريراً مليئاً بالجراح والأوجاع، يئن فيه المسلمون، ويشكو من خلالهم إسلامهم، الضعف والهوان على الآخرين فقد استعلت الجاهلية ثانية، وتأخر حملة الحضارة الإسلامية وصارت معظم مواطنها نهباً للثعالب والذئاب.. يقول:

قد هبت الأصنام من بعد البلى
واستيقظت من قبل نفخ الصور
وقوافل الصحراء ضل حداتها
وغدت منازلها ظلال قبور

ويدهش إقبال لما آل إليه حال الإسلام في أبنائه يقول:

ماذا دهى الإسلام في أبنائه
حتى انطووا في محنة وعذاب
فثراؤهم فقر ودولة مجدهم
في الأرض نهب ثعالب وذئاب

ولاشك أن هذه الصورة هي التي أنبتت في نفسه الهموم وملأتها بالآلام، التي بدأ بها قصيدته.. غير أن الصورة هنا ليست صورة تيئيس وإحباط.. بل صورة استثارة واستنهاض، ليبدأ طريق التغيير والخلاص.

وقد كان إقبال موضوعياً في منطلقاته.. بدأ قصيدته يبث أمواج الحزن والمرارة لما يراه من واقع المسلمين، ثم تخطى الواقع إلى الماضي ليثبت عراقة جذورهم وضخامة قدراتهم ثم عاد إلى تصوير الحاضر ليستثير النفوس، ويدفعها للخروج من الوهدة التي وقفت فيها.. وكانت استثارته هذه المرة قوية توصل إلى الحركة وليس إلى القنوط فقال في لهجة أقرب إلى الاستنكار والاستثارة:

ماذا دهى الإسلام في أبنائه
حتى انطووا في محنة وعذاب
فثراؤهم فقر ودولة مجدهم
في الأرض نهب ثعالب وذئاب

ثم يلتفت إلى الذين تسببوا في ضعف المسلمين أو على الأقل تسببوا في إشاعة اليأس فيهم إلى المستعمرين، ويربط بين ماهم عليه من قوة وثراء وبين المسلمين.. فيرى أن هذا مأخوذ من ذاك.. وهذه درجة عليا من الاستثارة والاستنهاض، يقول:

عاشوا بثروتنا وعشنا دونهم
للموت بين الذل والإملاق
الدين يحيا في سعادة أهله
والكأس لاتبقى بغير الساقي

ويصرح في أبيات أخرى بأن هذه المقارنة هي التي تحضه، وهي التي ينبغي أن تكون دافعاً من دوافع التغيير يقول:

قد هاج حزني أن أرى أعداءنا
بين العلا والظل والألحان

يكاد ينفرد إقبال من بين شعراء عصره بالت

ونلجلج الأنفاس نحن ونصطلي
في الفقر حين القوم في بستان

وهنا يخاطب الشخصية المسلمة النموذجية، التي تحمل الهدى لنفسها أولاً وللآخرين من ثم، يخاطبها أن تعود إلى ملء الساحة وقيادة المجتمع إلى التخطي والارتقاء، ويتوجه بمشاعره إلى قلب العالم الإسلامي إلى مكة والمدينة، ويرى فيها رمز الهداية ومجمع العواطف. بل رمز العودة إلى زهو الحضارة الإسلامية وألفتها.. يقول مخاطباً الشخصية المسلمة:

أشرق بهديك وابعث النور المضيء (م)
بومضه لفراشك الظمآن
أشواقنا نحو الحجاز تطلعت
كحنين مغترب إلى الأوطان
إن الطيور وإن قصصت جناحها
تسمو بفطرتها إلى الطيران

وهذه الصورة صورة الطيور التي قصت أجنحتها ولكنها مع ذلك تتواثب لتطير تحمل في دلالاتها الأمل، بل اليقين بأن المسلمين لن يستكينوا لواقعهم المرير، وأنهم سينهضون بعزم رغم المعوقات ليبدأوا التغيير.. وأنهم متجهون إلى قبلة صلاتهم بقلوبهم.. أي سيجعلون الإيمان محكهم الأقوى، وسيجعلون إعلاء دينهم هدفهم الأسمى.

ويختم إقبال مطولته بصور شاعرية رفافة تمسح آثار الحزن والهموم، وتشد على أيدي الذين يتجاوزون اليأس والإحباط إلى العمل الدؤوب المثمر، وكان هؤلاء قلة بين الناس آنئذ، يشبههم الشاعر بطير تفرد من بين بقية الطيور بالغناء، في حين عقدت الدهشة والخوف ألسنة الطيور الأخرى. ويشبه المجتمع المسلم في ركوده واستسلامه للضعف والتخلف والاستعمار في ذلك الحين بروض ساكن، تعرت أشجاره، وهجرته بلابله.. غير ذلك البلبل الذي تفرد بالغناء، لتعود بقية الطيور وتشاركه التغريد، ولتعود الخضرة إلى الأشجار.. ويدعو الله مخلصاً أن يكون صوت ذلك البلبل.. صوته وصوت الدعاة ورواد التغيير، قوياً مسموعاً يبلغ آذان الآخرين ويحرك قلوبهم، ويعيد إليها نبضات الإيمان قوية متوهجة يقول:

مابال أغصان الصنوبر قد نأت
عنها قماريها بكل مكان
وتعرت الأشجار من حلل الربا
وطيورها فرت إلى الوديان
يارب إلا بلبلاً لم ينتظر
وحي الربيع ولا صبا نيسان
ألحانه بحر جرى متلاطماً
فكأنه الحاكي عن الطوفان
ياليت قومي يسمعون حكاية
هي في ضميري صرخة الوجدان
أسمعهم يارب ما ألهمتني
وأعد إليهم يقظة الإيمان

وتطول بنا الأوقات لو رحنا نستعرض مطولة إقبال بيتاً بيتاً.. لكننا نجتزئ بتلك الفقرات لنقرأ فيها سطور الإلهام الشعري والعبقرية الأدبية، ولنرى كيف يصنع الشاعر المسلم العبقري من قضيته أعمالاً تهز القلوب وتحرك النفوس..

وكيف تكون عبقريته في مزجه بين الفكر والوجدان، بين العقل والقلب.. كيف يصوغ من واقعه نسيجاً شعرياً متميزاً تتلألأ خيوط الإيمان فيه، وتخاطب المسلمين ليس في بيئته ومحيطه وحسب.. بل في كل بيئة ومحيط، تستثير كوامن العزة فيهم، وتملؤهم ثقة بشخصيتهم الإسلامية، وبقدرتها على تخطي مراحل الضعف والتخلف والانتقال إلى مراحل الريادة الحضارية التي كان عليها أسلافهم.

ي الفخور الطرب.. بالإيمان

إلى مصر.. تحية ووف

لَفَـتَـاتُ جِـيـدِك أم حَنـينُ الوادي
وهَوَى الصِّبا أمْ بَهْجَة الأعْيادِ
وربيع سـاحِك أمْ طيـورُ الدوحِ بيـ
ـن روائعِ التَّغْـريد والإنْشـادِ
رَجَـعَتْ بي الذِّكْرى فَيَا لحنينِها
وحَنانِهـا ومَـرَابعٍ ونِجـادِ
فلكم دَرَجْتُ على رُبَاك على ضِـفـا
ف النيل بَيْنَ حَـدَائقٍ ونَوَادِ
وأطُوفُ بَيْنَ ظِلالِهـا، وأشُمُّ مِنْ
عَـبقَ الزُّهور وخَـفْـقَـةِ الأوْرادِ
وأطُوف بيْنَ مَصَانع التاريخ بيـ
ـنَ قِـلاعِـهـا وَطَرِيفِـهـا وتِلادِ
ومَنَازِل لِلْعِلْم تَطْلُعُ عِنْدها
إشْـرَاقَـةُ الأبْنَاءِ والرُّوَّادِ
ويموجُ فى سَاحَاتِها نورٌ يشُـ
ـقُّ لَهُمْ سَبِيلَ هدايةٍ ورشَادِ
وتموجُ آمَالٌ وتخْفُقُ أضْلُعٌ
وترفُّ أشْواقٌ ويَعْبق نَادِ
ونَهلتُ مِنْ تلك الينابيع التي
رَوَتْ، وعِدتُ مِنَ الجَنى بالزّادِ
ولبسْتُ مِنْ حُلَلِ الشباب وزَهوِه
هدْياً يزينُ وآيةً بفُؤادي
وَجَمَعْتُ من عبَقِ الجِنانِ رفيفَها
ومِنَ التقى عزْماً ولَهْفةَ شَادِ
خمساً قَضَيتُ هنَا على رَبواتِها
لحْناً يردِّدُ في هوىً ووِدادِ

•••

أنّى تلفَّتَ خَاطِرِي في ساحِها
يَلْقى مِنَ الذكرى حنيَن وِهادِ
الذكرياتُ رَجَعْنَ يحملْنَ الهوى
ويَصِلن أمجاداً إلى أمجادِ
ويُعِدْن من أشواقنا أحْلى الهوى
وَثَباتِ عمْرو أو صَهيلَ جوادِ
ويُعِدْن من شَرف الفُتوح وعُرْوَةٍ
وصَلتْ هوى الأكْبادِ للأكْبادِ
وإذا ربوع الأرض تُشْرق والدُّجى
يَنْجابُ عن فجْرٍ ويُمْنٍ باد
وإذا جنودُ محمد ملء الزما
ن طلائع البشرى وريُّ الصادي
نسبٌ يَشُدُّ من العُرا ويُعيد من
أشواقِ أصهارٍ إلى عُبّادِ
نَسَبٌ مع الأيام ماضٍ فاهنئي
يامصر بالشّرف الغَنيّ الهادي
وإذا بِدارِك نفحة المسك التي
نشَرَتْهُ مكّة في ربى وبِلادِ
عَبَقُ النُّبُوَّة في رُبُوعِك لم يَزل
فوحَ الوفَاءِ وخفقَةَ الأنجادِ

بقلم: الدكتور
عدنان على رضا
النحوي

ـاء

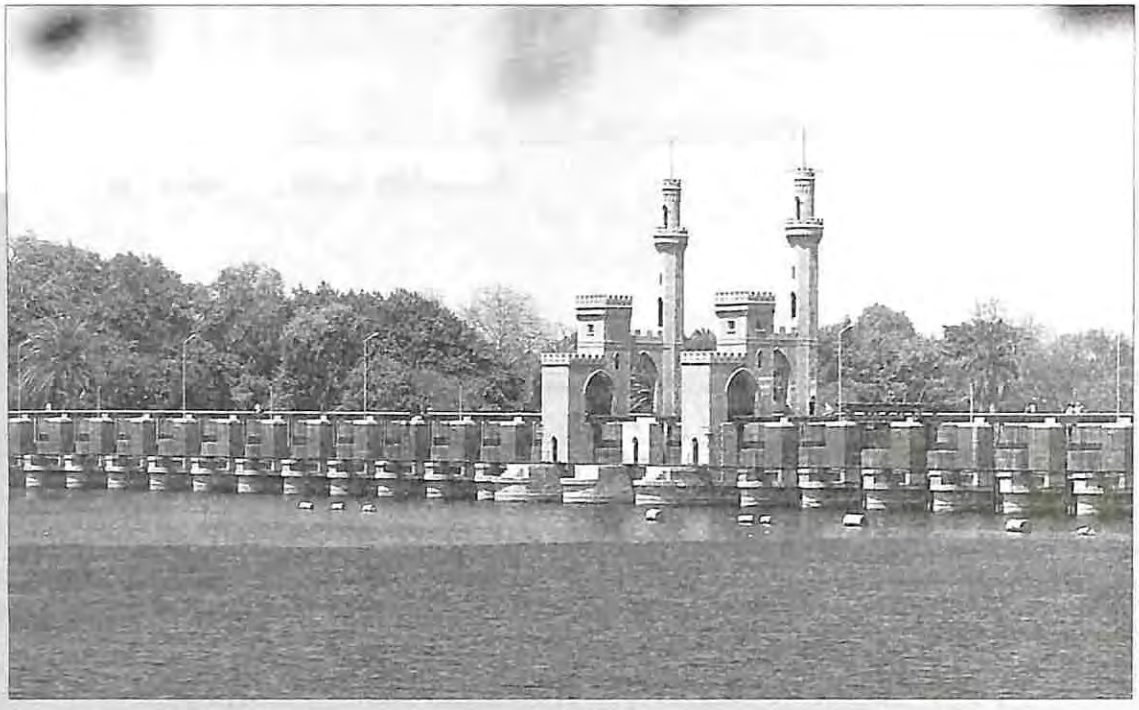

●●●

يانيل! من أيّ الجنانِ حَملْتَها
خيرات ساحَاتٍ ورفّةَ وادِ
ترْوي الزَّمان، تَشُقُّ بيْنَ صُخُوره
شقّاً غَنيَّ الدفْقِ والإمدادِ
جنّاتٌ عدْنٍ ذوَّبْت أنْفاسَها
فَسكَبْتَها رياً ودفقَ بَوَادِ
ونَثَرْتَ، يانيلُ!، الزهورَ ندّية
وشْيَ العُصور وحلْيَةَ الآمادِ
ونشرْتَ في الآفاقِ عطْرَك فانتشَتْ
وَتلفَّتتْ شوقاً ليسحْرِ الوادي

●●●

يَانِيلُ! مَنْ وهَبَ الجَمالَ ومَنْ تُرى
أحْيا الغراس جنىً وطيبَ حصَادِ
من مدَّ أنداءَ الظِّلال تَرِفُّ في الشـ (م)
ـطّين أشواقاً ولهْفَةَ صَادِ
ومن الذي وَهَبَ النّسيم رَفيفَهُ
وَنَداه بيْن رَوَائح وغَوَادِ

يانيلُ! من أجْرى المياه غنّيةً
دفّاقةً بالبرِّ والإسْعادِ
فاخْشَعْ إلى الرحمن دَفْقُك آيةٌ
للذاكرين ورَحْمةٌ لِعبَادِ

●●●

يامِصرُ! مَنْ وهَبَ الحياة ومدَّ منْ
نعَم تَظلُّ غَنَّيَةَ الإرْفَادِ؟
فَسلي النّخيلَ على الضفافِ وربْوَةً
وسَلي الجِنانَ وزهوةَ الأبْرادِ
وسَلي الدّيار وكلَّ رَبْع خافِق
وسَلي الطيورَ بغُصْنِها الميَّادِ
ماذا تُجيب؟! وأسْمَعُ الصَّوتَ النَّد (م)
يَّ يُعيدُ من شَوقٍ ومن تَرْدادِ
أنا نفحةُ الإسلامِ كلُّ أزاهري
منْه تظلُّ غنيةَ الإمدَادِ
جَمَّعتُ مِنْ نَفَحاته عطْريْ شذاً
وسَكَبْتُه مَداداً بَغْير نَفَادِ

إلى مصر . . تحية ووفـــاء

أنا دفْـقَـةُ الإيمان والتـوحـيـد بيْـ
ـن رُؤي الشَّـهـيـد ووثبَـة الإشـهـادِ
أنَا دُرَّةٌ فـي عِـقْـده المنْظوم لُؤْ
لُـؤَةٌ بِكَـنْـزِ عَطائـه وَرِفـادِ
كم زَهْرَةٍ نَـبَـغتْ على سَـاحَـاتهـا
أو عَـبْـقَـرِيٍّ كَـانَ كَفٌّ جَـوادِ
تِلْـكَ الميـادينُ التي رَوَّيْـتُـهـا
سَـتظلُّ تروي جَـوْلَتـي وجِـهـادي
يامِـصْـرُ طيـبي واخـشـعـي لله في
رَهَـبٍ وأشـواقٍ وسَـعْـيٍ هَـادِ
هذى المسَـاجـد والمنَابِر أوْبَتْ
للّـه خـاشـعـةَ القُلُوبِ صَـوَادي
والأزْهَـر الفـوّاح ملءُ رِحَـابِـه
عَـبَقٌ التُّـقَـاة وعَـزْمَـةُ العُـبّـادِ
دارٌ بَنى الإسْـلامُ عـزمَ أسـاسـهـا
لتظلّ حِـصْنَ رِسَـالة وجِـهَـادِ
في كلِّ ناحـيـة عـلومٌ أشْـرقَتْ
فـيـه وجـولـة عـالم وجَـوادِ
كم عـالمٍ نَـبـغـوا، عـطاءُ قلوبـهمْ
فـوْحُ الزُّهُورِ وَنَـفْـحَـةُ الأوْرَادِ
مَنحـوا الحـيـاةَ جـمـالها بوفـائهم
لـله فـي مِـحَـنٍ هنـاكَ شِـدَادِ
وكـأنّهُمْ ملء الزمـان كـواكبٌ
زَهَرتْ على الدنيـا بِـفَـضْـل بادِ
تتـزاحَمُ الدنيـا على سَـاحَـاته
أمماً وفـود حـواضـر وبواد
الأزهر الـفـواحُ جـامِعُ أمـة
زَهَرَت بـهـا الدنيـا وآيُ رشـاد

●●●

يامِـصْـرُ! يا أمَلَ الشـجيّ ودوحـةً
للحـائرين ولهْـفَـةَ الـقُـصّـاد
يَـلْـقَـونَ بـين رُبـاك أنْداء الظّـلا
لِ منَ الهَـجـيـر ونَسْـمـةَ الإبراد
مـاإنْ وثَـبْتِ لجـولة وَرَفـعْتِ را
يـةَ أحْـمَـد وخَـشـيتِ يَـومَ مَـعـادِ
ونَشَـرْتِ دينَ الحقّ آيَ رسـالة
للّـه عَـزْمَـةَ أكـبُـد وأيَاد

●●●

قـدْ كـان للإسْـلام عِـقْـدُ جـواهر
نَبَـغَتْ وحَـبْلُ أُخُـوّة ووداد
فـتـناثرتْ تلك الجـواهرُ وانطوى
ذاكَ البـريـقُ وغـابَ خَـلْفَ سـوادِ
وتقطّعَتْ تِلْـكَ الحَـبـالُ ومُـزِّقَتْ
تِلك الدّيـارُ أسىً ونهْـبَ عـوادِ
فـي كلِّ دارٍ نـكبـةٌ وفَـواجـعٌ
وبـكلِّ سَـاحٍ وثْـبَـةٌ وتنـاد
يا أمّـة الإسـلام مُـدّي من يد
ليَـد وعَـزْمٍ صَـادقِ الإنجـادِ
صـفّـاً يُرَصُّ كَـأنّه البُـنيـان بيـ
ـنَ عـزائم صَـدَقت وبـين عِـمـادِ
إنْ لم تَـقُمْ في الأرض أُمَّـة أحْـمَـد
ضَـاعَ الرَّجَـاء وغَـابَ صِـدْقُ مُـرادِ

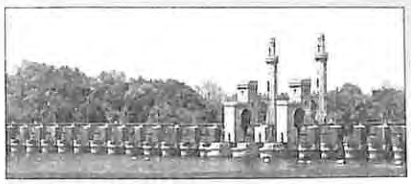

قصة قصيرة

في المرآة

التقطت عيناه بضع شعيرات كثلج كانون، تحسس الشعيرات فذابت في سواد الرأس ولم يعد لها وجود، واصل التحديق في المرآة ثم ابتسم، هل يعني اختفاء الشعيرات البيضاء أنه لم يعد لها وجود؟، كلا بالطبع، ستعود غداً وبعد غد وفي جعبتها عشرات الشعيرات بل مئات، استيقظ في أعماقه حسٌ مفاجيء بعدد سنوات عمره: كان قد ودع الثلاثينات قبل عامين.. وضع أقدامه دون أن يدري على الدرجات الأولى من الثالثة والأربعين، أحسّ كأنما كان يسرق الزمن أو يسرقه الزمن، حاول الفرار من هذه الحقيقة الفولاذية فلم يفلح، نهض من مكانه وأحضر شهادة الميلاد وحدق بها فلم يجد أي منفذ للنجاة، بدت أرقامها واضحة كأحرف الإعلانات، تخيل الأحرف وكأنها تتحداه، أو كأنها تقول له بلسان غير ذي عوج: كم أربعون بقيت؟!

وهنا فُتح منفذ من منافذ النجاة، وهتف في أعماقه هاتف: من قال إن العمر يُحسب بالأعوام والسنين؟ ألم يعش جدّه لأمه حتى جاوز المائة؟ ألم يذهب صديقه رضوان إلى لقاء ربه في عشرينيات عمره، وقد صارع المرض حتى صرعه المرض؟ ولماذا يذهب بعيداً: ألم تحطم سيارة مسرعة جسد ابن جيرانهم سعيد العام الماضي، وكان جده لأبيه من بين مودعيه الوداع الأخير؟ ثم لماذا يبتعد أكثر: ؟ألم تداهم الحمى ابن أخته قبل أيام فقضت عليه في شهره السادس؟ فالعمر إذن لا علاقة له بالسنين، وإن كانت تمضي دون توقف، فتحفر الأخاديد في الوجه وتسكب الوهن في العظام والمفاصل، وتصبغ بلون الثلج شعيرات كانت من قبل سوداء.

عاد إلى المرآة من جديد، حاول العثور على الشعيرات البيضاء فلم يجدها، سرّه ذلك، ولكنه وجد نفسه مشدوداً إلى المرآة، بدت أمامه إطاراً لعالم جديد.. هاتان العينان اللتان تطالعانه على صفحة المرآة هل هما عيناه؟ هذا الوجه المحتقن بالخوف والأمل المكلل بمشروعات أخاديد زمنية واضحة هل هو وجهه؟ هذا الانحسار الطفيف لشعره الغزير عن الجبهة هل هو بداية لتصحر يعصف بالشعر كله؟ ازداد تحديقاً في المرآة فشاهد خطوطاً ضاربة في جذور الفك، تمتد لتتصل مباشرة بأعلى الجبهة أحياناً، وتعرج أحياناً أخرى لتعبر من خلال تلال صغيرة رابضة تحت الأجفان. هل رافقته هذه «الأشياء» لأربعين عاماً أو تزيد؟.. وهل تحول عمره كله إلى سجل زمني مصهور في هذه «الأشياء» التي يراها؟

حاصرته الأخيلة والحقائق في آن واحد فانتبه مدافعاً عن عقله: لماذا تفعل به المرآة هكذا؟.. هل كان غريباً عنها؟.. لا.. إنه ينظر فيها كل يوم، يصفف شعره، يضع رابطة عنقه، يتأكد من لمعان أسنانه.. ينظر فيها كلما لبس جديداً أو خرج لموعد مهم فلماذا فعلت به المرآة اليوم كل هذا؟.. هل هي الشعيرات البيضاء الجبانة؟ هل هو الطفل ذو الأشهر الستة الذي تكلته أخته قبل أيام؟.. هل هي تلك الغربة المكتشفة بينه وبين وجهه ذي الخطوط المرسومة بأصابع الزمن؟ لايدري. كل مايدريه أن شيئاً ما قد حدث خلال لقائه هذا الأخير مع المرآة، وأن ذلك الشيء قد تحدث بدون لسان، وأبلغه رسالة لم تكتب بالقلم، وماذا بعد؟ ما جدوى وجوده وقد انقضت الأعوام الأربعون؟ انقضت وهو في غربة مطلقة عن الحقيقة. وهو في غفلة أكيدة عن موت يطرق باب طفل في شهره السادس.. ويبتعد عن شيخ جاوز المائة. أية عبرة حملتها إليه تلك الشعيرات البيضاء؟ وأية انتباهة فجرتها في أعماقه أخاديد الوجه وتعاريجه. فالشعيرات البيضاء سوف تزداد عدداً وبياضاً، وخطوط الوجه وتعاريجه سوف تزداد عمقاً واتساعاً، وهذه المرآة الحكيمة سوف تزداد شفافية وصدقاً.

أحسّ كأنما كان غريباً عن مرآته فأتلف معها، وكأنما كان جاهلاً بسجله الزمني فقرأه ككتاب مفتوح، وكأنما كان بعيداً عن بؤرة الحقائق منها فهو يحث الخطى نحوها.. وتزاحمت في خياله الأسئلة: كيف؟.. ولماذا؟.. ومتى؟ .. وإلى أين؟

ضاقت به الحجرة فتركها.. احتواه الشارع واختلط بالمارة. تأمل وجوههم، استمع إلى وقع خطاهم ونبذبات أصواتهم.. أحسّ كأنه قريب منهم.. بل خيّل إليه أنه يستمع إلى نبض قلوبهم، رقت مشاعره حتى أحس وكأنما روحه قد استيقظت من سبات عميق.. هكذا وكأنه يرى الأشياء والناس لأول مرة، كان يبتسم للمارة، يحيي بعضهم دون أن يعرفه من قبل، لاحظ أن بعضهم ينظر إليه باستغراب وكأنه مجنون. لم يغضب بل ازداد حباً لكل الأشياء والناس..

وحين وجد نفسه قريباً من بيت شقيقته الثكلى طرق بابها ليخفف عنها مصابها الأليم، فتح الباب عن وجه صغير بريء.. داعب الخال رأس ابن أخته الحليق وهو يقول:

ـ أين أمك ياوهبي؟

قال وهبي وهو يتشبث بسترة خاله ويسير معه إلى الداخل:

ـ في حجرة نومها ياخالي.

طرق باب الحجرة فلم يرد أحد، داهم الخوف قلبه فلم يطق الانتظار، فتح الباب فشاهد أم وهبي تجلس على سجادة وترفع كفيها إلى السماء، حدق فيها فأحسّ أنه أمام مرآة جديدة صادقة تتحدث بكل لغات الأرض.. وتسرد كل حقائق الوجود.

بقلم: يوسف الغزو

دراسة نص شعري

الحب والصحراء لذي الرمة

- الشاعر هو: غيلان بن عقبة بن مسعود
- ولد بين عامي ٣٧، ٣٨ هـ، وتوفى عام ١١٧هـ
- النص من الجزء الأول من ديوانه من شرح أحمد بن حاتم الباهلي.
- تحقيق الدكتور عبدالقدوس أبوصالح
- طبع مجمع اللغة العربية بدمشق ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م

بقلم الدكتور:
عبده بدوي

ألا يا اسلمي يا دارميَّ على البلى
ولازال مُنْهلا بجرعائك القطرُ
وإن لم تكوني غير شام بقفرة
تجر بها الأذيال صيفية كُدرُ
أقامت بها حتى ذوي العود والتوى
وساق الثريا في مُلاءته الفجرُ
وحتى اعترى البُهْمى من الصيف نافض
كما نفضت خيل نواصيها شُقْرُ
وخاض القطا في مكرع الحي باللوى
نطافاً بقاياهن مطروقة صُفْرُ
فلما مضى نوء الزُّباني، وأخلفت
هواد من الجوزاء وانغمس الغفر
رمى أمهات القرد لذعٌ من السَّفى
وأحصد من قُرْبانه الزهرُ النَّضرُ
وأجلى نعامُ البين وانفلتت بنا
نوى عن نوى ميٍّ وحاراتها شزرُ
وقَرَّبْن بالزُّرْق الجمائل بعد ما
تَقَوَّب عن غربان أوراكها الخَطْرُ
صُهابيَّة غُلْبَ الرِّقاب كأنما
تناط بألْحيها فراعلة غُثْرُ
تَخَيَّرْن منها قَيْسَرِيا كأنه
وقد انهجت عنه عقيقَتُه قَصْرُ
رفعن عليه الرَّقْم حتى كأنه
سحوقٌ تدلَّى من جوانبها البُسْرُ
فما زلت أدعو الله في الدار طامعاً
بخفض النوى حتى تضمنها الخِدْرُ
فلما استقلت في الحُدوج كأنها
حرائق نخل القادسية أو حَجْرُ
رجعت إلى نفسي، وقد كاد يلتقي
بحوبائها من بين أحشائها الصدرُ
فوالله ما أدري..أجَوْلانُ عَبْرَة
تجود بها العينانِ أحْجَى أم الصبرُ؟
إذا الهجرُ أفني طوله ورق الهوى
من الإلْف لم يقطع هوى «ميّة» الهجرُ
تميمية حلاّلة كل شَتْوَة
بحيث التقى الصمَّانُ والعَقِدُ العُفْرُ
تَحَلُّ اللِّوي، أوْجُدَّةَ الرَّمل كلما
جرى الرَّمْثُ في ماء القرينة والسِّدْرُ
بأرض هِجَان التُّرْب وَسْمِيَة الثرى
عَذَاة نأت عنها الملوحة والبحرُ
تطيب بها الأرواحُ حتى كأنما
يخوض الدجي في بَرْد أنفاسها العِطْرُ
بها فرَقُ الآجال فوضى كأنما
خَناطيلُ أهْمَالٌ غُرَيْزِيَّةٌ زُهْرُ
حَرًى حين يُمسى أهلها من فنائهم
صهيلُ الجياد الأعْوَجيّات والهَدْرُ
لها بَشَر مثلُ الحرير ومنطقٌ
رَخيمُ الحواشي..لاهُراء ولا نَزْرُ
وعينانِ قال الله: كُونا فكانتا
فعولان بالألباب ماتفعل الخمرُ
تبسم لمحَ البرق عن مُتَوَضِّح
كلون الأقَاحي شاف ألوانَها القَطْرُ
وحيرانَ ملتجٍّ كأنّ نُجُومَه
وراءَ القَتَام العاصب الأعينُ الخزرُ
تعسفته بالركب حتى تكشّفتْ
عن الصُّهْب والفتيان أرواقُه الخضرُ
وماء هتكتُ الدِّمْنَ عن آجناته
بأسآر أخماس جَمَاجِمُها صُعرُ
تَروَّحْنَ فاعْصَوْصَبْنَ حتى وَرَدْنه
ولم يلفظ الغَرْثَي الخُدَارِيَّةُ الوكرُ
بمثل السُّكارى هَتَّكُوا عن نطافه
غشاءَ الصَّرَى عن مَنْهَل جالُه جَفْرُ
بِشُعْث نَشاوَى خَضْخَضُوا طَامياته
لهن ولم يَدْرِجْ به الخَامسُ الكُدْرُ
كَأَن مَجَرَّ العيس أطراف خَطْمها
بحيثُ انتهى من كُرْس مركوّه العُقْرُ
ملاعبُ حيَّات ذُكُور فيَمَّمَت
بنا مُصْدراً والشمس من دونها ستْرُ
إذا ما ادَّرَعْنَا جَيْبَ خَرْق نجَتْ بنا
غُرَيْرِيَّة أُدْمٌ هجائنُ أو سُجْرُ
حر اجيج تُغليها إذا صَفَقَت بها
قبائل من حَيْدانَ أوطانُها الشِّحْرُ
تراني ومثلَ السيف يرمي بنفسه
على الهَول لاخوفٌ حَدانا ولافَقْرُ
نؤُمُّ بآفاق السماء وتَرْتَمي
بنا بينها أرجاء دَوِّيَة غبرُ

نُصَلِّي الليلَ بالأيام حتى صلاتُنا
مُقاسَمَةٌ يَشْتَقّ أنْصافَها السَّفْرُ
نُبادِر إدبارَ الشُّعاعِ بأرْبَعٍ
منَ اثْنَيْن عنْد اثنين.. مُمْساهُما قَفْرُ
إذا صَمَحْتنا الشمسُ كان مَقيلنا
سماوَةَ بيتٍ لم يُرَوَّقْ له سِتْرُ
إذا ضربته الريح رَنَّقَ فوقنا
على حدِّ قوسَيْنا كما خَفَقَ النَّسْرُ

■■ الهجاء:

عجبت لفخر لامرئ القيس كاذب
وما أهلُ حورانَ امرأ القَيْسِ والفَخْرُ؟
وما فخرُ من ليست له أوَّليَّةٌ
تعد إذا عُدَّ القديمُ ولاذكْرُ؟
تسمى امرؤُ القيس ابنَ سَعْدٍ إذا اعتزت
وتأبى السِّبالُ الصهبُ، والأنْفُ الحُمْرُ
ولكنَّما أصلُ امرئ القيس معشرٌ
يحلّ لهم لحمُ الخَنازيرِ، والخمرُ
نصابُ امرئ القيس العبيدُ وأرضُهم
مَجَرّ المساحي لافَلاةٌ ولامِصْرُ
تَخَطَّ إلى القَفْرِ امرأ القيس.. إنه
سواء على الضيف امرؤ القيس والقفر
تحب امرؤُ القيسِ القرَى أن تَنالَه
وتأبى مَقاريها إذا طلع النَّسْرُ
هل الناسُ إلا يا امرأ القيس غادرٌ
وواف.. وما فيكم وفاء ولاغدرُ
إذا انتسمت الأجدادُ يوماً إلى العلا
وشدت لأيام المحُافظةِ الأزْرُ
عَلا باعُ قومي كُلَّ باع، وقصَّرَت
بأيدي امرئ القيس المذلةَ والحَقْرُ
تفوتُ امرأ القيس المعالي ودونَهَا
إذا ائتمر الأقوامُ يَحْتَضَرُ الأمْرُ
فما لامرئ القيس الحصى إن عَدَدْتَه
وما كان يعطيها بأوتارها القَسْرُ
أرِحْمٌ جَرَت بالوُدِّ بين نسائكم
وبين «ابن خُوط» يا امرأ القيس أم صِهْرُ
تحن الى قصر «ابن خوط» نساؤكم
وقد مال بالأجياد والعُذْرِ السُّكْرُ
حنينَ اللَّقاحِ الخُور حرَّقَ نارَهُ
بغَوْلان حَوْضي فوق أكبادها العِشْرُ
ومازال فيهم منذ شب بناتهم
عَوَانٌ من السوءات أو سوأة بِكْرُ
وإني لأهجوكم، ومالي بِسَبِّكُمْ
بأعراض قومي عندَ ذي نُهْيَةٍ عُذْرُ؟

تتكون القصيدة من قسمين، بل يمكن القول إنها تتكون من أصل وفرع. فالأصل عند الشاعر هو الوقوف على أطلال حبيبته «مي» في صحراء كبيرة لم ينس مفرداتها، ومكوناتها الأساسية.. أما الفرع فقد كان هجاء قبيلة امرئ القيس بن عبد مناة، فقد نزل مع جماعة من أصحابه على أهل هذه القبيلة في قرية تسمى «مرأة» فأبوا أن يضيفوهم، ومن ثم كان التهاجي بينه وبين شاعر قبيلة امرئ القيس «هشام المرئي»، وكان من الطبيعي أن يتفوق عليه ذوالرمة لاقتداره الشعري، وحسن استخدامه لأدوات الشعر، وبخاصة الرسم المحكم بالحروف.

والقسم الأول من القصيدة يغطي مساحة كبيرة من القصيدة، لأنه يستغرق ثلاثة وأربعين بيتاً من القصيدة، ومن هنا يمكن القول إن الشاعر يتكلم من مناخه الطبيعي، ذلك لأن مناخه الطبيعي - كما يقرر الدكتور يوسف خليف - هو الصحراء والحب، وابتداء فالأطلال ملمح من ملامح الصحراء، وكان من الطبيعي أن يبدأ به الشاعر، وأن ينطلق منه إلى العالم الصحراوي الرحب من حيوان، ونبات، وطير، وشمس، ونجوم، وريح، فهو لم يقف عندما ترمز إليه الأطلال من جانب عدمي، ذلك لأننا رأيناه يفجر هذه الوقفة، ويحولها إلى حركة، وتوتر، وعشق، بل إنه يمكن القول إنه زرع الحياة في العدم، ذلك لأنه أحسن استعمال «ألا» الاستفتاحية، ودعا للطَّلل بالسلامة، وبمقومات الحياة الممثلة في انصباب المطر، وقد كان هذا طبيعياً بالنسبة له، ذلك لأنه عشق هذا العالم، وارتاح إليه، واستوعبه من الداخل والخارج، صحيح أنه عرف مدن البصرة، والكوفة، ودمشق وأصبهان، ولكنه كان «مغتراباً» في هذه المدن الكبيرة، وغير عارف بدخائلها، وطريقة تأقلم الناس فيها، ولهذا كانت شكواه أكثر من مرة من أنه لم يصبح نجماً من نجوم المدن كالأخطل وجرير والفرزدق.

فالصحراء كانت عالمه الحقيقي، سواء أقام فيها أم غادرها للمدن. ولهذا كان من الطبيعي في مفتتح قصيدته أن يتعامل مع هذا التقليد الاجتماعي والفني الذي تواضع عليه الشعراء، وهو الوقوف على الأطلال، ولكنه وقوف له خصوصية.

وما يهمنا من القسم الأول هو قصة حبه العفيف «لمية» وقصة لقاء بعينه معها ومع صديقاتها، وقصة هديتها له، وكيف أن هذا كله

لم يجئ في شعره ـ علي نحو ماكان يفعل عمر بن أبي ربيعة ـ ذلك لأن ما حركه هو قضية «الرحيل»، فبعد أن رحلت لم يبق «إلا الديار والنظر في الآثار» ومن ثم كانت رحلته التي ماكاد يشرف فيها على «المرتبع» حتى بدأ يجيش، ويقذف بالخطوط الرئيسة لقصيدته في حبيبته مي، وحبيبته الصحراء!

وابتداء فقد عاش يحب مية عشرين عاماً، ولكنها تزوجت ابن عمها، ويبدو أنه لم يكن متحمساً كل التحمس لفكرة الزواج، فنحن لانعرف أنه تزوج، ونعرف أنه كان دائم الشكوى من المرض في شعره، كقوله:

فلما رأين الشمس، والشمس حية
حياة الذي يقضي حشاشة نازع

■■■

أنين الفتى المسلول، أبصر حوله
على جهد حال، من ثناياه عوّدا

■■■

بعد الذي بدلت من عهودي
رأت شحوبي، ورأت تخديدي

■■■

هام الفؤاد لذكراها وخامره
منها على عدواء الدار تسقيم

■■■

أنيناً وشكوى بالنهار كثيرة
عليّ، وما يأتي به الليل أبرح

ولعله كان وراء ذلك مرضه العصبي الذي ظهرت بوادره في الصغر، وفي ضوء هذا يكون من الطبيعي أن يتعامل مع هذا الحب اليائس، وأن يظل يغذيه في نفسه ليكون نبعاً للشعر، فالشعر كان هو الوجود الحقيقي في حياته، ولم تكن المرأة كوجود حيّ تعنيه.

وعلى كل فالشاعر لم يطل الوقوف على الآثار كمكان، ذلك لأنه تخطي ذلك إلى قضية الزمان، التي وقف عندها كثيراً، وقد بدأ ذلك حين ذكر أن حبيبته أقامت في هذا المكان مدة اخضرار العود والتوائه، فحالها كحال العرب الذين يفارقون الجدب، ويتتبعون الخصب، ثم رشح لهذا زمنياً بحال طلوع الثريا عند الفجر، وهذا يكون وقت «يبس البقل بعد النوروز» ثم تعامل مع الزمن مرة ثالثة في البيت الرابع، حين تكلم عن الفترة التي يصاب فيها نبات «البُهمي» ـ الذي يشبه السنبل ـ بنوع من اليُبس، وريح الصيف، بحيث ينفض كما تنفض الخيل الشقر نواصيها، وهذا يكون عادة في أول القيظ قبل شدة الحر.. وكما حدد الزمن بالاخضرار والالتواء للزروع، وطلوع الثريا عند الفجر، وانتفاض نبات البهمي، فإنه يحدده كذلك بطائر القطا حين يجيء أوان يمكنه فيه أن يخوض بساقيه في الماء الآسن الذي صار قليلاً، بعد أن كان غزيراً، وصار مصفراً بعد أن كان لونه بلون السماء، ثم يواصل التحديد الزمني كذلك حين يذكر مضيّ ثلاث عشرة ليلة خلت من تشرين الآخر، وسقوط الجوزاء، ثم سقوط الغفر ـ والغفر من منازل القمر وقيل ثلاثة كواكب بين زباني العقرب وبين السماك الأعزل ـ لست عشرة ليلة تخلو من نيسان، والمدة حسابياً تبلغ ستة أشهر، وهي زمن نهاية الحر، وسيترتب عليها وقوع شوك البهمي، وإصابة أجزاء من البعير تبعاً لذلك، بالإضافة إلى تيبس مجاري الماء وجفاف النُّوَّار!

.. حين حدث هذا كان لابد من الرحيل الذي كني عنا بجلاء النعام، فإنه يقال للقوم إذا اعتزموا الرحيل «شالت نعامتهم» و«خفت نعامتهم».

.. ثم تكون عودة للمكان فيذكر أنهم نزلوا بأسفل الدهناء لبني تميم، وقيل لبني سعد، والدهناء «.. من أكثر بلاد الله كلأ مع قلة أعذاء ومياه، وإذا أخصبت الدهناء، ربعت العرب جميعاً لسعتها وكثرة شجرها، وهي عذاة مكرمة نزهة، من سكنها لايعرف الحمى لطيب تربتها وهوائها» على مايقرره ياقوت في معجم البلدان.. ولقد كان هذا في الفترة التي تتعلق فيها الأبوال والأبعار بالجمال، فتضربها بالأذيال حين يشتد الحر، وينتج عن هذا وجود مواضع منحولة الشعر «قوباء» في الإبل.

.. حين ينجح في تحديد المكان والزمان يرى أنه يجب أن يقف وقفة بعينها عند الإبل ابتداء من البيت العاشر، فيذكر أنها إبل يمنية، وأنها غلاظ الرقاب، وعظام العثانين التي في لونها بياض فيه كدرة، وحين يصل لهذا يلتفت إلى النساء فيذكر أنهن تخيرن من الإبل جملاً ضخم الهامة سقط وبره، يبدو من ضخامته كالقصر، وأنهن وضعن عليه الوشي المدور، حتى لقد بدا بهذا المتاع كالنخلة الباسقة التي تدلي منها البُسُرُ الأحمر.

..فاذا تجاوز المكان والزمان والراحلة رأيناه ابتداء من البيت الثالث عشر يلتفت إلى نفسه، فيذكر أنه دعا الله بعد الفرقة، ولكن كان لابد من ذلك، وكان من الضروري أن تستقل «مية» هودجها الذي يشبه جماعة من نخل منطقة القادسية، أو من نخل سوق اليمامة وما حولها، وهو يقابل الأمر بالتسليم المطلق، ويقف موقف المتحير هل يبكي؟- ففي البكاء الشفاء، هل يصبر على البكاء؟- ففي الصبر الجلد-، وينتهي به كل هذا إلى أن الهجر إذا كان قادراً على إفناء «ورق الهوى» فإنه غير قادر على إفناء حبه لمية؟

.. فإذا انتهى من أمر نفسه، واضطراب عاطفته، فإنه يكون من الطبيعي أن ينحت تمثالاً لمية، فيذكر أنها من تميم، وأن من عادتها- وعادة قبيلتها أن تقضي الشتاء في منطقة تتلوى فيها الرمال، وينعقد بعضه على بعض، وهي آخر منطقة الصمان، وأدنى الدهناء، فهي تنزل منطقة اللوى وما جاورها إذا سال الماء، وظهر نبات

السِّدر، وهذه الأرض التي تنزل بها كريمة الترب ممطورة بأول أمطار الربيع. وهذا يجعلها طيبة لأنها لاتسقي إلا بماء السماء ولهذا تبتعد عنها الملوحة، ويبتعد عنها الريف.. ولما كانت على هذا الحال، فإنه تطيب بها الأرواح، ويجري العطر في الأنفاس، ومنطقة بهذه الصورة يكون من الطبيعي أن تسرح فيها قطعان البقر والظباء في فوضى مختلطة، وهي على هذا الحال تشبه الإبل المهملة المنسوبة إلى أحد أحياء «مهرة»، وهو يقدم هذه اللوحة الحية ليؤكد على وجود الحياة في هذه المنطقة الصحراوية.

.. وحين يهيئ المسرح على هذا النحو مكاناً وزماناً وطبيعة يزف لنا «تفاصيل الحبيبة» بعد أن تكلم عنها كلاماً عاماً، فنحن نحسّ ابتداء من البيت الخامس والعشرين أنه سيتعامل مع حبيبته عن طريق الحواس الخمس، وهو يبدأ بحاسة اللمس، فيذكر أن بشرتها مثل الحرير، ويثني بحاسة السمع، فيذكر صوتها الرخيم المعبر، الذي قال عنه المرتضى في آماله: «إن» حديثها لايقل عن الحاجة، ولايزيد عليها! وهذا يجري مجري أن تقول: هو موزون» ثم يثلث بالحديث عن العينين، وسحرهما، ويدخل في الأمر معتقده في «العدل» حين يقول: «فعولان» بالرفع على الاستئناف، كأنه قال: هما فعولان. المهم أنهما تديران عقل من ينظر إليهما كما تفعل الخمرة في شاربها، ثم تكلم عن الابتسامة الرقيقة التي تظهر الأسنان، فترى الأقاحي المضمخة بالندى، وهناك رواية «كلون الأقاحي شاف ألوانها العصر»، فيكون العصر بمعنى الوقت، لأن الأقاحي - وغيرها - تحسن عند وقت العصر، وبصفة عامة نراه وفق في رسم اللوحة الشخصية «البورتريه» حين ركز في الوجه على مايسمى جمالياً «بالمثلث المقلوب»، فأجمل ما في جمال المرأة العينان والثغر.

.. وابتداء من البيت الثامن والعشرين نراه يرسم صورة لليل المليء بالثلج، وكيف أن النجوم عليه كالعيون التي لاتقدر على النظر، ومع ذلك فقد اقتحمه على غير هداية، حتى تكشفت أعاليه وظهر مافيه، كما ساقته رجلاه إلى ماء قليل عرف كيف يكشف عنه البعر وكل ما علق به، وكيف أن هذا الماء قد وردته الإبل معوجة الرؤوس من الأزمة التي تؤخذ بها، وكيف أنها عبرت به السحر، في الوقت الذي لم يكن فيه العقاب قد غادر وكره، وكيف أنهم جلّوا عن الماء ما عليه من شوائب. ويعود فيذكر أنهم «شعث نشاوي» حركوا الماء قبل أن يدرج به القطا الذي لم يشرب أربعة أيام، ثم يصف «مجر العيس» حيث ينتهي مكان الشرب، ثم عاد فشبه مجر الخطم - جمع خطام - بملاعب الحيات الذكور الشديدة الأذى، ثم يدخل في باب الفخر، فيذكر أننا إذا دخلنا مكاناً مرتفعاً بعيداً ينفتح لنا، فندخل بإبلنا البيض الكرام التي تنتمي إلى قبائل من «حيدان» في وطن الشحر.

.. ثم نراه في البيت الثامن والثلاثين يلتفت إلى صاحبه خروجاً على الالتفات الذي يكون عادة في المفتتح، فيذكر أنه «مثل السيف» وأنه شجاع متقحم، وأنهما معاً يؤمان الطرف بآفاق السماء، ويهتديان بكواكبها فإذا لم تكن الكواكب، فالمشارق والمغارب، المهم أنهما معاً يصلان الليالي بالأيام، وأن سفرهما يطول إلى حد قصر الصلاة، بما يسمي «صلاة المسافر»، فإذا اشتدت الشمس عقدا ثوبيهما، واستظلا، وأحسّا أن خفق الريح بالثوب يشبه خفق جناحيْ النسر.

.. والملاحظة العامة أن الشاعر أعاد ترتيب المقدمة المتوارثة، فلم يسر على النهج القديم، ذلك لأنه قدم وأخر، لأن الشئ الذي كان في بؤرة شعوره هو عالم الصحراء، وما في هذا العالم من مفردات، والربط بين الحب اليائس، والصحراء التي يشكلها اليأس علي الرغم من بعض الهناءات المحدودة هنا وهناك، فلما كان الشاعر بقدر الإمكان يستبقي ذكريات حبه، فإنه كان رغم العدم الصحراوي المطلق يحال أن يخصبه بالحركة من عالم الزراعة، وعالم الحيوان، وعالم الإنسان.

فإذا جئنا للقسم الثاني بالقصيدة، أو للفرع بعد الأصل وجدناه هجاءً، ووجدنا أن هذا الهجاء ليس جديداً على العصر، بل يمكن القول: إنّ العصر أسرف فيه، وإن النظام السياسي كان يشجعه، فالعصبية القديمة الساذجة قد تحولت إلى حزبية منظمة، والقبائل قد صارت تتناطح، وأصبحت النقائض جزءاً لايتجزأ من الحياة الأدبية، بل لقد أصبح التهاجي للتهاجي من غير خصومة، ومن هنا دخل إحسان الهجاء في عملية تقييم الشاعر نقدياً، فقد جاء في الشعر والشعراء لابن قتيبة عن ذي الرمة: وإنما وصفه عندهم أنه كان لايجيد المدح ولا الهجاء، ومن المعروف أن البضاعة التي كانت رائجة في المربد بالعراق كانت الهجاء وقد كانت لعملية الهجاء طقوس، منها خروج الشعراء على الناس في أبهى زينة، ولقد شارك ذو الرمة في هذا، ففي الأغاني أنه وقف بالمربد، واجتمع حوله الناس، وعليه برد قيمته مائتا دينار، ولقد كان ينشد والدموع تجري على لحيته.

مابال عينك منها الماء ينسكب
كأنه من كُلًى مفريّة سرب

وعلى الرغم من هذا فحصاده في الهجاء قليل، فقد هجا قبيلة امرئ القيس، حين رماها بالذل، وبالقول بأنه ليس لها أن تفخر لأنها بلا قديم ولا جديد، ولأن أهلها فلاحون أصلهم من «حوران» وهي منطقة زراعية خصبة تقع جنوب دمشق، وقبتها بصرى، وهو يطعن في نسبتهم إلى «سعد» ويقول إنهم عجم بدليل أن أنوفهم حمر وما على شاربهم من شعر أصهب - أو طرف شاربهم أصهب - أما سبال العرب فسود، وهو لايكتفي بإخراجهم من العرب، وإنما يخرجهم كذلك من الإسلام، فإذا كان لابد لهم من الانتساب فللنصارى الذين

يأكلون لحم الخنزير، ويشربون الخمر، ويسوّد اللوحة فيقول: إنهم عبيد، وحراثون، وبخلاء، وعدميون، ويحبون أن يطعمهم الناس في الشتاء أما أن يُطعموا هم الناس فهذا غير وارد!

ثم يقول إن الناس اثنان: غادر، وواف، وهم لاغادرون ولا أوفياء فليسوا أناساً على الإطلاق، ولا ينسى في هذا المجال أن يفخر بنفسه فيقول: إنه إذا انتمي الأجداد إلى العلا، فإنّ باع قومه يعلو على كل باع، بينما يقصر باع قبيلة امرئ القيس بن سعد، ذلك لأنهم لايستشارون في أمر، ولأنهم قلة، ولأنهم لايدركون شيئاً بالقسر، وإنما بالشكوى إلى السلطان.. أي يحتكمون إلى القانون!

وأخيراً يطعنهم في شرفهم، فيذكر استخدام نسائهم «لابن خوط» مولى لبني تميم ـ فهو يسأل : أبين نسائكم وبين أبن خوط قرابة أم مصاهرة نكاح؟ ثم يعود ليؤكد أن نسوتهم حنّت ـ حنين اللقاح التي لم تشرب عشراً ـ إلى ابن خوط، ثم يطعن في ماضي النساء وحاضرهن، ويذكر أن أصله خير من أصلهم فكيف يشتمهم؟

.. وهذا النوع من الهجاء قد وصل إليه بعد أن أفرغ طاقته في القسم الرئيس من القصيدة، ومثل هذا كان يفعله في قصائده الهجائية، فهي تجيء مكملة لموضوع رئيس هو الحب والصحراء، ولهذا يذكر النقاد أنه كان «مغلبا» في الهجاء، ومع أنه كان يتفوق على من يهاجيه، وكان يبتعد بقدر الأمكان عن الوقوع في حبالة «النقائض» إلا أن شعره في الهجاء يسف كثيرا عن شعره في الموضوع الذي تخصص وبرع فيه، ولقد كان هذا هو ما قعد به على حد ما مربنا من رأي ابن قتيبة، وعلى رأي الفرزدق الذي وقف عليه وهو ينشد إحدى قصائده، فما كان من ذي الرمة إلا أن قال له: " كيف تسمع يا أبا فراس؟ فقال الفرزدق: أسمع حسنا، فقال ذو الرمة: فما لي لا أعدّ في الفحول من الشعراء؟ قال: يمنعك ويباعدك ذكر الأبعار، وبكاؤك الديار .. ولعله قبل ذلك أنه لم يعتنق النظام الذي كانت تزينه الدولة للشعراء وهو القول «بالجبر» على نحو ما فعل جرير والفرزدق وكبار الرُّجاز.

(٢)

انطلاقا من مقولة الفرزدق نرى أن شاعرنا قد عرف الصحراء معرفة خبير، فقد عاشها وامتلأ بها، وحين غادرها كان يحملها داخله، فهو في القصيدة يحددها لنا مكانياً وزمانياً، وابتداء فهو يقف بنا على خصيصة من خصائصها وهي الأطلال، وكعادته في إطلاق شرارة الحياة في العدم نراه يقف على طلل مية وقوفاً جديدا لم يتبع فيه كافة خطى القدامي، وما يهمنا أنه رفض عدمه ودعا له بالسلامة، وصب عليه مطر الحياة، وحين تصور ـ أو توهم ـ أنه أعاده إلى الحياة، أراد أن يكون ما فعله مع الطلل عاما للصحراء ككل، صحيح أنها قابلته بالعدم المطلق، ولكنه أبي أن يعاملها إلا بالوجود المطلق، ومن ثم رأيناه يخصبها بكل مقومات الحياة.

فهو ابتداء أطلق فيها العديد من الحيوانات كالخيل، والبقر، والنعام، والظباء، وإن كان الملاحظ أن تركيزه الشديد كان على الإبل، فقد نظر إليها من أكثر من زاوية، وجسم لها أكثر من حركة، وتعاطف معها تعاطفا واضحاً، بحيث تحولت تحت ريشته إلى رمز للأمومة الصحراوية، فهو هنا يعطي الأمومة حقها، ويخلق لها طقسا خاصاً بها حين أقبلت الفتيات فنشرن عليها الوشى المدور .. ولعل وراء ذلك إعزازه للأمومة، فقد عاش يتيما في رعاية أمه، ولانعرف انها تزوجت بعد أبيه.

وبعد أن يطلق في الصحراء الغيلانية ـ نسبة إلى اسم الشاعر ـ هذا العدد من الحيوانات ولعل هذا الأمر كان مع طلاق الحيوانات نراه يقوم بعملية زراعة لبعض عناصر الوجود المهمة ومن ثم رأينا العديد من النباتات التي يجيء في مقدمتها البُهمَى ـ شبيه السنبل ـ والسدر، والأقاحي، والبحر ـ بمعنى الريف ـ ولعله يجيء في مقدمتها جميعا النخلة التي قدم لها صورا باهرة، ودلى من جوابها البسر .. وللمرة الثانية نرى أنه يجعل النخلة سيدة الصحراء ونرى أن هذا لايبعد عن عالمه النفسي المتصل بحبه لأمه أو لمية، ثم إنه يظلل هذا كله بالحديث عن الورق، مما يذكرنا بما يسمي في الفن التشكيلي «بالتوريق».

وفي الوقت نفسه يلتفت إلى السماء فيتكلم عن الشمس، والنجوم والجوزاء والثريا، والفجر والليل، والبروق، والريح، ولجمالية الصورة يطلق فيها العديد من الطيور، مع التركيز على القطا، ولعله كان يرمز به إلى نفسه مع أنه كانت هناك عملية تحول في هذه الفترة من الحديث عن القطا، إلى الحديث عن الحمام.

.. ولما كان هذا كله لايحيا إلا بالماء فإننا نراه يكثر من الحديث عن العيون، والأحواض وماء القرينة ـ قال أبو عمرو: هي مَصْنَعَةٌ تُصْنَعُ لماء المطر ـ والوسمى، والقطر، والمنهل، والعذاة ـ لاتسقى الا بماء السماء ـ والمركو ـ الحوض الصغير ـ والجفر ـ البئر التي ليست بمطوية ـ وما طما من الماء ـ أي ارتفع ـ وحين يكون لابد من المرح قليلا يتحدث عن خضخضة الماء.

وكل هذا يجعله يتحرك تحت أضواء صحراوية، فحزم الضوء التي يرسلها على مخلوقاته «بيضاء» أو «كدر» أو قتم، أو شقر، أو صفر، أو عفر ـ الحمرة إلى البياض ـ بالإضافة إلى السُّجر ـ الحمرة في بياض أو الخضر ـ يريد به السواد .. وهكذا يعطي الأشياء أضواءها الخاصة بها في اقتدار، ويجعل كل شيء يسبح في النور الخاص به ! ويجعل نفسه من وراء هذا كله كمهندس إضاءة.

(٣)

يتوهم البعض أن «ذا الرمة» كان شاعرا فطريا غير موصول بالحضارة التي عاش فيها، ولعل مما يخدع في هذا أنه كان حريصاً على أن يظهر في هذا الجانب العفوي عنده تأكيدا لتقاليد البادية، قال عنه أبو الفرج: «كان ذو الرمة يقرأ ويكتب ويكتم ذلك، فقيل له: كيف

تقول عزيرُ بنُ الله أو عزيرٌ ابن الله؟ فقال أكثرهما حروفا» ويكفي أن نتعرف على تعلمه قول الأصمعي عنه: إنه كان معلماً بالبادية، ثم إنه لم يقف عند حد ما يتعلم في البادية، ذلك لأنه شق طريقه إلى العراق التي كانت مدنها الكبيرة كالبصرة والكوفة تغلي بكافة ألوان المعرفة بالإضافة إلى أصبهان، وقد تعرف هناك على وجوه عصره، ودخل معهم في جدل، وتعرف على الطريق التي كتب بها جرير والفرزدق ورؤبة - بالأضافة إلى أنه كان راوية لشعر الراعي النميري - وبعد فترة أصبح مرموقا في المربد بالبصرة، وفي الكناسة في الكوفة، وقد ترتب على هذا التزامه ببعض القضايا الكبرى كمذهب الجبرية على نحو ما نعرف من جدله مع رؤبة ومن شعره .. ثم ساقته قدماه إلى اليمامة ومكة، وحين يستوثق من نفسه نراه يقف في دمشق لينشد عبد الملك بن مروان رائعته المعروفة.

مـا بال عـينك منهـا الماء ينسكب
كـأنه من كُلًى مَفْـرِيَّة سَـرَبُ

ومع هذا لانستطيع أن نقول عنه إن كان شاعرا بلاطيا يكثر من المدح، ذلك لأنه أعطى طاقته الحقيقية لقضيتي الحب والصحراء، ولأنه كان مؤهلا لذلك، فله - على حد ما قيل فيه - الإحاطة بلغة العرب ومعانيها، وفضل المعرفة بأغراضها ومعانيها ثم إنه سلك منهج الأوائل في وصف المفاوز، إذا لعب السراب فيها، ورقص الآل في نواحيها ونعب الحرباء، وقد سبح على جذله، والظليم وكيف ينفر من ظله، وذكر الركب وقد مالت طلاهم من غلبة النوم حتى كأنهم صرعتهم كؤوس المدام، فطبق مفصل الإصابة في كل باب، وساوي الصدر الأول من أرباب الفصاحة، وجاري القروم البُزُل من أصحاب البلاغة، ولعل تدينه كان وراء تماسكه وعدم الذوبان في القصور، والأخذ فيما يأخذ الناس فيه وقد كان يؤثر عنه الخشوع في الصلاة؛ فهو القائل: إن العبد إذا قام بين يدي الله لحقيق بأن يخشع. أوكان يؤثر عنه بعد الإنشاد قوله: والله لاكسعنك بشيء ليس في حسابك: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله، والله أكبر، ثم إن كثيرا من مفرداته وتشبيهاته يظهر عليها التأثير القرآني على وجه الخصوص كما أن في شعره تظهر الأدعية والابتهالات ومعتقده الخاص بالقدرية.

(٤)

القصيدة كلها - بما فيها الهجاء - تدور في مجال صحراوي رحب، فقد قدم لنا الصحراء جبالاً ووهاداً، ونباتاً وحيوانا، وليلا ونهارا، وأرضا وسماء، الخ.

.. حتى الشخصيات التي بها كانت شخصيات صحراوية، وهو يقدم كل هذا في إحكام واستيعاب، واستطراد، مستعينا في ذلك بما يمكن أن يسمى «الهيكل البدوي الجديد» للقصيدة، فهو لم يتبع تماما الخط المؤكد للقصيدة القديمة.

إنما تموّج عدة تموجات كانت وراءها تموجات الصحراء، وما يعيش في هذه الصحراء، وكان وراءها المثل الأعلى للجمال كما يحس به، وقد كانت وسيلته إلى كل ذلك ظاهرة الوصف، والوصف عنده ليس للوصف، ولكن لإطالة الحركة الداخلية للقصيدة، ولكشف الأشياء عن نفسها في ذات الشاعر، فهناك صور عنده تومىء إلى الطبيعة الخارجية؛ كالعديد من أبيات القصيدة، وهناك صور تشير إلى أشياء في طبيعة الشاعر، كالأبيات التي يتكلم فيها الشاعر عن ذاته، وما يدور في ذاته، كالبيت رقم ١٣، ١٥ مثلا .. ومعنى هذا انه يتجاوز في كثير من الأحيان الوصف إلى الرسم الوظيفي؛ ذلك لأن الرسم في هذه الفترة كان يحافظ على هذا الطابع، ولم يلجأ إلى الزخرفة إلا بعد هذه الفترة.

المهم أنه كان ينجح في الإمساك بالأشياء . وفيما يسمى «بالصور الخالدة» ولكنه لم يكن في كل هذا يسجل أو يعبر ولكن كان يخلق على نحو ما رأينا من الحديث عن المكان والزمان والملامح، فالقصيدة تتخطى في كثير من صورها الجمال الطبيعي إلى الجمال الفني، وهي مرتبطة ارتباطا محكما بالشعور المسيطر على الشاعر، وهو يعيد خلق التجربة.

والوسيلة المقدمة عند الشاعر هي التشبيه باعتباره صفة الشيء بما قاربه وشاكله من جهة واحدة أو جهات كثيرة، لأنه كما قيل لو ناسبه مناسبه كلية لكان إياه، وقد كان يدرك قدراته في هذا المجال، فمن أقواله «إذا قلت كأنّ ثم لم أجد مخرجاً فقطع الله لساني» كما أدرك القدامي عنه هذا فكان رأي حماد الراوية: احسن الجاهلية تشبيهاً امرؤ ،وذ الرمة أحسن الإسلام تشبيها، ولاشك أنهم احسوا أنه يلتقط صوره في حالة الحركة، كما في البيت رقم ١٤، ٢٢ وقد يلونها كما في البيت رقم ٤، ٥، ١٢ وقد يختار زاوية بعينها كما في البيت رقم ٣، ٤، ٥ وقد يركبها كما في البيت رقم ٢٧، ٣٨، ٤٢، ٤، ٢١ وقد يفاجئنا بها كما في البيت رقم ٣٤، ٣٨، ٤٣ وقد تكون نادرة الحضور كال في البيت رقم ٤، ١١، ٢٥ وما يجمع هذا كله أنه يستعدي الطرفين ليحصل، والوجه ليجمع، و الغرض ليصح، والأحوال ليحسن، والأداة لتوصل، على أن الشاعر يكون في أحسن حالاته حين يتعامل مع التشبيه التمثيلي، ويركز على المشبه به فيعطيه حقه من التصوير في دقة ورهافة، ومثل هذا يمكن أن يقال عن استعاراته، وبخاصة حين يجسم ويشخص، وما يهم من هذا كله هو أنه تعامل مع العديد من الأدوات البلاغية، وأنها لم تعمل في النص على حدة، ولكنها تآزرت مع العديد من العناصر لتقدم لنا هذا الخلق الفني المعادلة للحياة، فهناك مُجَسَّم عن الصحراء وما فيها وهناك شخصيات الحبيبة، والصاحب الذي كان «مثل السيف» وهناك شخصيته المرسومة من الخارج ومن الداخل بنجاح .. وأخيرا هناك شخصية القبيلة العربية، حين ينظر إليها من منظور الهجاء، ومن خلال كل هذا نعرف أن الشاعر نصب عدة مرايا - كما قيل في مثل

حالته ـ في قصيدته، وأن كل واحدة وضعت في زاوية بعينها، لتلتقط وتنمي عوالم بعينها في الصحراء العربية، ربما كان بعضها ينمو ويسطع على حساب الآخر.

(٥)

لا خلاف على أن لغة الشاعر بدوية صحراوية في الأساس، فهو يستعمل بعض الأبنية المهجوره (بُهْمَي) والجموع النادرة (الجمائل بدلا من الجمال) والألفاظ التي تقف عند عصرها ولاتملك التجول في العصور (فراعلة عثر، خناطل أهمال، أسآر أخماس، كرس مركو» نوء الزباني . أمهات القرد) ويبدو أنه يتعمد الإغراب، ويسعى إلى الغريب سعياً حثيثاً، فمع أن العرب تقول للقوم إذا مضوا وخفوا: «قد شالت نعامتهم» و «خفت نعامتهم» إلا أنه يقول في البيت الثامن: «وأجلي نعام القوم .. الخ» ومع أن العرب تقول في شدة الحر«ضربتنا الشمس» إلا أنه يستعمل الضرب للريح في البيت الثالث والأربعين ويستعمل «الصمح» للشمس في البيت الثاني والأربعين، فإنه يقال: صمحتنا الشمس تصمح صمحاً: إذا اشتد وقعها، ومع أن العرب تقول: رفع الستر، إلا أنه يقول في نفس البيت لم يروق له ستر، بمعنى لم يرفع له ستر، ومع أنه كانت هناك أكثر من ملاحاة بينه وبين «رؤبة» حول قول «ذي الرمة» بالقَدَرَ وقول رؤبة بالجبر، فإنه كانت بينهما ملاحاة بشأن الغريب، ذلك لأن رؤية كان يتهمه بالسطو على قاموسه اللغوي الذي ينحته نحتاً صحراويا، ولكن القضية تتخطى هذا الجانب إلى جانب آخر هو عالم «ذي الرمة» المتصل بالغريب اتصالا وثيقا، والذي يجعل تعامله مع «الجليل» لامع «الجميل» فموضوعه في الأساس هو الصحراء وهو عالم جهم عابس قاحل، بالإضافة إلى هجره السعادة من عالم طفولته باليتم ومن عالم حبه بالعجز عنه، وبالصد عن مية!.

فاذا تجاوزنا هذا وجدنا أن له عالمه المصور الحساس النضير، فهو يتعامل مع العديد من الأبنية باقتدار وهو يحسن التعامل مع الجملة الفعلية ويؤثرها على الجملة الأسمية، لأنها تمتليء بالحدث في حالة زمنية بعينها، وأكثر ما يجيد ذلك في الجملة الماضية، ولك أن تتأمل حركة الأفعال الماضية الأربعة في البيت.

أقامت به حتى ذوي العود والتوى
وساق الثريا في ملاءته الفَجْرُ

كما أن لك أن تتأمل في تركيزه على طبقات بعينها من الصوت، حين تقرأ «خضخضوا طامياته» ،«رخيم الحواشي»، «يخوض الدجى»، «رنق فوقنا» فهو هنا يصور بطاقة الصوت، وهو هنا يشحن الكلام بالعديد من طبقات الصوت شحناً عالياً، ولعل مما يعينه على هذا أنه يجيء في مقدمة أوصاف المفردة ما يذكره الطيبي في «التبيان في البيان» من ضرورة كون تركيبها من الحروف اللذيذة العذبة «لأنها أصوات، لها مخارج تشبه المزامير ولكل ثقبة منها صوت يخصها».

وعلى كل فكل هذا محاط بإطار موسيقي محكم هو بحر الطويل، ومن المعروف أنه بحر جاد سخى، وأن القدامى كانوا على حق حين أكثروا منه، ولهذا قيل إن ثلث الشعر القديم من بحر الطويل، وقد تردد هذا البحر بغزارة في عصر بني أمية، ومن الملاحظ أنه لايعطي إمكاناته إلا للشعراء الكبار المتمكنين من أدواتهم الفنية، والمسكونين بالموهبة المتفجرة، وقد وصف بأنه أخذ من حلاوة «الوافر» دون انبتاره، ومن رقة «الرمل» دون لينه المفرط، ومن ترسل «المتقارب» دون خفّته وضيقه، وسلم من جلبه «الكامل» وكزازة «الرجز» وأفاده الطول أُبّهة وجلالة، فهو البحر المعتدل حقا، ونغمه من اللطف بحيث يخلص إليك وأنت لاتكاد تشعر به، وتجد دندنته مع الكلام المصوغ فيها بمنزلة الإطار الجميل من الصورة، يزينها، ولايشغل الناظر من حسنها شيئ.

.. ومع أن القافية رائية مضمومة الا أن الراء لعبت دورا واضحا في الموسيقى الداخلية للقصيدة، فقد أكثر منها في حالتي البدء بالغزل والبدء بالهجاء، ومن المعروف أن صفتها المميزة أنها تكرر طرق اللسان للحنك عند النطق بها، وقد نقل عن الخليل أن «الزلاقة» في النطق إنما هي بطرْق أسلة اللسان ،وهي مستدقة وحروفها «رتل» ويلاحظ أنها تعطي الشاعر إمكانات كبيرة حين يختارها قافيته.

مع ملاحظة أنه أكثر من التعامل مع حروف اللين بذكاء، فحروف اللين توسع رقعة الكلمات، وتحدث نوعا من البط ء لعله مما يعطي مهلة لتفهم الغريب، والصور المركبة، كما تومىء إلى التهويل كما في البيت رقم ٥٣، ويلاحظ أنه أكثر منها في كل الأبيات وفي بعض الأدوات التي توجد فيها «كألا» الاستفتاحية، وحروف النداء، وياء النسب، وحروف القسم، وكل هذه الغنائية التي تدخل في صميم البنية جعلته لايركز على الموسيقى الخارجية، فهو لم يتعامل كعادة الشعراء مع «التصريع» في أول القصيدة دائما وفي أثنائها أحيانا، ولم يكثر التجنيس والتقسيم، فلكل نغم، خاصة أن هناك نقلة لم تحتفظ بما يسمى حسن التخلص من القسم الأول إلى الهجاء، و كان من الممكن أن يتعامل مع «التصريع» عند هذه النقلة، فهو قد اكتفى بما يمكن أن يسمي «بالنغم الدوار» وهو نغم القافية، وإذا كان لم يوفق في «حسن التخلص» بين القسم الرئيسي والجانب الفرعي الخاص بالهجاء، فإنه ربما يكون وراء ذلك أنه لم يعط لهذا الجانب الهجائي أهمية، وأنه «ذيلا» للقصيدة، خاصة أن دوافعه حادثة فردية يمكن الصفح عنها.. وإذا كان لم يوفق كما قلنا في «حسن التخلص» فإنه لم يوفق كذلك في «المختتم» ذلك لأن نهاية القصيدة جاءت غريبة.

وفيها «معاظلة» في المعنى: فهو يريد أن يقول: من كان له عقل من قومي فليعذرني! فإجادته كانت في الموضوع الذي عمقه وعاشه وأعاد خلقه أو تركيبه، وهو الحب البائس في صحراء يائسة.

لقاء العدد

الأستاذ عبد التواب يوسف

رائد الأدب الإسلامي للأطفال

والحائز على جائزة الملك فيصل.. رحمه الله

الكتابة الإسلامية أدب وفن يحتاج لموهبة وخبرة

هذا الحوار، اعتبره الكاتب بمثابة اختبار صعب وامتحان قاس، وهو في أحاديثه مع الصحف والمجلات يجيب شفهيا وتلقائيا، غير أنه في هذه المرة إزاء ورقة، يجيب فيها تحريرا.

وكما كان في طفولته يخشى أساتذته الممتحنين وقلمهم الأحمر، يرتجف إزاء القراء، ويخاف أن يفوح من بين السطور لون من الفخر الكاذب أو الرضا عن النفس.. هو يجيب على ما وُضِع أمامه من أسئلة بما يمليه عليه ضميره.. وقد أقسم أن يقول الحق، كل الحق، ولاشيء غير الحق.. ويشهد الحق ـ جل جلاله ـ على كل حرف كتبه.

وهو حين يُقال له: إنه «كاتب إسلامي» يرى أن ذلك شرف لا يدعيه، وأن ما يكتبه «محاولات» يسأل الله أن تكون على طريق الخير، ويدعوه سبحانه وتعالى أن يسدد خطاه وأن يأخذ بيده وهو، لم يحذف سؤالا، ولم يضف لما طرح عليه شيئا والتزم بما سماه (ورقة الاختبار)!.

■■ نرجو إعطاء لمحة عن حياتكم.. وجهودكم في ميدان أدب الأطفال.

■ الحقيقة أن الحديث عن النفس يطيب للبعض، إلى حد الإسهاب فيه، بينما يضيق به آخرون، إذ فيه شبهة امتداحها والزهو بها، حينا، وجلد الذات حينا آخر.. وقد تحدثت عن حياتي كثيرا منذ ولدت في قرية صغيرة على حافة الصحراء الغربية، تبعد عن قرية د. طه حسين ما لايزيد على عشرين كيلو مترا.. قرية معزولة تماما، برغم ضخامة عدد سكانها (يوم ولدت فيها كان تعدادها خمسة آلاف وأظنها اليوم قد وصلت إلى خمسين ألفا !).. ولدت لأب و(كان أبي معلما) وهو عنوان كتاب لي عنه،طبع لا أقل من خمس طبعات،و(كانت أمي أمية) لاتقرأ ولاتكتب، ولديَّ الكتاب الذي كان أبي يقرأ فيه لأمي عن وسائل التربية (الحديثة) يومئذ، وربما كان أول كتاب صدر بالعربية في هذا الموضوع، وغادرت القرية مع أمي، وعمري أربعون يوما، كما قالوا لي، وقد سبقني إخوة رحلوا جميعا، وجاء من بعدي ثلاث شقيقات.. وقد ربانا أبي الشيخ تربية دينية.. وألحقني بمدرسة أولية، ثم ابتدائية، وبعدها الثانوية وأذكر أني كنت متفوقا في دراستي ولم يحدث قط أن رسبت في أية مادة، غير أنني لم أكن قط الأول على زملائي، لسبب بسيط هو أنني كنت متعدد الهوايات الرياضة، القراءة (ولديَّ صورة نشرت مؤخرا وأنا عضو في جمعية المحاضرات والمطالعة العامة وعمري ثماني سنوات !).. وقررت وأنا طفل أن أعمل كاتبا.. والتحقت بجامعة القاهرة، وفي السنة الثانية بدأت أعمل في الصحافة والكتابة وعمري ١٧ سنة، واتجهت لدراسة العلوم السياسية، وفور تخرجي في الجامعة رحل عني أبي، وتحملت العبء ثقيلا قاسيا إلى أن تمكنت من اجتياز هذه المحنة، مواصلا الكتابة للإذاعة و قد أخذ بيدي (بابا شارو) لكي أكتب للأطفال، وأحمد الله أن وفقت (أحيانا) في هذا، وتخصصت فيه بعد انعطافة حادة نحوه في أواخر الستينيات، متجها إلى عالم الكتاب، ومنذ ذلك الحين صدر لي ما يزيد على ثلاثمائة عنوان، بعضها سجل نجاحات كأن تطبع منه ملايين النسخ لوزارة التربية، أو بالحصول على جائزة عليه، وهذه الجوائز عديدة، وأعتز كثيرا بجائزة الملك فيصل العالمية في الآداب، التي حصلت عليها قبل عشر سنوات، وقبلها حصلت على جائزة الدولة التشجيعية مرة عام ١٩٧٥م في أدب الأطفال، والثانية ١٩٨١م في ثقافة الأطفال، ومن بعدها جوائز تصل إلى أرقام غير عادية، إلى حد حصولي على ثلاث جوائز متوالية في أواخر العام الماضي: جائزة أفضل كاتب أطفال في مصر في التسعينيات من المجلس الأعلى للثقافة، وجائزة أدب اكتوبر للأطفال من القوات المسلحة، ثم جائزة السيدة الجليلة سوزان مبارك عن سلسلة من خمسة كتب عن (توشكى).. ولم أزرها، لكن من وحيها ومن وحي طفولتي في الإجازات في القرية أمكنني أن أصوغ عنها ملحمة، بدأت من موقفي من نهر النيل، وصولا إلى عام ٢٠٨٠م، وقد حملت الكتب عناوين: توشكى: الخضراء ـ النماء ـ الوفاء ـ الرخاء.

■ علي أحمد باكثير

■■ ما أبرز مؤلفاتكم في أدب الأطفال؟.. وما الكتاب الذي نلتم به جائزة الملك فيصل؟

■ بداية، لي مؤلفات عن أدب الأطفال ، هي دراسات فنيه للكبار، تحمل عناوين: فصول في أدب الأطفال، ثقافة الأطفال، حقوق الاطفال، الطفل والقراءة.. ثم طفل ماقبل المدرسة وأدبه.. ثم الطفل العربي والأدب الشعبي، واعتز كثيرا بكتاب: فصول في أدب الطفل المسلم، وقد صدر عن نادي جدة الثقافي الأدبي، إذ ألقيت فيها محاضرة عن هذا الموضوع، وكان أن طلب إليَّ رئيسها الأستاذ عبد الفتاح أبو مدين أن أتوسع فيما قلت، وأن أسجله في كتاب،نفدت طبعته وأفكر في إصداره من جديد، هذه الكتب التي تجاوزت العشرة، أكتب فيها للكبار، والكثير منها تلقفته بعض الجامعات والكليات، كمرجع ومصدر، خاصة وقد أتيحت لي بجانب ثقافتي الإسلامية العربية فرصة الاطلاع على أدب الأطفال العالمي وترى «ياكوش» مسئولة كتب الأطفال في مكتبة الكونجرس أنني من أكثر المطلعين على هذا الأدب عالميا، لأنني قرأت وأقتني آلاف الكتب الصادرة للأطفال وعن أدبهم، ووصفها

■ عبد الحميد جوده السحار

■ محمد سعيد العريان

■■ حوار العدد مع . . الأستاذ عبد التواب يوسف

د. عبد العزيز المقالح مدير جامعة صنعاء بأنها مكتبة عملاقة، وقال رئيس المجلس العالمي لكتب الأطفال عندما زارني في بيتي - إنها أضخم مكتبة أطفال في بيت في العالم كله، إذ تحتل ست غرف، هي كل البيت، والذين يزورونني يرون أني اعيش في مكتبة، بل لقد اضطررت إلى نقل نصفها إلى شقة أخرى من ست غرف أيضا !

أما مؤلفاتي فقد تضمنها كتاب صدر في طبعتين، الأخيرة فور حصولي على جائزة الملك فيصل، وهو عن «الهيئة المصرية العامة للكتاب» بعنوان: عبد التواب يوسف وإنتاجه الفكري والأدبي.. وقد أضفت للمكتبة العربية للأطفال بعد صدور هذه البيلوجرافيا ما يزيد على ١٥٠ عنوانا (لا أقول كتابا لأنه في عرف اليونسكو أن الكتاب يجب أن يكون في خمسين صفحة على الأقل)..

ومن أبرز كتبي للأطفال «حياة محمد صلى الله عليه وسلم في عشرين قصة» وطبع منه ٧ ملايين نسخة، وكان استهلالا طيبا لكتاباتي الدينية التي تجاوزت الآن مائتي عنوان (يعاد طبع هذا الكتاب الآن» !..

وأصبح لي منهج في الكتابة الإسلامية، وكانت قبلي مركزة على التاريخ الإسلامي، وجددت بأن كتبت في: العقيدة، القرآن الكريم (صدرت لي سلسلتان: من قصص القرآن عن الطير والحيوان - ٣٠عنوانا - ثم خمسة كتب تحت عنوان المكتبة القرآنية للأطفال.. وهناك بعد ذلك «قصص ظريفة وحكايات طريفة من الأحاديث الشريفة في ٣٠ عنوانا» وبعدها أركان الإسلام فى ٢٥عنواناً ثم فرسان الإسلام في ١٥عنواناً وأطفال أبطال في ١٠ عناوين، بجانب محمد خير البشر في ١٥ عنوانا.. ثم عدة كتب عن القيم الإسلامية، من بينها (قمم وقيم)... وسلسلة (اللقاء الفريد) في عشرة عناوين عن الحضارة الإسلامية وكانت جائزة الملك فيصل عن أعمالي، إجمالاً.. وقد توجت جهودي حتى مطلع التسعينيات، وبعدها أصدرت (قصص عصرية إسلامية) ثم (تجربتي) ومعها عشر قصص صدر عن (بنك الأفكار الدولية) في الرياض.

■■ هل ترون توجيه أدب الأطفال وجهة إسلامية.. أم يكتفي بتطبيق النظريات التربوية الغربية؟

■ كاتب الإسلاميات للاطفال عملة نادرة ولاننسى أن كاتب الأطفال أصلا، عملة نادرة..وإذا لم يكن كاتب الأطفال مسلما إلى النخاع، فلن يكتب أعمالا دينية تلقى الإقبال، وهو هنا مطالب بأن يقرأ كثيراً في أمور الدين، وأن يكون موسوعيا في أمورها.. ولدينا كاتب غير مسلم يكتب لأطفالنا إن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يتعبد في «كهف»، ونسميه نحن «غار».. وهو متعمد ! ويكتب أن بئر زمزم حفرها سيدنا إبراهيم من أجل ولده سيدنا إسماعيل، ونعرف أنها انبثقت تحت أقدام أمه السيدة هاجر.. وهو يكتب إسلاميات منقولة محرفة، لأنه أيسر عليه، وهو يتسمى بلقب يخفي أنه غيرمسلم.. والعجيب أنه يكتب لطائفته بابا آخر،يغرق فيه في أمور ديانته وضج الجميع من عمله لكن ما من أحد قادر على وقفه وردعه وكلما كثرت أخطاؤه، زاد شأنه رفعه في أكبر صحيفة في وطننا العربي! وإذا كانت الكتابة للأطفال من الصعوبة بمكان، فالكتابة الدينية «الإسلامية» أصعب، إذ هي ليست مجرد حكايات عن السلف الصالح، ولاهي مجرد مواعظ ونصائح، إنها أدب وفن يحتاج لموهبة وخبرة ومهارة.. خاصة اذا كان يلتمس في أعماله النظريات التربوية الإسلامية، مضيفا الدراسات الغربية التربوية مستبعدا منها ما يخالف تعاليمنا..

مثلا: أدب الغرب مليء بالأساطير اليونانية التي لا أكتبها قط لأطفالنا لأن الميتولوجيا الخاصة بها ترتبط بما يسمونهم (الآلهة).. إله للخير، وآخر للشر، وثالث:للحب، ورابع وخامس.. وبينهم حروب.. وهذه أعمال غير صالحة لأبنائنا.. لأننا نؤمن بالله الواحد الأحد.

ولدينا تراثنا التربوي، وقد استخلصه من قبل أساتذة أجلاء في كتب عديدة، وفي تقديري الخاص أن إخوان الصفا قد قدموا أشياء جليلة في هذا المجال.. بل تخصص عدد من الباحثين في «التربية الإسلامية»، وقراءة هذه الكتب ضرورية، وإن كنت من المؤمنين بأن الأدب يخرج عن إطاره إذا صار تعليما مباشرا، ونصائح، ومواعظ.. إنني أتصور أن الأدب فن رفيع، يترك في النفوس انطباعا فريدا، ويأخذ بيد القارىء إلى عالم رائع، وهو يختلف عن التربية اختلاف الكليات نفسها تلك التي تدرس وتعني بالآداب، وتلك التي تهتم بالتربية، وهذه تعتبر الأدب وسيلة تعليمية وتربوية، وأراه أكبر من هذا بمراحل.. والتوجه الإسلامي في أدب الأطفال يرجع إلى قدرة الكاتب على الابحار في محيطه، متجنبا المحظورات والاختلافات المذهبية مبتعداً عن التخويف والتهديد المستمر بالنار وجهنم، بأن تعتدل كفتا الميزان، وليس على لسان الأطفال إلا عبارة: ستدخل النار، إذا كسر كوبا أو سكب اللبن.. الله عطوف غفور رحيم والجنة تنتظر الصالحين.

■■ هل لكاتب الاطفال خصوصيات معينة تنبع من

خصوصية هذا الأدب؟

■ الجواب: نعم.. هو بداية يجب أن يكون كاتبا، لديه ما يقوله، وما يبدعه.. شأن أي كاتب للكبار.. وعندما يتخصص في الكتابة للأطفال عليه أن يضيف إلى خبراته معرفة بما يحبه الأطفال ويميلون إليه، ويقبلون عليه، وهذا لايكفي إذ من الضروي أن يلم باحتياجاتهم الضرورية.لأننا لانتوقف عند الميول والرغبات (نحن لانطعم الأطفال ما يحبون فحسب لأن هناك ما هو ضروري لبنائهم).. لذلك من المهم أن يقرأ كاتب الأطفال في علم النفس، والتربية، والتعليم.. وأن يقرأ أكثر عن الأدب ، عامة، وأدب الأطفال خاصة.. ليتفادى الأخطاء ومن المشكلات الصعبة التي تواجه كاتب الأطفال: اللغة التي يكتب بها.. هناك لهجة دارجة يتحدثون بها، وألجأ إليها عندما أكتب للإذاعة أو التليفزيون أو المسرح.. وقاموسها واسع لأن الطفل يفهمها، في سهولة ويسر..أما في الكتب فإنني لا أسمح للكلمات العامية أن تتسرب إليها، لأني أكتبها للطفل العربي، في كل مكان، وأريد أن أُثري محصوله اللغوي، لذلك لا أكتب داخل قاموسه الذي يعرفه فحسب،بل أضيف إليه كلمات وعبارات ومفردات جديدة، وأيضا استخدم المرادفات.. وكاتب الأطفال هنا مقيد ـ وليس مثل كاتب الكبار ـ لأن عليه أن يكتب أدبا وبأسلوب جميل برغم قلة الكلمات التي يعرفها الطفل وما أكثر ما لا يستطيع استخدامها لصعوبتها.. ولا أستخدمها إلا إذا شرحتها وفسرتها، ولا أضع قط معاني الكلمات في هامش أسفل الصفحة، لأن ذلك يقطع على الطفل تسلسله في القراءة، وانفعاله بها..

وهكذا ترون أن الكتابة للأطفال لها خصوصيتها.. ويضيف الكاتب البريطاني الشهير (رولاد داهيل) ـ وهو من أهم كتاب الأطفال في انجلترا ورحل منذ سنوات قليلة ـ بعض الشروط الواجب توافرها في كاتب الأطفال بجانب كلماته البسيطة وعباراته الواضحة، وأسلوبه الجميل، ضرورة أن يكون محبا للأطفال. والغريب أن السيدة (ترافيرس) مؤلفة سلسلة (ماري بوبينز) الشهيرة، قد أعلنت في أكثر من مرة أنها لاتحبهم ـ وأظنها غير صادقة في هذا ـ كما أن (مادلين لنجل) التي رأست اتحاد الكتاب في أمريكا تنكر تماما أن هناك شيئا اسمه أدب الأطفال ـ وهي كاتبة أطفال حائزة على أكبر جوائزه ـ جائزة نيوبري ـ سنة ١٩٦٣م.. إنها تقول إنها تكتب فنا من الممكن أن يقرأه القراء في أي سن.. والحقيقة أن كاتب الأطفال يتجه إلى سن أو مرحلة يشعر بالارتياح لها، وبالقدرة على الكتابة، لها كشريحة.. و(داهل) يشترط أيضا أن يكون كاتب الأطفال مرحا، خفيف الظل، ويرى أنه لاضرورة لكاتب الكبار أن يكون كذلك.. أما كاتب الأطفال فإن ذلك محتم.. وأنا معه في ذلك.

■■ ما رأيكم في قصص الأطفال ومجلات الأطفال التي تترجم عن الغرب؟ ما دورها في تكوين طفلنا المسلم؟

■ لست ضد هذه المجلات، مع أنني أعلم يقينا أن دار نشر في عاصمة عربية تصدر سبع مجلات ـ مجلة يومية ـ وكلها مترجمة عن مجلات أمريكية تستهدف أطفالنا.. إنني أريد لطفلي أن يستمتع مثل أطفال العالم بهذا اللون من الفن المتقن.. لست ضد كل ماهو غربي.. لكنني أريد منه قدرا قليلا، معقولاً، ومقبولاً.. المشكلة، أن مؤسسات غربية تبيع لنا هذه المواد التي يريدون إغراق أطفالنا بها.. أنا ضد الإغراق، كما أنني ضد حرمان طفلنا من أن يعرف «ميكي» و«تان تان».. إنه طبق لذيذ يشتهيه وإذا أنا حرمته منه سيزاد إقبالاً

عليه.. والمشكلة الحقيقية في تقديري الخاص أننا لا ننقل لأطفالنا «الأدب» الحقيقي.. إن لديهم أعمالاً كلاسيكية بالغة الروعة، صقلت عقول أطفالهم، وقائمة هذه الكتب طويلة، لكن أحدا لايعطيها عنايته، لأن الكرتون الرخيص وراءه من يتكسب منه.. إنني كلما التقيت بزميل أسأله: ماذا قرأ من أدب الغرب للأطفال ؟ من تعرف من كتاب الأطفال في العالم؟.. واكتشف أن أصحاب الأسماء الكبيرة هناك، لا أحد يعرفها هنا.. الكبار عرفوا: شكسبير، وشو وديكنز ولدينا كتاب عربي بعنوان: ماذا علمني ووردوورث، هذا للكبار، والسؤال، من هم كتاب الأطفال وأدبهم - بعد أندرسون - ممن حازوا الجائزة العالمية المعروفة باسمه، والتي يطلق عليها نوبل الصغيرة إنني أحب أن نفتح نافذة لأطفالنا على أدب الأطفال العالمي، شرقا وغربا.. المتمثلة في «الكارتون» بالذات، سواء في المجلات أو التليفزيون، والغريب أن أصحابها يقولونها صريحة:نحن نسعى إلى «أمركة» العالم بها، شأنها في ذلك شأن الهمبورجر وغيره من الأطعمة.. قد نسمح لطفلنا بواحد منه في الأسبوع أو في الشهر: يكفي.. والباقي طعامنا الخاص بنا.. هكذا يكون هناك لون من «التوازن» مطلوب : نرفض أن يغرقونا بأبطالهم السوبر، خاصة وتراثنا فيه ما هو أفضل.. أخذوا منا (علاءالدين) وصنعوه فيلما كسب ٢٨٥ مليون دولار في عام عرضه الأول، وعلى بابا والسندباد معروف جيدا لأطفالهم.. نهر ثقافتنا دافق، لن يضيره كثيرا رافد صغير، يجيء من الشرق: اليابان، الصين، أندونيسيا، باكستان، الهند.. ومن أفريقيا السمراء جنوبا، ومن أوروبا وأمريكا شمالاً.. الأمر يتوقف على الأسرة العربية المسلمة التي ترفض أن (يتأمرك) أطفالها، وتأبى إلا أن تغرس فيهم القيم العربية الأصيلة، وأن تجعل منهم مسلمين مؤمنين بالله ورسوله.. لذلك أرفض أن أغلق الباب بالكامل في وجه الأدب العالمي، وبنفس القوة لا أقبل أن يجتاح أطفالنا.. لاننا نعلم أن ما يزيد على حده، ينقلب إلى ضده..حصنوا أولادكم بالأدب السوي.

■■ كيف يحقق أدب الطفل المسلم المهام والمسئوليات المنوطة به؟.. وكيف يمكن تكوين طفل مسلم سوي وواع؟

■ هناك أربعة أجهزة ومؤسسات يصل بها الأدب إلى أطفالنا.. المؤسسة الأولى هي الأسرة، واذا كانت أسرة مسلمة مؤمنة، استطاعت أن تقدم لطفلها أدبا إسلاميا حقيقيا، من خلال معايشتها له.. والمؤسسة الثانية هي المدرسة، ونجدها تكتفي في حجرات الدراسة بتقديم بعض المعلومات الدينية والمعارف الإسلامية.. إن تقديم الأدب الإسلامي مسئولية المدرسة، بجانب البيت.. أما المؤسسة الثالثة فهي وسائل الإعلام: صحافة وإذاعة وتليفزيون، وهذه يجدر بها أن تقدم الأدب الإسلامي للأطفال على أعلى مستوى رفيع،يؤثر في الطفل الذي بدأ يدمن الكارتون لكثرته، وإلحاحه عليه.. من خلال المجلات والتليفزيون.. المؤسسة الرابعة هي وسائل الثقافة: الكتاب، المسرح، السينما.. وهذه كلها يجب أن تحاول تقديم أعمال فنية عالية المستوى، وذات تقنية، لاتقل عن تلك الوافدة علينا..

هذه المؤسسات الأربع من الضروري أن تستثمر أدب الأطفال وتتيح له الفرصة من أجل أن يؤدي دوره ومهمته الجليلة.. على أن يكون هناك فعلاً أدب للأطفال، وكتاب يمارسون كتابته بوعي وإتقان.. ومن الممكن في هذا الصدد إعادة كتابة الحكايات الشعبية كرافد مهم، بجانب أعمال عالمية عالية القيمة.. وأيضا الكتابات الدينية التي يجب أن تخرج على النسق التاريخي، والحكايات المنقولة عن كتب التراث.. لأن الدين صالح لكل زمان ومكان، ولايمكن حصره فيما مضى، فحسب.. إننا نستطيع أن نستوحي التاريخ لكتابة أعمال عصرية، بل بالغة العصرية.. بل ربما ننطلق من خلاله إلى المستقبليات، وأدب الخيال العلمي.. ونموذج الطفلة التي تركت وحدها بالبيت مع شقيق صغير نائم، وكانت عيناها تطوفان في لوحات قرآنية معلقة على الجدران، وفجأة انقطعت الكهرباء وساد الظلام، وبدأت ترتعش رعبا وخوفا، وكل صوت يترامى إلى أذنيها يزيدها فزعا.. وكانت العربات تسير في الشارع وأضواؤها تنفذ إلى الغرفة ، وإذا بها على نورها تقرأ واحدة من اللوحات عليها (الابذكر الله تطمئن القلوب)، وتذكر الله، وساعتها نسيت مخاوفها..

إنه العصر: كهرباء، وسيارات، وما إلى ذلك من مبتكرات عصرنا وطفلة هي ابنة اليوم، وآية من قرآن نزل على الرسول صلى الله عليه وسلم منذ ما يزيد على ١٤ قرنا هجريا.. نزرع الثقة في النفس ونطرد الخوف، ونطمئن القلب.. بمثل هذه القصص نواكب عصرنا.

وحين أتعرض لسيرة الصحابة، مثلا لا أكتب سردا تاريخيا، إنما اختار حادثة، أو مقطعا أراه يفيد الطفل في حياته الراهنة: الشجاعة ليست عنفا وضربا، نام أحدهم في الفراش، وصحا بطلاً، إنه على بن أبي طالب ليلة الهجرة..... القائد العظيم يصلح جنديا عظيما: خالد بن الوليد بعدما عزله عمر، أصبح من جنود أبي عبيده بن الجراح..... وقعت

حادثة سيارة، وأحس راكب مصاب انه يودع الحياة، فراح يحاول نطق الشهادتين، وإذا بالطبيب يقول له: إن محاولتك هذه كانت بمثابة تنفس صناعي أنقذك من موت محقق.

■■ ما رأيك في الأدب الاسلامي مذهبا وأدبا؟.. وهل ترى تقرير مادته في كليات الآداب؟

■ الأدب الاسلامي، موجود، ومكثف لدى عديد من الكتّاب، ويحضرني اسمان: على أحمد باكثير، ود. نجيب الكيلاني، وكتب كامل كيلاني سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم في سلسلة حوارات بين أصدقاء ثلاثة.. كما كتب عبد الحميد جودة السحار وبرانق، والعريان أدبا إسلاميا، رفيع المستوى.. إن ـ الأدب الإسلامي ـ موجود بوضوح، لكن المشكلة تكمن في أن علماء الدين لدينا لايقدرون على كتابة الأدب للأطفال، وكتّاب الأطفال ليسوا على خبرة كبيرة بأمور الدين تمكنهم من إنتاج أدب إسلامي، لذلك قلت إن الكاتب الإسلامي للأطفال عملة بالغة الندرة، ومحاولات البعض ارتياد هذا المجال بدون موهبة و خبرة أنتج سيلا من الأعمال الدينية في مستوى لا أرضى عنه.

وإذا كان الأدب في تعبير المرحوم الشيخ أمين الخولي هو: وقع الوجود على الوجدان، فإن الدين موجود، وحي في النفوس، ووقعه على الوجدان لابد من التعبير عنه، على أن يلتزم في ذلك بتلك الإطارات الأدبية التي لها شروطها، قصيدة كانت أم قصة، أو رواية.. إذ العمل الادبي له تقنياته وأساليبه.وفيما أرى، لابد من تقرير مادته في كليات الآداب، غير أن الذي يدهشنا حقا أن الذين يدرسونه غالبا هم طلاب كليات التربية، ليستعينوا به في أداء مهمتهم التعليمية والتربوية، والغريب أن العديد من كليات الآداب تقوم بتدريس مادة الأدب الشعبي، وأصبح له أساتذته، و(لعل كرسي الأدب الشعبي في جامعة القاهرة أوضح مثال ونموذج، وقد جلس عليه استاذنا المرحوم الدكتور عبد الحميد يونس، ومن بعده، أساتذة أجلاء من بينهم د. احمد مرسي) والسؤال:

ـ ألا يكون الأدب الإسلامي جديرا بنفس المستوى؟

وكثيرا ماناشدنا الأزهر الشريف، والجامعات الإسلامية أن تجعل لأدب الأطفال مكانة.. لكن ذلك لم يتحقق إلا في أضيق نطاق، وإن نقل لي بعض الأصدقاء أن بعضا من أساتذة كليات الآداب يعتمدون على كتاب (فصول في أدب الطفل المسلم) في تقديم بعض محاضراتهم.. وهم يرون فيه لوناً أدبياً يجب الوقوف عليه وعنده، خاصة في مجال الشعر، والصوفي منه بالذات.. ألا تستحق بردة البوصيري وعمرية حافظ أن يدرسها الطلاب؟ وماذا عن شعر حسان بن ثابت؟.. وماذا عن الأدب في القرآن الكريم، وأظن د. طه حسين هو الذي قال: كل آداب الدنيا: شعر ونثر، إلا العربية، فهي شعر ونثر وقرآن.. وفي النقد مثلاً، ظن البعض أن «البنيوية» نوع جديد وحديث إلى أن أثبت الباحثون الدارسون أن لها جذورا عميقة لدى عبدالقاهر الجرجاني.

لاأسمح للعامية بالتسلل إلى كتاباتي.. لأنها موجهة إلى الطفل العربي بعامة

ولسوف يكون للأدب الإسلامي شأن وأي شأن إذا ما انكب عليه أساتذة الجامعات دراسة وتحليلا، وساعتها سوف يكون من المواد الأساسية في جامعاتنا.

وكثيرا ما أتساءل عن دور منظمة النقاد الاسلامية ـ بالمغرب ـ في مجال الأدب الإسلامي ؟

■■ هناك من يرى أن دراسة الأدب الإسلامي تعارض الأدب العربي.. وتعمل على تجزئة الساحة الأدبية.. مارأيكم في هذا؟

■ لاتعارض قط بين الأدبين، وشيء طبيعي أن أكون مصريا عربيا مسلما، إذ مصر بلدي ووطني، والعروبة أمتي وأهلي وقومي والإسلام ديني الذي أدين به.. الأدب العربي، موجود على مستوى الوطن العربي فحسب، لكن هناك أدبا إسلاميا، يكتبه مسلمون في أندونيسيا، وباكستان، وإيران، وتركيا، وغيرها.. إن هناك أدبا اندونيسيا، لكن حتى في الأدب الشعبي الإندونيسي حكايات رفيعة المستوى بالغة الروعة، ولي كتابان صدرا عن دار سفير فيهما قصص إسلامي شعبي أندونيسي ،وهما بعنوان (إن شاء الله).. و(تل النمل).. كما كتب د. حسين مجيب المصري ـ هذا اسمه وليس لقبا ـ كتابا رائعا عن رمضان في الشعر: في اللغات العربية والفارسية والتركية، أليس هذا أدبا إسلاميا؟..

■■ حوار العدد مع .. الأستاذ عبد التواب يوسف

رمضان له في نفوسنا مكانة خاصة، فلماذا لا نقول ونكتب فيه شعرا ونثرا؟! هناك مجموعة قصصية لي تضم ثلاثين قصة عن رمضان، وثلاث قصص عن عيد الفطر، جعلت عنوانها (حبات المسبحة» أهي أدب عربي؟.. نعم.. وهي في نفس الوقت أدب إسلامي، استوحيته من الشهر الكريم، الذي يمسك بتلابيب قلمي سنويا، فيجعلني أكتب عنه عشرات القصص، وأظنها الآن يمكن أن تعد بالمئات.. هل يتعارض هذا مع وجود أدب عربي كتبه ويكتبه أدباء أجلاء، إنه عربي اللغة والتوجه، ولا أظن على الإطلاق أن هناك تعارضا، أو تجزئة، هل هناك تعارض وتجزئة ما بين الشعر والقصة والرواية؟.. إن لدينا في الأدب الشعبي نفسه قصصا دينيا بديعا وجميلا، وقد استخدمت بعض حكاياته وطورتها، وأجدها مناسبة للأطفال، بل يطربون لها كثيرا.. إن الخوارق التي صدعت بها أمريكا رؤوس أطفالنا مثل (سوبر مان، بيدرمان، وبات مان و..) لدينا ماهو أجمل منها بكثير.. لماذا نقبل هذه القوى الخارقة من عندهم ولانقبلها إذا وجدت عندنا متمثلة شخصيات خارقة موجودة في أدبنا عربيا أو إسلاميا؟.. إن بطلنا الخارق عفريت المصباح في علاء الدين، وخاتم سليمان، بل وفي عبارة «افتح ياسمسم» أفضل عندي من بطلهم الذي يفكر لنفسه وينفذ ويدمر كما يشاء، أما العفريت في أدبنا فهو يأتمر بأمر صاحب المصباح والخاتم، الذي يفكر ويطلب وما على العفريت الا أن يهتف: شبيك لبيك عبدك بين إيديك.. هو يأتمر بالعقل الإنساني، حتى ولوقيل لنا إن هذا من تراث (العبودية) لدينا.. لأننا ناهضنا العبودية والرق قبلهم بقرون طويلة..

لاتعارض بين الأدب الإسلامي وبين الأدب العربي أو التركي أو الإيراني أو الأندونيسي،وما من تجزئة.. هي فرية يريدون بها أن نغفل عنه.

■■ ما رأيك في مجلة الأدب الإسلامي؟ وهل حققت الأهداف المرجوة منها؟

■ إنها جهد طيب، يثاب عليه أصحابه في الدنيا والآخرة.. ولا أظنها قد حققت فعلا الأهداف المرجوة منها، وآمل أن تتسع صدورنا لمثل هذا الرأي في ذات المجلة.. لسبب واحد هو أنها تصدر في نطاق الأدب الإسلامي، العربي.. والسؤال: اين هو الأدب الاسلامي في الأقطار الإسلامية؟

لاشك أن هناك أدبا إسلاميا، وجد في البوسنة والهرسك أين هو؟ وأين الأدب الإسلامي في ألبانيا؟.. إنني أذكر هذا قبل أن أذكر أين هو في بلاد المشرق الإسلامي..وأين الأدب الإسلامي الإفريقي؟!.. وأعني هنا إفريقيا السمراء، فيما هو جنوب الصحراء الكبرى.. ناهيك بالأدب الإسلامي في جمهوريات جنوب بحر قزوين، والتي أسدل عليها ستار حديدي استمر عشرات السنين؟!.. لقد قرأت أعمالا إسلامية، أطلت من ثنايا أدب «الاتحاد السوفيتي» الذي كان فيما مضى، وأراد يطاول أعمال كبار أدبائهم.. إننا نقصر في الأدب الاسلامي، عندما نجعله محصورا داخل نطاق أدبنا العربي، فحسب.. نعم، بين حين وآخر تطل علينا أعمال إسلامية من أقطار غير عربية،وفي تقديري الخاص أن المجلة لو أنها اتجهت إلى هذه الآداب الإسلامية، على مستوى العالم،فإنها سوف تلقى قبولا كبيرا، ربما فاق ما تلقاه مثل «ريدزدايجست» التي توزع في كندا وحدها ٩ ملايين نسخة سنويا !.. انني أطالب المجلة بأعمال إسلامية اندونيسية وباكستانية وإيرانية وهندية وتركية، مترجمة الى العربية، وأيضا أتطلع إلى نشر أعمالنا الإسلامية بلغات هذه البلاد.. كان الاتحاد السوفيتي ينشر أدبه في خمس عشرة لغة، أليس أدبنا الإسلامي جديرا بمثل هذه الخطوة؟.. لقد استوحيت مسرحيتي (الأسير) من إطلاق الرسول صلى الله عليه وسلم سراح أسرى بدر إذا علّم الواحد منهم عشرة من المسلمين القراءة والكتابة: أليس ذلك أدبا إسلاميا، يمكن أن يقرأ على مستوى أقطار العالم الإسلامي؟.. أعرف صعوبات الترجمة ونفقاتها وأعرف أن الموارد المادية يمكن أن تقف عقبة أمام مثل هذا الاقتراح، لكن جدير بالدراسة، وأجدى علينا من التبرع بأموالنا للغرب، وليست لديّ رغبة في أن أقلل من قيمة الخير الذي يكمن في مثل هذه التبرعات، لكن هناك أولويات وليت هؤلاء الذين تبرعوا لحدائق الحيوان ومنتجع «جحر التعلب» في واشنجتن، يمنحون الأدب الإسلامي شيئا مما حباهم الله به من خير..إن أدبنا الاسلامي، عالمي،مثل ديننا الحنيف، وفي تقديري الخاص إنه قادر على أن يثري الأدب العالمي بما يتضمن من قيم روحية بالغة الروعة بالغة الصفاء، بالغة العذوبة.. ومرة أخرى: أين منظمة الثقافة الإسلامية؟.

■■ بماذا تنصح الأدباء المسلمين، عامة وكتّاب أدب الطفل المسلم، خاصة؟

■ النصائح في هذا المجال لاتجدي كثيرا، إذ أفضل أن يكون الكاتب «نفسه» بلا تدخل من جانبنا.. إن النزعة الدينية إذا تغلغلت في النفس صارت قادرة على أن تجعل المبدعين يقدمون أعمالا بديعة وفريدة.. إن أعمال جوته الألماني، ذات

الطابع الإسلامي، فيها من الروعة ما يتجاوز أعمال بعض الأدباء المسلمين، لأنه تأثر كثيرا بشخصية الرسول صلى الله عليه وسلم.. فقط، أناشد الأدباء المسلمين أن يستوحوا أعمالا أدبية من ديننا الحنيف، إذ فيه كنوز تجل عن الاحاطة بها، كما أن القرآن الكريم - كلام الله - له جلاله وروعته، وأناشد الكتاب والأدباء المسلمين أن يلتمسوا هذه الينابيع وسوف يتدفق عليهم فيض من الأفكار تثري أعمالهم.. وأتطلع الى أن يحتفي كل منهم بالآخر، ولايكون معول هدم له، إذ يحمل البعض هراوة غليظة، ويتسقط الأخطاء أو ما يتصوره أخطاء وينهال على أخيه المسلم، واحد من هؤلاء توسمت فيه الخير، أضاع من وقته شهورا لكي يسفه واحداً من أعمالي ويتهمني بأنني أسير على درب المستشرقين لمجرد أني قلت أن الرسول صلى الله عليه وسلم تعلم الكثير على يدي جده وعمه،ودار الندوة، وراح يصرخ هاتفا ومنددا: هذا ما يقولونه عنه في الغرب وانه عن هذا الطريق «اتى بالقرآن».. واستغفر الله لي وله، تكفي قراءة للقرآن الكريم وأخرى للحديث الشريف لتعرف الفارق الكبير بين ماهو إلهي، وماهو بشري.

أما كان أجدر بالصديق وبي أن نضيف جديدا، بديلا عن هذا الذي يبعد الطاقة والجهد ؟.. كم أضعنا نحن الذين آمنا بالله ورسوله من أعمارنا وتاريخنا في خلافات، كان من الأفضل لنا أن نتجاوزها.. لقد قتل بعضنا بعضا من أجلها، وضاع منا الكثير.. هل آن الآوان لأن نعرف «الحوار» بديلا عن المواجهة، و«الإبداع»، عوضا عن التربص والاتهام، - ببساطة شديدة - بالخروج والعياذ بالله من الدين لمجرد رأي نراه؟!.. فلنترفق ببعضنا البعض، ولا نتحارب، ولا ننقاتل، بل نتكامل، ونتعارف، ونتعاون، ويشد الاخ أزر أخيه، ويسانده ويساعده على الخير، والبر، والتقوى.. إننا نتعلم على أيدي أساتذتنا ولنضف إلى ما قدموه، ويمكن أن نختلف معهم ونعارضهم بإنتاج أدبي، وليس عن طريق تقارير مباحثية تبدو في صورة دراسات ومراجع (صديقنا كتب في مقال له ١٥٠ إحالة تسعون بالمائة منها عبارات يلتقطها ويضعها في غير سياقها سباً وشتما.. ياسيدي أكتب أنت الصحيح، وسيسقط الخطأ وينتهي ويموت، إنه يكتب كتابا كاملا يسخف فيه ما كتبه آخرون عن عثمان بن عفان.. دعهم ياسيدي، واكتب أنت الصحيح عن الخليفة والصحابي الجليل..

إنني لا أهمس فقط، بل أقف من فوق مئذنة، أنادي: حي على العمل الأدبي الإبداعي الذي يهز نفس قارئه، ليعيد حساباته، حتى لو لم يكن مسلما.. ومن المهم أن يخلص كتّاب الأطفال لأدبهم الإسلامي: إنه أدب،وإسلامي، وللأطفال، كل عنصر من هذه جدير بالتركيز عليه.. وليغفر الله لنا إن نسينا أو أخطأنا..إنه نعم المولى ونعم النصير.

وختاما..

أرجو أن تغفروا لي إذا طاشت مني عبارة - هنا أو هناك - فيها شيء من الفخر أو الزهو.. الله يعلم أنني من أكثر خلق الله بساطة وتلقائية.. وربما تكون هذه أيضا فيها شيء من المديح للنفس، لا أريده. إنني أحاول أن أضع «توصيفا» لا أكثر ولا أقل.. خاصة وهناك من يتربص بنا،ويفتش عما يراه من وجهة نظره: ليس مجرد خطأ بشري، وإنما يود لو يخرجنا من زمرة المؤمنين، وضعت عبارة «اطلبوا العلم ولو في الصين» بين قوسين في عمل لي، واذا بأحدهم يقول: هذا ليس حديثا شريفا! مع أنني لم أقل قط إنه حديث، هل مجرد وضعه بين قوسين يعني أنه حديث ؟! هي محاولة للإنتصار على الآخرين، لا أكثر.. وليس هذا سبيلي، إنني أعمل، وأبتسم لدى قراءة أن كاتبا كبيرا ناجحا قيل له: مالك متجهم بائس؟!.. أجاب «منافسي كتب عملا رائعا».. وقد دربت نفسي على أن أفرح وأبتهج إذا كتب أحدهم عملا نافعا، لست في منافسة وصراع، ولست طرفا في خلاف ونزاع، صدري واسع، وقلبي أيضا، لحب الناس.. والأدب.. والمنافسين أيضا.

قصة قصيرة

مازلتُ.. على قيدِ الحياة

اطمئني.. مازلت على قيد الحياة، آكل إذا جاء ميعاد الأكل،وأنام إذا جاء ميعاد النوم.. لم يتغير في حياتي سوى مساحة الشعر الأبيض، التي يتآكل أمامها سواد الفتوة، وتغضُّن في الوجه يفرض عليَّ احترام الستين، وقد بدأت تشاغلني من قريب، وبدأ جسدي يُطامن من عنفواته في معركة التحدي مع شيخوخة مبكرة.. أهي الهموم تفعل فعل السوس في الخشب الرصين؟ قد تكون أو لاتكون، غير أني أصبحت زاهداً في الخروج إلى الحياة، وقد صدمت كثيراً في النماذج الرائعة من الناس بعد أن اقتربت منها، ونقرتها بأصابعي نقر الفخَّار، فانكسرت حدة الألق في نفسي، وورثت الخوف من الجديد.. أي جديد.

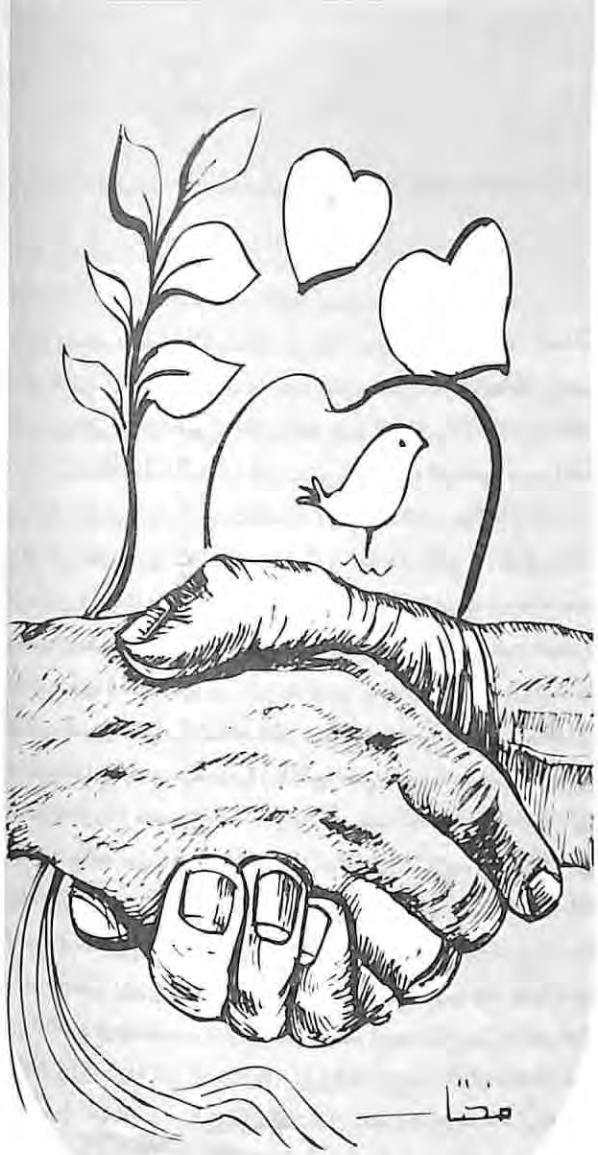

أيهذي التي تشاغلني بهواتفها الصامتة.. ولاتتكلم... زيارات صامتة يومية؟! أرهقتك أم أرهقتني؟ لا أدري أينا أشقى بها أو أسعد؟ إن كانت زياراتك الصامتة للاطمئنان عليَّ فقد أخبرتك أني مازلت على قيدة الحياة.. وإن كانت استجابة لشوق جامح أقضَّ المضجع،فأي شوق هذا الذي استل «نصاله» وطعن الظهر على رؤوس الخلق في ظل تصفيق وأضواء تشع؟ وإن كان اقتناعاً بقديم حديث قد ولده القلب ذات يوم تحت شجرة، فما زال على الكتف متسع لرأس أثقلته الهموم مثلي،وأيقن أن العمر لايرحم، والناس من حولنا تبحث عن نفسها، وتركض خلف الجديد الفتي، وكلما لاح لهم أفق بكّر ركضوا نحوه، وتركوا دفء الوفاء يلملم أشلاءه.

دعينا من العتاب المر، فلم يعد في الحلق متسع لمرارة جديدة، لكني أتابع مسيرتك منذ أن كنت عصفورة المنصور، وسيدة حلمي، وجنية أحمد، وربما اليوم جارية الوليد.. لا أدري ماذا يخبيء الزمن الجديد من مزيد؟ لكن الذي استقر في النفس أن كل إضاءة جديدة خلفها عتمة مظلمة للروح، ودرب موحل.. تلك هي الحقيقة الموجعة.

أقول: دعينا من العتاب المر، فلست اليوم أقايضك العتاب، لكني ألجُ مساحةَ الصدر الحنون الذي احتضن رأسي ذات ضحوة، وجفف الدمع من موقي، ووعدني بسعادة غامرة، واسترد وعده إذا لاح برق خلب.

دعيني أقف عند ظني الأول.. غاضا الطرف عن احتمال أن يكون «تموز» بما يحمل بين دفتيه من فتيت الذكرى خلف تكرار هواتفك الصامتة..

دعيني أقف عند ظني الأول.. فاطمئني.. مازلت على قيد الحياة.. غير أن الحياة بدأت تدير ظهرها لي في كل شيء، وبدأت تسلبني مكاني.. وبت أمني النفس بالراحة والفرح لما يمن عليَّ ببقائه إلى حين.

بالأمس كنتُ السيدَ المطاعَ ومن حولي تابع لي، فأنا الرأس.. ولي الصفي والنشيطة والفضول والمرباع لكني لاحظت تغيراً يتسرب من تحتي، وينزع الكرسي على مهل حتى لا أفاجأ بأني أمسيت بلا كرسي.

كانت زوجتي ـ إذا قسمت الطعام ـ تخصني بأجود الحصص وأكبرها، واليوم ـ ياويح اليوم ـ أصبحت هذه من نصيب غيري.. في البداية رمقتُ الأمر بشيء من الامتعاض، لكنني اقنعتُ نفسي بأن ابني الرياضي الفتي الذي خصته بدلاً مني..هو اليوم أولى مني.. فجسدي لامستقبل له، أما هو فيحتاج إلى طاقة لبناء هذا

العضل المفتول.. أقنعت نفسي فاقتنعت.. واسترحتُ..

لقد أصبحتُ جداً حقيقياً منذ شهور، حفيدتي التي تشبه أباها الذي يشبهني سمراء متواضعة الجمال ـ لكنهاعندي حلوة الحلوات ـ أضع صورتها فوق مرآة تسريحة غرفة نومي، أناغيها كلما نظرت إلى وجهي في المرآة، أخاطبها: «وينك يا بنت أنت وينك» ألثغ بلغتها فيتفطر القلب حنينا إلى شغبها.. أمها تحتجزها رهينة مقابل دراهم سرقتها مني يوم أن تواطأ بعض دمي معها في سحق حلمي وتحطيم كبريائي، فلما تبين له عتمة الطريق؛ نكص على عقبيه باكيا مستنجدا من وهم الصدر الحنون الذي مني به.. منذ سنة أو يزيد وهي تساومني لكسب المزيد..هيهات.. شب عمرو عن الطوق، وتناثرت حبات مسبحة شاء الله أن تجمع بين يديها يوما من التاريخ فما صانتها، وظنت كل رجل شهابا.. فانفرطت..

هل تريدين من أخباري المزيد؟!

أمسيت أحن إلى تربة تضم عظام أبي، وتضم صلابته وشموخ رأسه، وهأنذا ألملم ملهياتي، وأوحدُ همومي لعلي لا أهلك في واد من أوديتها.

هاهي ذي الأمراض تفرض زيارتها عليَّ ـ وأنا الأبيُّ ـ فلا أملك ردها، بعضها يطيل المكث، وبعضها يرحل إلى حين، وآخر استوطن ولا حيلة عندهم لإخراجه،فأمسيت أداهنه

وأقني له بعد أن نصح الطبيب: «تعايش معه».. فما رأيت ألد من هذا الرفيق الذي يطربه أنيني.. استغفر الله من حنين إليك قاومته زمنا، وعضضتُ على المر حتى انقاد لي.. لكنني أتوب إلى الله من خيال جامح يتأبى عليَّ، فكلما وسدت رأسي هرب مني مهاجراً إليك فلا استرده إلا قبيل صلاة الصبح.

وعند المساء وقد أنهكت الرحلة الشمس فاحمرت خجلا من الهزيمة، أرطب جوفي ثم أدعو لك فيأتيني رنين هاتفك الصامت.. يلح في الرنين، لكأنه يذكرني بك ـ وهل نسيتك؟!

ـ أقطع دعائي وأقوم إلى الهاتف.. أرفع السماعة.. فتصمتين ولاتجيبين.. فيغفل القلب عن الدعاء.

هل تريدين من أخباري المزيد؟!

في آخر محطات العمر أمست لي وظيفة جديدة:«سائق خصوصي» في البداية امتعضت وثرتُ، لكن ثورتي اصطدمت بواقع مر أملى عليَّ الرضا، حيث لابديل أقدمه فأصبح جدولي اليومي مقرونا بحوقلتي: الصباح، أوزع الأبناء عليَّ أعمالهم، وعلى أن أعود إلى المنزل لأكون في خدمة سيدته، فإذا أمرت بإحضار الخبز، ذهبت فسلكت نفسي في صف ممتد، ينز العرق من مسامي كلها، وأزحف زحف السلحفاة، حتى إذا وصلت أمام الميزان تصنعت ابتسامة أزين بها وجهي، استمطر رضا البائع حتى لايدس رغيفا مشوهاً أو محترقاً أو مجروحاً بين ثنيات الأكياس.. فإذا جاء موعد

بقلم: حَيْدَر قفة*

الغداء؛ خرجت لا ألوي على شيء، حتى أكون في مكاني أمام مدرسة الصغيرة فلا تقلق أو تخاف، فنحن حريصون على راحتها المربوطة بالدرجات التي نأمل ان تنالها في امتحان التوجيهي.. وعليَّ بعد ذلك أن أتذكر كل أمر نسيته سيدة البيت حتى لاأضطر للخروج عصراً لإحضاره، أما الحفلات والأعراس والمناسبات.. فعليَّ ألا أرفض واحدة منها، حتى لا أعزلهم ـ في ظل حكمتي وتجاربي ـ عن المجتمع.. في البداية، ضقت بهذا الأمر ذرعاً ورفعت عقيرتي احتجاجا، لكن الحياة خضدت شوكة الإباء عندي، فاستسهلت الأمر بعدُ.. وطيبت خاطري بالتعلات، فامتثلت نفسي.. وغاب «الإيلام»،

مازالت أصابعي تتأبى عليَّ فلا تكتب ما أريد، رغم ضجيج الذاكرة، إلا أن أصابعي مشدوهة أمام هذا العنفوان المتلاطم من مشاعري.. حتى لساني حرن هو الآخر، فلم يعد يستجيب لي.. فتركت سدة المحاضرات لغيري.. وانصرفت أوحدُ همي فما توحدَ.. هذه سنة كاملة تمرُ وأنا أراقب هذا الجنون.

أتذكرين يوم المشتل؟ يوم أن ترجلت أبحث عن نبتة قد عشش منظرها في مخيلتي حتى تجذر في تربة الإعجاب عندي، فما وجدتها.. يومها..زرعت على الرخام كل أزهاري، وتركتها تغرس جذورها في حنايا القلب.. ثم افترقنا.. وكلما مر أحدنا من هناك، دعا للآخر بالسعادة.. أتراهُ كان وهما هذا الذي يصفق بجناحيه بين الأضلاع وينمو؟

قلت لك ذات همسة: إن الحب العظيم يحتاج إلى ألم عظيم حتى ينضج.. فهل ترانا استكملنا حلقة الألم العظيم حتى نقطف ثمار الوجد المضمخ بنار الحنين؟

أيُّنا ضل الطريق؟ أيُّنا أشعل الحريق؟ أيُّنا أغواه البريق؟ والعمر يركض.. ألهثته إحباطات الحياة فاستسلم للشيب يغزو القلب، وقد فرت الدنيا من بين الأصابع.. فهل أتابع؟! لا.. وألف لا..

ورحلت عنك.. وامتطيت صهوة الصوم أسابق العمر، فلا ليلاً أنام ولانهاراً، وسميري آيات تنازعني التفلُّت والفرار، والذاكرة تخون، فأكابد وأكابد.. فتأتي هواتفك الصامتةُ.. زياراتك الصامتة.. في السحر... في الصباح.. في الضُّحى.. عند الغروب في كل وقت.. أتراه الشوق أضناك؟ أم معرفة أخباري؟ إن كانت الأخرى، فاطمئني، مازلت على قيد الحياة.

---

* قاص من الأردن، له ثلاث مجموعات قصصية: (هناك طريقة أخرى) ١٩٩٨م.. (ليل العوانس) ١٩٩٠م و(عفواً أيها القهر) تحت الطبع.

■■■

«مازلت على قيد الحياة»

لحيدر قفة

هذه القصة لون من السيرة الذاتية، تضيء جوانب من حياة الشخصية المحورية في التفاعل مع الحدث في مقطع زماني، قصدا إلى بلورة رؤية خاصة للقيم والتافه من منتج الحياة.

ولايكتسب هذا اللون من القص قيمته من بناء هرمي متنام، تتلاحم فيه الأحداث والمواقف بمنطق التبرير والعلة، ولا من التأريخ التسجيلي للوقائع بدقائق الصفة.. وإن كان هذا وذاك غير بعيد عن دائرة الملاحظة في تشكيل القص، إقامة هيكله، لكن قيمته تتأتى من عفويته وصدقه وتصوير الإحساس فيه بجرأة وأمانة، لتصير التجربة العارضة والمحطة المرصودة تراثاً إنسانيا موجهاً إلى ثوابت القيم ، حافزا إلى منافع التغيير.

وقصص الترجمة الذاتية أو السيرة الشخصية يتجافى عن مجال القصة الصغيرة، التى يختزن ثراءً في الدلالة وغناء فى الإشارة بموقف خاطف، ذلك أن طبيعة السرد في هذا النوع من قصص السيرة توجهه عوامل الجمع والتسجيل، وتحلله من ضوابط التكثيف والإيجاز مقاصد التحليل والتنويع في الأشخاص والمواقف، فضلاً عن امتداد الزمن والقفز عن حدوده، وما إلى ذلك من مطالب القصة الكبيرة ومقتضاها.

وعلى الرغم مما سبق ذكره، فإن حيدر قفة استطاع أن يضغط هيكل قصته في حيز مناسب، واللقطات المنوعة التي وقف عندها، وهذا يعد مهارة وتجريبا نوعياً في تخطي الأطر وتجاوز حدودها المقيدة.

وأحسن القاص انتخاب الهاتف الصامت باعثاً على صنع حساسية ذات إثارة في الفكر والميل والتوجيه، علاوة على أنه منح القصة مغايرة للتقليد المرعي في إخراج قصص التراجم بالرسائل أو الخواطر أو المذكرات أو الاعترافات أو ما أشبه.

وهذا الهاتف الذي أراده القاص صامتاً لفتاة تشاغله ولاتتكلم، كان المنتظر أن يتجاوز به الوظيفية الهيكلية في إطار عرض القصة، إذا جعل فاعلية دوره مقيدة في مراوحة خطابه بين المحطات التي توقف عندها لتنمية الحركة والسرد، فقد جعله خلواً من أي كلمة أو فكرة منطوقة خلال هذه التداعيات التي أقام حركة القصة عليها، ولذلك بدا الهاتف الصامت رمز المرأة المحبوبة سلبياً في المحاورة والاستبطان.

وفى حمى ذلك تنامت شخصية الطرف الآخر في القصة (الأنا)، وبدا فيها الرجل الحكيم بأوصافه التي تدافعت مباشرة، صريحة تارة، وإشارية تارة أخرى، وذلك في قوله: «لرأس أثقلته الهموم مثلي» «بالأمس كنت السيد المطاع، ومن حولي تابع لي فأنا الرأس..» و«أحن إلي تربة تضم عظام أبى وتضم شموخ رأسه» «وأنا الأبي»«في ظل حكمتي وتجاربي» «تركت سدة المحاضرات لغيري» وهذا التباين في تناول (الأنا) و(الآخر) يحمل على القول أن القصة مرصودة من منطلقها التأسيسي للترجمة للذات والعناية بها فكراً وسلوكاً.

وسلبية الهاتف الصامت في مجريات الاستبطان وتيار الوعي لم تطمس البعد النفسي له، فهي مخادعة مخدوعة في آن، طعنت الظهر على رؤوس الخلق، في ظل تصفيق وأضواء تشع، في مسيرة نامية تلبست فيها بأدوار التلون وأنماط التغيير، منذ أن كانت «عصفورة المنصور، وسيدة حلمي، وجنية أحمد، وربما اليوم جارية الوليد». وهذه الأسماء التي أطلقها القاص على الهاتف الصامت (المرأة) تلفعت برمزية باعثة على التأمل، وذات إثارة وتأثير في الحفز على التفكير، فالقراءة الظاهرية تعطي هذه الأسماء دلالة مقيدة بالممثلة التي امتهنت دور المعشوقة المحبوبة، وفى الأضواء التي تشع والتصفيق ما يعزز ذلك، أما القراءة الباطنية الداخلية لهذه الأسماء فتشي برؤى مقنعة، فهي امرأة ذواقة للرجال لاتتورع في سبيل تحقيق متعتها من استبدال زوج بآخر، وفى توالي الإضافة «عصفورة المنصور، سيدة حلمي.....» شاهد على الارتباط المتكرر، على أن في مسافة المسيرة التي قطعت شوطها ما بين عصفورة المنصور إلى جاريه الوليد، ما يبوح بتبدل الحال الذي كان رفيقاً لها حتى انتكاس المآل، فقد بدأت عصفورة بريئة للمنصور الظافر فسيدة طاغية للحالم بها فغاوية للحامد لها، ثم انتهى أمرها ذليلة مستعبدة «جارية الوليد».

بهذه الألفاظ الموجزة استطاع القاص أن يخلع على المسار الخارجي للحدث توثباً وتوتراً، وأن يمنح المسرب الداخلي للموقف عمقاً وتعدداً، ولهذا الجانب نظير في القصة متميز في قوله : «أتذكرين يوم المشتل؟! يوم أن ترجلت أبحث عن نبته قد عشعش منظرها في تربة الإعجاب عندي، فما وجدتها.. يومها زرعت على الرخام كل زهوري، وتركتها تغرس جذورها في حنايا القلب.. ثم افترقنا» ولانكاد نجد لهذين الموقفين ثالثاً من حيث هذه الخصائص، لأن القاص اعتمد انتقائية إيحائية في اللفظ أظهر وأكثر فيما سيأتي بيانه.

بقلم:
أ.د. مصطفى عليان

وأبدى حيدر قفة تبايناً في الإحساس تجاه شخوصه النسوية الثلاث، فهو مؤتلف مع الهاتف الصامت، لأنه حبيب إلى نفسه، على الرغم من غدره وجري صاحبته مع البرق الخلب، فالخيال الجامح يتأبى عليه مهاجرا إليها، بل إنه حين يدعو لنفسه لايغفل عن الدعاء لها. لكنه مهادن مستسلم لما تطلبه الزوجة وتتصرف به، فهو غير راض عنها، وليس كارهاً لها، فاحساسه بلا تميز، أما الكنة فهو مختلف معها ،غاضب عليها، متشف بما آل إليه أمرها من طلاق ابنه لها، وهذا التباين ينبيء عن وعي في التصور، وصدق في تصوير النفس البشرية بواقعية الرضا والكره، وإذا كان ثمة ملحظ يبدو عاجلاً في النظرة الأولى من أن التناسب غير مرعي بين ضخامة (الأنا) في الإباء والرئاسة والشموخ، وحركتها في صدى مواقف الزوجة، فإن القاص ارتضى لذلك تعليلاً حسناً بحركة نفسية ساكنة تارة «فى البداية رمقت الأمر بشيء من الامتعاض، لكنني أقنعت نفسى..»، وبحركة نفسية ناطقة صاخبة تارة أخرى. في البداية امتعضت وثرت، لكن ثورني اصطدمت بواقع مر أملى علىّ الرضا.. وتكرر ردّ الفعل بالحركة النفسية ذاتها مرة ثالثة بالقول «في البداية ضقت بهذا

الأمر ذرعاً، ورفعت عقيرتي احتجاجاً، لكن الحياة خضدت شوكة الإباء عندي، فاستسهلت الأمر بعد...، وطيبت خاطري بالتعلات فامتثلت نفسي.. وغاب الإيلام».

إن التكرار أيا كان نوعه، إذا لم يكن لمدعاة فنية أو بيانية فهو حشو لامحالة، وأغلب الظن أن القاص ربما قصد إلى بلورة خُلُق متوحد لشخصية الزوج تجاه تنوع الأحداث، وتجسيد ثبات تفاعلها في تعدد المواقف، وهاتان الصفتان اللتان التفت إليهما القاص من خلال حركة الفعل ورد الفعل، جاءتا منسجمتين، وما تقدم الكشف عنه في أبعاد بناء الشخصية من الحكمة والتجربة وما يفرضه عمر الستين من احترام غير أنه كان يحسن بالقاص الفرار في هذا المقام من تكرار الألفاظ والجمل بعينها، لأنه قصور في التعبير.

وجرى رسم الشخوص في القصة بعيداً عن إظهار الأبعاد الجسمية، وقريبا من العناية بالعقلية (الأفكار) والنفسية (الميول) وهما المحوران المشكلان لبناء الشخصية الإسلامية وفق القاعدة العقدية، وقد بدت النساء في القصة يحكم سلوكها الميل دون العقل والفكر، فلا انتماء لها ولا ارتباط عندها بالقاعدة التي تضبط الفكر بالميل، في حين أن شخصية الرجل الرئيسة في القصة شخصية إسلامية احتوت الميل بضابط عقدي، ذلك أن الميل النفسي نحو المرأة حقيقة غرزية في الإنسان مسلماً كان أو غير مسلم، لكن الفرق في احتواء هذا الميل هو الفيصل بين منهجية الشخصية الإسلامية وغيرها في الحياة والقص، فالمرء مسؤول عما يقع في دائرة قوله وفعله، وليس مسؤولاً عما يجري خارجها من الحس، او حديث النفس في اليقظة وتفلتها وسراحها في النوم، ومع ذلك فقد أمعن القاص في احتواء ميول الشخصية تحرزاً بالاستغفار والتوبة مما لاحرج ولامأثم فيه :«استغفرالله من حنين إليك قاومته زمناً، وعضضت على المرّ حتى انقاد لي.. لكنني أتوب إلى الله من خيال جامح يتأبى علي، فكلما وسدت رأسي هرب مني مهاجراً إليك، فلا أسترده إلا قبيل صلاة الصبح».

ولم يقتصر احتواء الصراع في القصة بين مفاهيم الشخصية وميولها على هذه المواقف الجزئية، ذات الدلالة على وعي إسلامي، بل إن تنفيس الصراع العام في القصة نزع المنزع نفسه بقوله :«ورحلت عنك.. وامتطيت صهوة الصوم أسابق العمر، فلا ليل أنام ولانهار، وسميري آيات تنازعني التفلت والفرار، فأكابد وأكابد، فتأتي هواتفك الصامتة..».

ولم تكن هذه القصة مركوزة في حادثة أو لقطة، شأن المتعارف عليه حديثاً في بناء القصة الصغيرة بل انتخب القاص عدداً من اللقطات التي تبدو في القراءة الأولى استطراداً عن محور ارتكاز القصة، إلا أنها تتصل به بداع من السببية و العلة، إذ منحت الأسرة التي تتحرك الذات المترجم لها في دائرتها، قدراً واسعاً من الحرية، في استيعاب توصيل المحطات واللقطات بالمحور والقاعدة، ولذلك كان الموقف من بائع الخبز وهو أكثر المواقف بعداً عن المحور متصلاً بهمّ الذات، ملتصقاً بالأسرة.

والسرد في القصة قائم على التقابلية، والتوازي بين حاضر الشخصية وماضيها، حاضرها المكبل بقيود الكهولة وآلامها، وماضيها المشبع بحركة الشباب وانطلاق آماله. واعتمد القاص التداعي أسلوباً في المراوحة بين هاتين المرحلتين، وقد عمل التداعي على نماء الحادثة وتشكيل الصراع، من خلال بروز الزمن الذي هو وسيلة من وسائل تصوير الحركة وتطويرها، وهذه إيجابية تحسب في بناء القصة. غير أني وددت لو أن التوازي في الحركة كان متوازنا ،حيث غيب الماضي بعيداً في كثير من الأحيان، وبرز الحاضر بمواقفه متسلطاً طاغياً في التوالي والتتالي والحضور، وقد يكون للقاص عذر في هذا التباين الذي لعله أراد أن يقول إن الحاضر بهمومه الزوجية أشد ضراوة وقسوة من الحب الغادر، الذي مر تجربة أهمته في حياته الماضية، لكنه مازال يجد لصدقه فيها حساً ،وطعماً حلواً.. وحضوراً مميزاً.

زد على ذلك أن الربط في القصة بين الماضي والحاضر لم يتنبه إلى فاعلية التقابلية الموقفية، في التمكين للإحساس المتغير في الحياة، بفعل ترامي الزمن وتغيره، لأن التداعي إما أن يقوم على الموافقة، أو المقارنة في تعميق الحساسية بالهمّ المشكل، أو التوجيه المراد تمكينه.

وكان يمكن لهذا التداعي القائم على التقابلية أن يقوم بدوره الأساس في تنمية حركة القصة، لو أن القاص تخلى عن الخطاب المباشر المكرر أكثر من مرة في قوله :«هل تريدين من أخباري المزيد؟! » وقوله «دعينا من العتاب المر» «أقول دعينا» «دعيني أقف عند ظني الأول» قد يكون للقاص عذر في هذه المباشرة، أنه ربما أراد به مخرجاً، والحق أن هذه التقابلية على الرغم من المباشرة.. أقامت بأسلوب التداعي لوناً من الجدل الصامت، أو المناظرة الواعية بين موقفين، لم يكن القصد فيها إقامة الحجة وتقصي البرهان، وإنما كانت الغاية منها الإبانة عن الأفكار المتناقضة، والمعاني المتغيرة في ظل المصالح والمنافع» فاكتسبت القصة بعداً فنيا في هذا المجال، إذ أن قيمة الفن الأدبي تتأتى من

تجديد الإحساس بالحياة بأشكال فنية، وأطياف بيانية، تعمل على تشكيل ذوق الإنسان في البداية، ثم تحفز دافعيته نحو التغيير في النهاية.

ولما كانت المسافة بين مواقف القصة ومفهومها غير بعيدة، إذا الوضوح غير المبتذل في الانكشاف مطلب إسلامي في الأدب، فإن الانعطاف إلى بعض الأفكار جاء تقريري الدلالة، نمطي الأسلوب، مكينا في موقعه أحيانا، قلقاً في أحيان أخرى، فمن ذلك: «قد تكون أولا تكون، غير أني أصبحت زاهداً في الخروج إلى الحياة، وقد صدمت كثيراً في النماذج الرائعة..» وقوله «لا أدري ماذا يخبيء الزمن الجديد من مزيد؟ لكن الذي استقر في النفس أن كل إضاءة جديدة خلفها عتمة مظلمة للروح..». وقوله : «مازلت على قيد الحياة» غير أن الحياة بدأت تدير ظهرها لي في كل شيء..» وقوله «بالأمس كنت السيد المطاع.. لكنني لاحظت تغيراً يتسرب من تحتي...» وقوله: في البداية رمقت الأمر بشيء من الامتعاض، لكنني أقنعت نفسي بأن ابني الرياضي الفتي الذي خصته بدلاً مني هو اليوم أولى مني..».

وقوله:«حفيدتى التي تشبه أباها الذي يشبهني سمراء متواضعة الجمال، لكنها عندي حلوة الحلوات..»

وقوله:«استغفر الله من حنين إليك قاومته زمنا، لكني أتوب إلى الله من خيال جامح يتأبى علي..».

وقوله : «فى البداية امتعضت وثرت، لكن ثورتى اصطدمت بواقع مر أملى علىّ الرضا..»

وقوله « في البداية ضقت بهذا الأمر ذرعا... لكن الحياة خضدت شوكة الإباء عندي، فاستسهلت الأمر..».

وقوله «دعينا من العتاب المر، فلست اليوم أقايضك العتابا، لكني ألج مساحة الصدر الحنون الذي احتضن رأسي ذات صحوة..»

وغير خاف أن الاستدراك أسلوب منطقي في المحاجة، عقلي في المحاورة والمناقشة، وهو مقبول مطلوب أحيانا في بلورة الضدية والتقابلية، إلا أن اطراده وتكراره يفقد السياق التوتر والتوثب، فضلاً عن أنه يهبط بالقصة إلى التقريرية والرتابة، ولعل في اسقاط بعض الجمل السابقة من السياق، واستبدال (لكن) بـ(الواو) أو غيرها من الروابط، ما يعيد القصة إلى المطلوب منها في هذا المجال..

وارتضى حيدر قفة مقطعاً إسلامياً للقصة، «ورحلت عنك.. وامتطيت صهوة الصوم أسابق العمر، فلا ليل أنام ولانهار، وسميري آيات تنازعني التفلت والفرار» وقد جاء نهاية منطقية متسقة مع ماسبق من مواقف، والذين يظنون هذا الحل دخيلاً على بناء القصة، مقحماً على سياقها، إنما يفضلون الحياة الدنيا عن الآخرة، مع أن الانقلاب في حياة المسلم وإن كان حاداً فهو أمر طبيعي.

وهذا الحل وإن كان قويماً الا أنني تمنيت لو كان ملحوظاً فيه أمران:

أحدهما: استبدال قول القاص:«ورحلت عنك» بقولنا: «ورحلت أمتطى..» لأن في قوله «عنك» تخصيصا وتقييداً للرحيل بأنه عن «الهاتف الصامت» وهو صحيح بالنظر إلى أنه الشخصية الرئيسة المحاورة في هذه القصة، أما تحرير الرحيل من قيد «عنك» يجعل من المقطع والحل شاملاً جامعاً لكل المحطات واللقطات التي جاءت في القصة، الهاتف.الزوجة. الكنة. الناس بصفاتهم وأخلاقهم.

ثانيهما: تركيز الخاتمة بحذف ماليس ضرورياً من حشو التعبير. بحيث تصبح كما يلي «ورحلت، وامتطيت صهوة الصوم.. فأكابد وأكابد، فتأتي هواتفك الصامتة؛ زياراتك الصامتة في السحر، في الضحى، عند الغروب، في كل وقت فاطمئني. مازلت على قيد الحياة».

وهذا يعني حذف القول: «أتراه الشوق أضناك، أم معرفة أخباري، إن كانت الأخرى»، وهذا الحذف معلول بأسباب: أن هذه العبارة سبقت في بداية القصة في سياق التساؤل عن سر الهاتف الصامت: «إن كانت زيارتك الصامتة للاطمئنان عليّ فأخبرتك أني مازلت على قيد الحياة وإن كانت استجابة لشوق جامح أقض المضجع، فأى شوق هذا..» وأن هذا التساؤل ممايضعف المفاجأة التي ينبغى أن تكون بمنجاة عن التقديم المشتت لحالها ومعناها.

وتجدر الإشارة إلى أن ارتضاء العبارة «فاطمئنى مازلت على قيدة الحياة» مقطعا مفاجئاً، أو لحظة تنوير للقصة، رهن بحذف تكرار هذه الجملة من متن القصة، إذ سبق ذكرها ثلاث مرات، وهذا التكرار يفقد خاتمة القصة جاذبيتها لأنها تضحي منظورة من بدايتها.

ولغة القصة قوية اللفظ، صقيلة التركيب، أعمل القاص فيها

جرى رسم الشخوص في القصة بعيداً عن إظهار الأبعاد الجسمية، وقريباًمن العناية بالعقلية والنفسية.. وهما المحوران المشكلان لبناء الشخصية الإسلامية.. وفق القواعد العقدية.

انتقائية دالة على معجم لغوي ثري المحصول، تراثي الأبعاد، تارة في بنائه حديث التشكيل، وتارة آخرى في صياغته ونسقه وبلاغته، فمن التراثية قوله، تغضن في الوجه، شوق جامح أقض المضجع، أقايضك العتابا، لاح له برق خلب، لي الصفي والنشيطة و الفضول والمرباع، شب عمرو عن الطوق، رفعت عقيرتي، نكص على عقبيه، خضدت شوكة الإباء. ومن الحداثية قوله، عضضت على المر، أقنى له، طيبت خاطرى، صدمت في النماذج، ألهته إحباطات الحياة، تعايش معه، استمطر رضا البائع، أللم ملهياتي. انكسرت حدة الالق في نفسي، يطربه أنيني.

ولم يفت القاص إيحائية الدلالة في التعبير، كقوله :«وأتناسل كذلك» يتآكل أمام سواد الفتوة، دفء الوفاء، فتيت الذكرى، لعليّ لا أهلك في واد من أوديتها، تواطأ بعض دمي معها، وآخر استوطن، أرطب جوفي، أصبح جدولي اليومي مقروناً بحوقلتي الصباح، زرعت على الرخام كل زهوري.

أما الإيقاعية ذات النبرة المتماثلة فكانت ذات طابع استدراكي، من ذلك: لا أدري ماذا يخبيء الزمن الجديد من مزيد، منذ سنة أو يزيد وهي تساومني لكسب المزيد، أقنعت نفسي فاقتنعت.. واسترحت «أينا ضلّ الطريق؟ أينا أشعل الحريق؟ أينا أغراه البريق؟»«وقد فرت الدنيا من بين الأصابع..فهل أتابع؟» وورثت الخوف من الجديد.. أي جديد» «ان ابني الرياضي، الفتي الذي خصته. بدلاً مني.. هو اليوم أولى مني». «ألثغ بلثغتها فيتفطر القلب حنيناً إلى شغبها» شاء الله أن تجمع بين يديها يوماً من التاريخ فما صانتها » «فلا ليل أنام ولانهار، وسميري آيات تنازعني التفلت والفرار».

وبهذه العناصر الأسلوبية أعطى القاص نسيج القصة قدرا من الشعرية التي منحت السرد والخبر جاذبية مؤثرة، وفاعلية مشوقة.

بقي أن أنبه إلى بعض الملامح الأسلوبية التي يحسن بالقاص أن يحيد عنها إلا لمقتضى فني في تشكيل موقف أو تأكيد إحساس، من ذلك تكرار بعض الألفاظ وهي كما يلي:

الحياة: ثماني مرات (منها الدنيا مرة)
الجديد: سبع مرات (منها الحديث مرة)
أعلم: مرتان
أوحد همومي: مرتان
دعيني ودعينا: مرتان لكل منهما
الصدر الحنون: مرتان
لاح: مرتان
الهموم: مرتان
القلب: أربع مرات
تتأبى : مرتان

وحبذا لوتخلص السياق من بعض الجمل إن رأى القاص أنها من باب الحشو الذي لامبرر لإثقال الموقف والدلالة به، فضلا عن أنه يسقط بالتعبيرية في التقريرية والتفصيلية.

«لكني لاحظت تغيراً يتسرب من تحتي، وينزع الكرسي على مهل حتى لا أفاجأ بأني أمسيت بلا كرسي».. ومنه قوله : «دعيني أقف عند ظني الأول فاطمئني ما زلت على قيد الحياة»، ومنه قوله «فلما تبين له عتمة الطريق. وظنت كل رجل شهابا فانفرطت» ولعل قوله في هذا الموقف «مقابل دراهم سرقتها مني منذ أن تواطأ بعض دمي معها..» يكون جيداً لو تغير إلى: «مقابل دراهم تسرقها مني يوم أن تواطأ..». ومن الحشو أيضا القول «فنحن حريصون على راحتها المربوطة بالدرجات التي نأمل أن تنالها في امتحان التوجيهي» أما قول القاص وعند المساء وقد أنهكت الرحلة الشمس.. فيغفل القلب عن الدعاء» فحبذا لو نقله إلى الموضع السابق للفقرة الأخيرة، لأنه أليق في التمهيد، والإ فإن حذفه من مكانه أفضل لأنه من باب الحشو. على أنني وددت لو أن القاص أوجد مكاناً لقوله :«هذه سنة كاملة تمر» في سياق الفقرة «مازالت أصابعي تتأبى عليّ..» وحذف من السياق قوله: وأنا أراقب هذا الجنون.

وكما سلبت الخطابية تنامي السرد بالتداعي والتقابلية كما سبقت الإشارة إليه في موضعه من القصة، فإنها حادت بالأسلوب عن جادة الأصول المرعية في التعبير الفني، كما في قوله «هيهات شب عمرو عن الطوق، وها أنذا ألملم ملهياتي، هاهى الأمراض، أينا ضل الطريق أينا أشعل الحريق؟ أينا أغراه البريق؟ فهل أتابع؟ لا وألف لا.

والقصة بعد ذلك ملمح جديد في توجه حيدر قفة القصصي، وهي جديرة بالعناية بالرؤية الواقعية، أو في ظلال الرمزية التي قد تعطي القصة أبعاداً فنية أخرى.

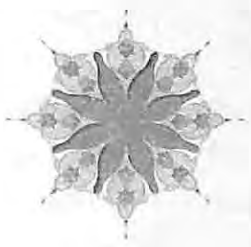

الفارس

إلى ابني أحمد
الذي يحب الفروسية ويتعاناها

فارسٌ حامت القلوب عليه
أي سيفٍ يلوح فى شفرتيهِ
تطمع الغيد أن تقبلَ خديه (م)
وترنو الحسان شوقاً إليه
فارسٌ يورق العنان بكفّيه (م)
ويزهو الركاب فى أخمصيه
وجوادٌ على الجواد يلبى
دعوة النجم كى يطير إليه
والحصانُ الرشيق طوع يديه
وعُرامُ الشباب فى ساعديه
أيها الفارس النبيل تدفق
كهدير الفرات فى حافتيه
واصدم الدهر باعثا صيحة الحر
إذا ضاع حقه من يديه
لايرى الدهر فى مضائك وهنا
عود الدهر أن تثور عليه
يتملى أبوك صورتك المثلى (م)
فتجلو الظلام من ناظريه
فيك يلقى شبابه بعدما حل (م)
غبار المشيب فى عارضيه
كم أطال الصلاة بعد صلاة
فى المحاريب رافعاً راحتيه
ليصون الرحمن فيك شبابا
يشرق الصبح من سنا مُقلتيه

شعر:
عبدالكريم المشهداني

مقال

ما أقل النماذج البشرية التي تخلص لتراث أمتها، دون أن تنعزل عن تراث الإنسانية الخصب، وهى بذلك تبتغي الكشف عن قيمة ما أضافته أمتها في هذا المجال، والبحث عن مكانه اللائق به على مستوى الفكر البشري الفاعل.

ولن يتاح ذلك إلا لمن يؤهل نفسه التأهيل الملائم، الذي يضمن لفكره انتماءه لتراث أمته، وقتله بحثا، حتى يضع يده على خبايا كنوزه المعرفية، التي حققت للسلف السبق والتقدم، فيستطيع هو الكشف عن قيمة هذا التراث بإضاءته من داخله، وتوظيفه للتأصيل به للفكر المعاصر، وبذلك يحقق لثقافة أمته الأصالة والمعاصرة، خاصة وهو لاينفك عن الاتصال بالمتغيرات، والحرث في تراث الإنسانية عامة، برغم خصوبته واتساعه، ورفده بما يقدمه له من تراث أمته.

■■■

هكذا كانت شخصية الدكتور شكري محمد عياد في جانب من جوانب فكره، وقد رحل عن عالمنا أخيراً، ولقد كانت من أمارات تأهيله لنفسه توجهاته الفكريه التي برز فيها منذ بواكير حياته الفكرية، الموضوع الذي نال به درجة الماجستير وهو في الدراسات القرآنية، خير بداية للفكر واعد: يوم الدين والحساب دراسة أسلوبية فنية «سنة ١٩٤٨م، وقد دعم منهجه فيه بعلوم اللغة والأدب،

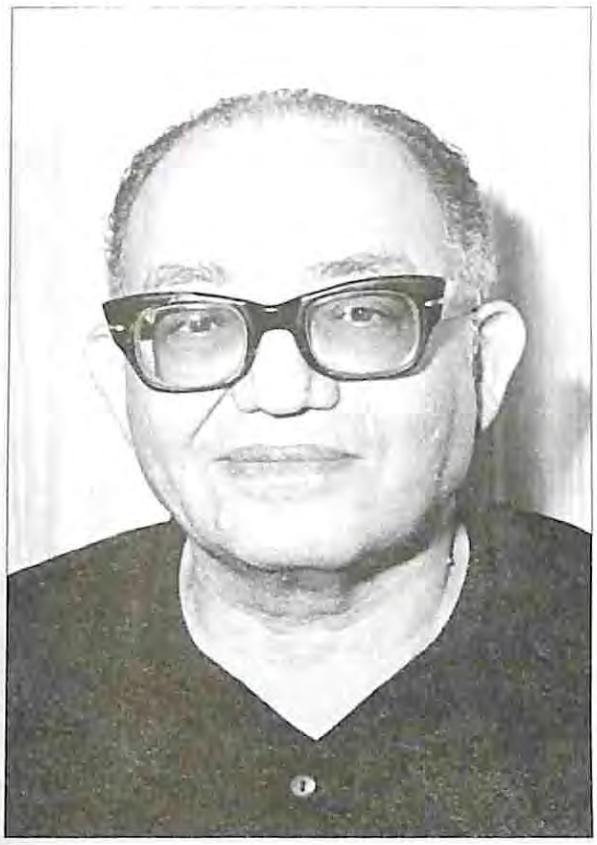

■ د. شكري عياد

والاستفادة الواعية من كتب التفسير المنقول والمعقول، رافدا عمله بثقافة نفسيه واجتماعية، باذلاً جهده في استقصاء الوقائع ومقارنة النصوص، ثم كان الموضوع الذي نال به درجة الدكتوراه «كتاب الشعر لأرسطو وأثره في البلاغة العربية والنقد العربي»، من خلال الترجمات القديمة عن اللغة اليونانية، مما جعله يتعلم اليونانية ليقدم ترجمة عربية حديثة لكتاب الشعر، مقارنة ببعض الترجمات العربية القديمة، كما يتتبع التأثر العربي الإيجابي بفكر أرسطو في هذا الكتاب في البلاغة و النقد العربيين، وليس في ذلك التأثر ملمح التبعية والتقليد، وإنما هو تلاقح ومثاقفة، به يضيف العرب فكرهم وثقافتهم إلى الحضارة الإنسانية؛ لاثرائها وتفعيلها وتحقيق مزيد من الانتشار لها.

الدكتور شكر
وخدمة التـ

ويستمر على الدرب الصحيح نفسه بما يكتب من دراسات نقدية وبما يقدمه للفكر العربي والعالمي من دراسات وبحوث تتسع لكل جديد معرفي، سواء في المجلات والصحف العربية أم في كتبه التي كان يحرص على أن يصدرها هو بنفسه، دون نظر إلى عائدها، المهم لديه أن ترى النورَ الفكرةُ الصحيحة الدقيقة، المخلصة لتراث أمته، وتراث الإنسانية، وأن تسهم في تقديم إضافة جادة للمتلقي في المجالات المعرفية الإنسانية الراقية.

لقد كان متميزاً في ولائه لأستاذه أمين الخولي، كما كان متميزاً مع تلاميذه، الذين درس لهم والذين أشرف عليهم، أو ناقشهم في رسائل الماجستير والدكتوراه حتى خرج جيلا من العلماء الجادين والمتميزين.

ويتواصل عطاؤه الجاد، وهو يتصدى للاتجاهات والمذاهب النقدية الحديثة، دون أن يفقد الطريق الذي اختطه لنفسه، منذ بداية حياته، فاستوعبها باحثا ناقداً، وهي تعني بالنقد الأسلوبي وتولي التوجيه اللغوي حقه في المجال النقدي كأساس لقراءة النص، بمعناها الواسع، وهو في كل ما سبق يولي عنايته للبحث عن المعنى الأدبي، من ثم فقد أصدر في هذا المجال ثلاثة كتب: «مدخل إلى علم الأسلوب» الذي تناول فيه عددا من النصوص الأدبية محللا لها في ضوء المنهج الأسلوبي»، ثم أصدر كتاباً آخر هو «اتجهات البحث الأسلوبي سنة ١٩٨٥، ترجم فيه مقالات لشارل بالي، ليوسبتزر، وستيفن أولمان، وميكل ريفاتير، وأخرين من رواد المناهج النقدية الحديثة، للكشف عن أسسهم وتوجهاتهم الأسلوبية، كما أضاف إليه مقالاً في البلاغة والأسلوبية وبذلك تتكامل الفكرة نظريا وتطبيقيا، ثم كان كتابه «اللغة والإبداع» سنة ١٩٨٨م، الذي نال به جائزة التفوق العلمي من الكويت، وكان هذا الكتاب قمة الامتزاج بين الفكر والتطبيق، وعمق الاتصال بين التراث والمعاصرة، الذي تمثل في العنوان الآخر للكتاب نفسه الذي جعله في أسفل صفحة الغلاف، وهو «مباديء علم الأسلوب العربي» حيث جمع بين الرؤية التراثية للأسلوب والمستجدات في هذا المجال، بما يجعل التراث النقدي العربي مواكبا لأحدث النظرات في مجال النقد الأدبي.

ومن هنا يأتي كتابه الذي أصدرته عالم المعرفة بالكويت سنة ١٩٩٣ «المذاهب الأدبية والنقدية عند العرب والغربيين» كاشفا عن قمة هذا التوجه، في بعد النظر إلى التراث العربي والتراث الإنساني والمتغيرات في مجال النقد الأدبي، بأصالة واقتدار ووعي .

وقد أولى الجانب الإبداعي اهتمامه فكتب مجموعة قصصية، كما كتب في نقد القصة كتابه «في دائرة الإبداع» بجانب اهتمامه ببعض القضايا النقدية في مجالات الفنون الأدبية الأخرى، وهو في كل ذلك كان مستوعباً لأحدث الاتجاهات باحثا ناقداً أصيلاً.

ولقد ختم حياته بكفاحه في إصدار مجلة راقية متخصصة، يبث خلالها مع فريق من تلاميذه المخلصين، أخصب أرائهم في النقد الأدبي واللغة تأكيداً للاتجاه نفسه الذي استمر عطاؤه على دربه، حتى آخر حياته، وقد كان ينفق على هذه المجلة هو وتلاميذه من مالهم الخاص.

ولقد كان نيله لجائزة الدولة التقديرية في جمهورية مصر العربية متأخرا عن موعده كثيراً. رحم الله الدكتور شكري محمد عياد راعياً للتراث، مخلصا لثقافة أمته، وثقافة الإنسانية الجادة.

محمد عياد..
ث (١٩٢١م - ١٩٩٩م)

بقلم الدكتور
سعد أبو الرضا

مسرحية

كسوة العيد

في بيت محمد بن عمر الواقدي.

الواقدي: أوقد أقبل العيد ياعمرة؟ ما أسرع ما أقبل؟

عمرة: ما بقي عليه غير جمعة.

الواقدي: جمعة واحدة؟ لا أكاد أصدق!

عمرة: غيرك يا أبا عمر يستعد له قبل حضوره بأشهر.

الواقدي: أولئك الواجدون الفارغون ياعمرة، ولست بحمد الله منهم.

عمرة: بل الذين يهتمون بأهلهم وبصغارهم قبل أن يهتموا بأنفسهم. هؤلاء جيراننا ليس فيهم من هو أغنى منك، ومع ذلك فانظر إلى صبيانهم وصبياننا! تجد أن صبيانهم قد اشتريت لهم الثياب الجديدة للعيد من ثلاث جمع، وفُصلت لهم منذ جمعة، فهم بها فرحون، يقلبونها كل يوم، ينتظرون حضور العيد بلهفة وشوق؛ لكي يلبسوها ويختالوا بها بين أقرانهم. أما صبياننا فأذلاء منكسرون، يريهم صبيان الجيران ثياب عيدهم الجديدة، ويسألونهم عن ثياب عيدهم، فلا يجدون جوابا.

الواقدي: حسبك يا عمرة، فلقد قطعت قلبي رحمة لهم، هلا نبهتنا إلى ذلك من قبل؟

عمرة: يالي منك يا أبا عمر،ألم أنبهك قبل اليوم أكثر من مرة؟! فكنت تقول لي دائما : فيما بعد يا عمرة، فيما بعد؟

الواقدي: ذلك أنك لاتحسنين اختيار الوقت الملائم ياعمرة، ماكان يحلو لك أن تكلميني في هذا الشان إلا حين كنت تجدينني أقرأ أو أكتب.

عمرة: سبحان الله! وهل أجدك في البيت أبدا إلا تقرأ أو تكتب؟!

الواقدي: لاتظلميني يا أم عمر، فها أنت ذي الآن قد وجدتني لا أقرأ ولا أكتب، إذ أحسنت الاختيار فاستطعت أن أصغي إلى حديثك.

عمرة: فاعمل لصبياننا إذن شيئا قبل أن تنقضي هذه الجمعة ويأتي العيد.

الواقدي: والله لا أدري ماذا أعمل لهم، فقد ضاق الوقت وليس عندي اليوم أكثر من عشرة دراهم

عمرة: عليك أن تحتال لهم بشيء.

الواقدي: كيف ياعمرة؟ ماذا أصنع؟

عمرة: إذا احتجت إلى كتاب أو إلى قراطيس فأنت تحتال على أصحابك الوراقين، دون أن تستشيرني أو تلجأ إلى رأيي. أما في كسوة صغارنا للعيد فإنك تسألني كيف ياعمرة ؟ ماذا أصنع يا عمرة؟

الواقدي: إنك قاسية عليّ يا أم عمر، أليس لي أن أستعين برأيك لعلك ترشدينني إلى حيلة أو إلى سبيل؟

عمرة: أين أنت من صديقيك الحميمين: الهاشمي وأبي صالح؟ فإنك تزعم لي دائما أنكم أنت الثلاثة كنفس واحدة؟

الواقدي: أجل هذا رأي حسن ياعمرة، ولكن العيد سيأتي عليهما أيضا كما يأتي عليّ، ولكل منهما صبيانه، وعسى أن يكونا اليوم في مثل حالي من الحاجة والعوز، بل لعلهما فكرا في اللجوء إليّ ثم عدلا لمعرفتها بحالي.

عمرة: سبحان الله! ماذا يضيرك أن تكتب إلى أحدهما؟!

تأليف:
علي أحمد
باكثير

فإن وجد عنده شيئا أعطاك وإلا اعتذر لك؟ إن الصديق الحق هو الذي يفعل ذلك.

الواقدي: إلى أيهما توصينني أن أكتب؟

عمرة: أنت أعرف بهما مني.

الواقدي: الهاشمي أقل أولاداً من أبي صالح.

عمرة: فاكتب إذن إليه، واشرح له حالك شرحا وافيا؛ حتى يعلم أنك لم تلجأ إليه إلا في ضرورة قاسية.

(في بيت محمد بن عبد الرحمن الهاشمي)

الهاشمي: أين الكيس الذي وضعته عندك يا خديجة؟

خديجة: ماذا تصنع به؟ لقد قلت لي إنك مشغول اليوم، ولاتستطيع أن تشتري لصبياننا ثياب العيد إلا من الغد.

الهاشمي: بل سأشتريها اليوم ياخديجة.

خديجة: هذا أفضل فما بقي على العيد غير جمعة واحدة. انتظر، سأحضره لك.

الهاشمي: مسكينة.ستفجع حين تعلم.

خديجة: خذ الكيس، فيه ألف درهم لم تمس، بحاله كما سلمته إلى.

الهاشمي: أصغي إليّ ياخديجة.هبي أن هذا الكيس عند صديقنا الواقدي، وأنه علم بحاجتنا إليه، فبعث به إلينا لنشتري به لصبياننا كسوة العيد، أفلا يكون سرورنا حينئذ عظيما؟

خديجة بلى يا ابن عبد الرحمن.

الهاشمي: أفيجمل بي ياخديجة أن أكون أنا أقل مروءة منه وكرما؟

خديجة: لا

الهاشمي: أليس ينبغي أن أكون أكرم منه؟

خديجة: ويحك ماذا تريد أن تفعل بهذا الكيس؟

الهاشمي: أريد أن أبعث به إلى الواقدي، فقد كتب إليّ يستقرضني ما يشتري به للأولاد كسوة العيد.

خديجة: أوليس أولادك أحق بك من أولاده؟

الهاشمي: كلا ياخديجة، لو كنت مكانه وكان هو مكاني لآثر أولادي على أولاده.

خديجة: إذن فابعث إليه بمائة درهم أو مائتين ودع الباقي لأولادك.

الهاشمي: كلا لا أستطيع أن أوجه إليه بأقل من ألف درهم؛ فإن عنده أولادا كثيرين. فبكم يشتري لهم من ثياب؟ وبكم يفصلها لهم؟ وبكم يشتري لهم من أحذية؟

خديجة: وأولادنا لانترك لهم شيئا؟

الهاشمي: سأكتب إلى صديقنا أبي صالح المغربي ليرسل إلينا بعض ماعنده فأبو صالح لا يخلو إن شاء الله من مال.

(في بيت الواقدي)

عمرة: من ذا الذي جاء عندك يا أبا عمر؟

الواقدي: هذا رسول من صديقنا أبي صالح.

عمرة: أراك مسرورا بمجيئه. أتراه علم بما كنت فيه من ضيق فبعث إليك بألف درهم أخرى؟

الواقدي: صه. اخفضي صوتك حتى لايسمعك.

عمرة: ظننته قد انصرف.

الواقدي: بل هو في صدر البيت بعد.

عمرة: وتركته وحده؟

الواقدي: لآتيه بما يريد.

عمرة: وماذا يريد؟

الواقدي: أن أسعفه بشيء ياعمرة.

عمرة: تسعفه بماذا؟

الواقدي: كتب إليّ أبو صالح بمثل ما كتبت إلى الهاشمي يرجوني أن أقرضه ما يبتاع به كسوة العيد لأولاده.

عمرة: وماذا قلت لرسوله؟

الواقدي: قلت له انتظر حتى أبحث لك عن شيء.

عمرة: هلا قلت له من أول الأمر: إنك ما عندك شيء، وأنك احتجت إلى ما تشتري به كسوة العيد لأولادك فاستقرضته من الهاشمي؟

الواقدي: كلا ياعمرة، لا أستطيع أن أرد طلبا لأبي صالح.

عمرة: إنه لو علم بأنك استقرضت من الهاشمي لما كتب إليك يستقرض منك.

الواقدي: وأنى له أن يعلم ذلك؟

عمرة: عليك أنت أن تخبره بذلك.

الواقدي: معاذ الله! أين المروءة إذن ياعمرة؟ وأين

التواسي بين الأصدقاء؟

عمرة: كأنك تريد مني أن آتيك بالكيس.

الواقدي : أجل ياعمرة.

عمرة: كم تريد أن ترسل له من الألف درهم؟

الواقدي: سأرسل إليه الكيس كله ياعمرة.

عمرة: ولاتترك لأولادنا شيئا.

الواقدي: سيجعل الله لهم مخرجا ياعمرة.

عمرة: من أين يا أبا عمر؟ لقد كان لك صديقان تلجأ إليهما عند الشدة: الهاشمي وأبو صالح. فالهاشمي قد أخذت ما عنده وأبوصالح قد بعث ليأخذ ما عندك، فأين المخرج؟

الواقدي: ياعمرة إن الله يرزق أحدنا من حيث لايحتسب.فثقي بالله ولاتفقدي الرجاء في بره وكرمه.

-٤-

الواقدي: هذا الهاشمي يريد أن يزورنا ياعمرة فأعدي له شيئا من شراب الورد أو شراب الليمون.

عمرة: أهلا وسهلا به. أهذا خادمه الذي كان عندك؟

الواقدي: نعم أرسله ليرى إن كنت في البيت فيحضر للزيارة.

عمرة: ترى ماذا يدفعه إلى زيارتك اليوم؟

الواقدي: كالعادة ليراني ويتحدث معي.

عمرة: ألا يجوز أن تكون زيارته ليرى إن كنت في حاجة إلى مزيد من العون؟

الواقدي: ثقي ياعمرة أن لوكان عنده أكثر من ألف درهم لبعث لي بأكثر من ألف درهم.

عمرة: ربما جاءه اليوم مال جديد لم يكن عنده بالأمس فأراد أن يعرض عليك المزيد.

الواقدي: إذن لبعث بالمال مع خادمه كما فعل في المرة الأولى دون حاجة إلى الزيارة.

عمرة: مهما يكن من أمر يا أباعمر فعليك أن تخبره بقصة أبي صالح، حتى يعلم أنك لم تنتفع بشيء مما بعث به إليك عسى أن يوجه إليك بألف درهم أخرى.

الواقدي: إني أستحي ياعمرة أن أطلب منه مرتين.

عمرة: تستحي من صديقك الحميم؟ غدا يعلم بالقصة لا محالة، فيغضب منك لأنك لم تخبره بالحقيقة.

الواقدي: اسمعي ياعمرة. إني سأحاول أولا أن أعرف حاله، فإن كان عنده شيء فسأحكي له قصة أبي صالح؛ ليعطيني ألف درهم أخرى، وإلا لزمت الصمت وتجلدت؛ لئلا يشعر بشيء مما عندي.

(يقرع باب البيت)

عمرة: لعله هو يا أبا عمر.

الواقدي: هيا أعدي له الشراب وسأفتح له الباب.

(يفتح الباب)

الهاشمي: السلام عليك يا واقدي؟

الواقدي: وعليك السلام ورحمة الله ياهاشمي.مرحبا بك تعال اجلس هنا في الصدر.

الهاشمي: (مازحا) ألأني أقرضتك ألف درهم يا واقدي؟

الواقدي: كلا ياهاشمي، بل هذا مكانك، أنت له أهل.

الهاشمي: (ماضيا في مزاجه) ولو لم أقرضك شيئا؟

الواقدي: ولو لم تقرضني شيئا

الهاشمي: أصدقني يا واقدي.

الواقدي: ماخطبك اليوم يا أبا هاشم؟

الهاشمي: بل ماخطبك أنت يا واقدي؟

الواقدي: والله إني ما أفهم شيئا مما تقول.

الهاشمي: هل تعرف هذا الكيس؟

الواقدي: لا لا أعرفه.

الهاشمي: انظر إليه جيدا.

الواقدي: سبحان الله. كأنه الكيس الذي كنت قد وجهته إليّ.

الهاشمي: أجل إنه هو بعينه فماذا فعلت به ويحك؟

الواقدي: إني أريد أن أعرف أولا كيف وصل إليك؟

الهاشمي: بل أخبرني أنت أولا ماذا فعلت به؟

الواقدي: (كالمازح) اشتريت به كسوة العيد لأولادي.

الهاشمي: اشتريت الكسوة لهم من أبي صالح؟

الواقدي: أخذت أنت الكيس من أبي صالح؟

الهاشمي: نعم كتبت إليه استقرضه فبعث به إليّ.

الواقدي: ويل له لقد كتب إليّ يقول إنه في حاجة ليبتاع لأولاده كسوة عيدهم.

الهاشمي: ما أحسن ما تواسينا نحن الثلاثة. إنك وجهت إليّ وما كان عندي غير ما بعثت به إليك، وكتبت إلى صديقنا أبي صالح أسأله المواساة، فإذا هو يوجه إليّ بكيسي نفسه.

الواقدي: الحمد لله الذي جعلنا أحباء فيه.

الهاشمي: وأصدقاء في طاعته وفيما يرضيه.

الواقدي: وما فجع أحدا منا في مروءة أخيه.

(ستار)

بل أنت

إلى الصديق الكريم الأخ الدكتور عماد الدين خليل الذي قرأت له قصيدته الشجية البهية «زخرف الدنيا» فأشجتني وأمتعتني وأملت عليّ هذه الأبيات.

شعر:
حيدر الغدير

بل أنت للخير ماتأتي وماتدع
وقلبك الرحب للإيمان منتجع
أنفقت عمرك للجلى وإن عظمت
والصبر زادك يفنيه فيتسع
لك اليقين دروع والرضا حرس
فليس يجتاله الإشفاق والجزع
ومارضيت ـ ويدري الصحب ـ شائنة
ومات عندك قبل النية الجشع
وهبت أمتك الزهراء غالية
من الطيوب ولامنٌّ ولا طمع
ملكت نفسك والأحرار مالكة
رغابها وسواها للهوى تبع
نجوت من حبك الدنيا وزخرفها
فأنت فوق الألى حازوا وماشبعوا
وأشجع الناس من يصفي رغائبه
للحق ماعاش إذ يأتي ويمتنع
علوت عزماً وآفاقاً مجنحة
وعونك العفة الزهراء والورع
والمرء يختار في الدنيا مكانته
يعلو بها في غمار العيش أو يضع
وأنت من حاز سبقاً كل زائنة
والشاهد الفكر في برديك يلتمع

●●●

أبشر أخا الفضل إن الفضل دانية
قطوفه فيك فيها الغدق والبدع
والموعد الله والدنيا رواحلنا
إليه والعفو ضاف منه متسع

●●●

قصة من..

البطولات الأفغانية في الجهاد

(١)

إنها قصة شيخ مجاهد من قرية «شموند» أشرف على السبعين من عمره. وهو الحاج «رضا خان صافي».. يعرفه الجميع من أهل القرية الطيبة.. لا يسير إلا حاملا عصاه الخشبية الغليظة التي يتوكأ عليها أثناء خروجه من بيته إلى مسجد القرية الذي يقع على شاطيء النهر بعيدا عن منزله. أو أثناء عودته من المسجد إلى بيته المتواضع المبني من الطين والحجر، لم يتشاجر في حياته مرة واحدة.. كان حليما يقضي أغلب أوقاته في تلاوة القرآن الكريم، والقيام بأداء الصلوات الخمس، وفي صلاة التهجد ليلا والناس نيام، الأمر الذي جعل أهل القرية الطيبة جميعا يحبونه ويحترمونه.. ويكنون له كل احترام وتقدير، لخصاله الحميدة، ولمنبته الأصيل، لذلك عاش بلا أعداء، وبلا خصومات.

كان من المتوقع أن يكون هو وأبناؤه الثلاثة أحمد وأمان ومطيع من أوائل الناس في «شموند» يحاربون الشيوعيين، ويشاركون في المعركة الجهادية الرهيبة التي دارت بين المسلمين وبين القوات الشيوعية المعتدية في «ننكلام» أكبر المدن في وادي «بيج» بولاية «كونر» التي بدأت السير على درب الثورة الإسلامية منذ الشرارة الأولى للجهاد الأفغاني.. وقد علم الناس ما كان من المتوقع، وعرفوا بعد المعركة أنهم (الحاج رضا وأبناءه) قد جاهدوا وقاتلوا ضد الشيوعيين، ووقع أكبر أبنائه أحمد المدرس بالمدرسة الثانوية أسيرا في أيدي القوات الشيوعية، وقد أعدم فيما بعد في سجن «جرخي» في كابل.

كان الحاج رضا وأسرته المكونة من أبنائه وبناته وزوجته يقطنون في قرية صغيرة باسلة (شموند) بيوتها متناثرة هنا وهناك، وهي تربض بالقرب من مدينة «ننكلام» التي قام الشيوعيون البرابرة بإحراقها قبل اندلاع الحرب الشاملة بين المسلمين والشيوعيين.. و«شموند» هذه من أقدم القرى بوادى «بيج» وبها مسجدان: أحدهما شتوي والآخر صيفي يقع على شاطيء النهر، وتفصل بينهما حديقة صغيرة من أشجار التوت وحقول تزرع في بعضها البقول والنباتات التي تؤكل دون طبخها، وكان المسجد هو أول شيء يقع عليه نظر الشيخ رضا خان صافي في الصباح الباكر عندما يتنحنح المؤذن، وهو يدب حثيثا نحو المسجد؛ ليقوم برفع صيحة الحق «الله أكبر» ولكن قبيل ذلك يصيح ديك جليل الهيئة، جميل الشكل، يرفع هامته في زهو واعتزاز فوق سطح بيت من بيوت القرية المتناثرة، فيجاوبه الشيخ المؤذن من فوق مئذنة المسجد، فيسري صوت جميل في نسمات الصبح يهز المشاعر هزا مؤثرا في غشاوة البكور: الله أكبر ! الله أكبر! فتستيقظ له العصافير والأزاهير مع الرياض والورود..كما تستيقظ له القلوب والمشاعر.

يستيقظ الشيخ رضا خان صافى من نومه مبكرا قبل أن تستيقظ الشمس والورود والطيور ويقوم بفتح الشرفة ثم يدلف إلى المسجد متوكئا على عصاه الغليظة، المصنوعة من فرع شجرة من أشجار الزيتون، وهو يسبح جيئة وذهابا، ويردد في خشوع مثل هذه الأنشودة:

والكون يشدو حامداً
لله جل علاه
الصبح ما أحلاه
والنور ما أبهاه

فيتدفق النشاط والحيوية إلى نفسه المؤمنة، ويملأ قلبه الابتهاج بالحياة، وهو يعود أدراجه إلى منزله الريفي في وقار المؤمنين، وعزم الصادقين.

ورث الشيخ رضا خان صافي ميراثا ضخما من التدين والأخلاق الكريمة، والإيمان بالله، والوطنية الصادقة في إطارها الإسلامي، والصبر والمثابرة، والاعتماد على الله، ثم على النفس. ورث كل هذه الصفات الحميدة عن آبائه وأجداده، من أهل القرية الطيبة، حيث كان التعاون والتراحم والمواساة من أهم ما تميز به هؤلاء القوم من أهالي قرية «شموند» المتواضعة، الذين ضحوا تضحيات غالية.. فلقد أحرقت دورهم، وصودرت أملاكهم، وأسيلت دماؤهم على أرض «كونر» الثائرة الطاهرة، وعلى الرغم من كل ذلك فقد استهانوا بهذه التضحيات ومضوا في كفاحهم إلى نهاية الشوط، ودوخوا الروس وأعوانهم من الشيوعيين العملاء، وظلوا أحرارا لم تنل منهم يد الطغيان الروسي الغاشم.

إن أهل قرية «شموند» لايذكرون أن الحاج «رضا خان» قد تخلف عن الصلاة يوما واحدا، ولم ينقطع عن المسجد حينما كانت الطائرات تقذف القرى بوادي «بيج» بقنابلها المحرقة دون تمييز بين أماكن العبادة وغيرها، لقد تحولت كل الأماكن إلى أهداف عسكرية في نظر الشيوعيين البرابرة.. وجاءت الأنباء أن كثيرا من المساجد ودور العبادة قد تم تدميرها، وتحطمت بشظايا القنابل المحرقة، تتداخل فيها أجساد

الشهداء، وتتصاعد فيها أنفاس الأحياء مع دخان الحرائق المتصاعد.

(٢)

وكانت آخر مرة أدى فيها الحاج رضا خان صافي صلاته هي فجر يوم الخميس.. في ذلك اليوم.. يوم البذل والفداء المبارك بدأت الطائرات الشيوعية والروسية تضرب قرى وادي «بيج» بجنون ووحشية، بحيث اضطر الرجل لأول مرة في حياته الطويلة أن يقوم بالاعتكاف في بيته مع أولاده.. ولايتوجه كعادته إلى مسجد القرية لأداء صلاة الظهر جماعة.. كان في حالة من الحنق والضيق الشديدين.. ومع ذلك لم ينس صلاته في بيته، ودعاءه للمؤمنين المجاهدين في سبيل إعلاء كلمة التوحيد.. وظلت نوافذ بيته الريفي كلها مغلقة بإحكام، حرصا على سلامة أفراد الأسرة، ولكن صوت أنفاسهم كان يتردد صداه في كل ركن من أركان البيت، كان يجلس مع زوجته وبناته الصغيرات، أما أبناؤه.. أحمد وأمان ومطيع فكانوا على خط النار؛ يجاهدون ويقاتلون دفاعا عن العقيدة والوطن، ولم تهدأ حماسة الرجل الكبير، وإنما كان كالأسد الحبيس في عرينه، كبقية أهل القرية الباسلة التي وقعت في أسر الحزن..

(٣)

وفجأة انتفض في حماسته الأفغانية وسأل زوجته التي لم تكن أقل منه حماسة وحزنا: أين الأولاد.. أحمد وأمان ومطيع ؟ هل قاموا بأداء الصلاة؟

فأجابته، وهي تحاول إخفاء دموعها: غادروا البيت صباح أمس ليقدموا أنفسهم لجيش الجهاد الإسلامي.. ولم يرجعوا إلى البيت من ذلك الوقت.

وحول الرجل العظيم بصره الحاد إلى ابنه الواقف بجواره، وهو أصغر أبنائه: ألاتعرف عن أخبارهم شيئا يامحمد؟.. أأصابهم سوء ونحن لانعلم؟

ورد عليه محمد بلهجة مطمئنة: كلا، بالتاكيد.. لقد أبصرتهم اليوم صباحا أثناء ذهابي لأتسلم سلاحا لأحارب معهم ضد الشيوعيين، ولكن أحمد تشاجر معي بصرامة، وقال لي بإلحاح شديد، وبإصرار أشد: لابد لأحدنا أن يظل بالضرورة في المنزل؛ للقيام بشئون البيت ورعاية الأهل.

- ألا تدري مكانهم الآن ياعزيزي محمد؟ وقد ارتعش صوته، وانغرزت أصابعه في كتف محمد..

- ابتلع محمد ريقه بصعوبة بينما تنقلت ذاكرته إلى الماضي، وهو يقول: لقد سمعت يا والدنا العزيز أنهم قد كانوا يحاربون على شاطيء النهر الملتهب صباحا.. والساعة الآن الثانية بعد الظهر.. وأعتقد أنهم قد اقتربوا من القرية الآن..لأن أصوات الرصاص المنهمر قد اقتربت منا تماما.. كانت المعركة الحامية تدور رحاها في شوارع القرية من باب إلى

بقلم: الدكتور محمد أمان صافي

باب.

ونظر الرجل الوقور إلى ابنه محمد ملياً، ثم اتجه إلى باب الشرفة التي تطل على أحد الشوارع في القرية، وكانت مغلقة ففتحها، وأخذ يتطلع إلى الشارع الممتد أمام المنزل.. الشارع الذي تحول إلى مسرح للعمليات القتالية، والبطولات الجهادية..

همست زوجته الوفية: رويدك ياحاج، رويدك.. أغلق باب الشرفة.. ولكن الرجل الوقور لم يعد يعبأ بكلامها.. وظل يجول بعينيه وخاطره في أرجاء الشارع طولا وعرضا؛ أملا في أن يجد فيه مكانا أو موقعا للعمل ضد العدو.. ولكن..

(٤)

كانت هناك دبابات من دبابات العدو الشيوعي تسير، ومن خلفها حوالي ثلاثمائة من جنود الأعداء.. وعلى مسافة قريبة منها يكمن صف مرصوص من المجاهدين الأفغان، وذلك خلف سور أحد المنازل الذي يرتفع عن الأرض بحوالي نصف متر تقريبا، وهم يرغبون في الدفاع ويتأهبون له، ويأملون في المستقبل الذي تهدده الدبابات.

كان هناك ستون شابا من الشبيبة المسلمة.. عدا ثلاثين آخرين وقفوا صامدين يحاربون خلف متراس ضخم، أقيم بإتقان بعرض الشارع الضيق، أمام منزل الحاج رضا خان صافي.. وشاهد الحاج رضا منظرا رهيبا من اللهب المشتعل، جعله يبكي لأول مرة في حياته الطويلة !..

(٥)

أخذت دبابة من دبابات العدو تقذف المتراس الضخم الذي أقامه المجاهدون، فيتناثر قطعا من الخشب، والحجر والطين، وتتناثر معه أشلاء المناضلين من المجاهدين الأفغان.. فتحاول بقية المحاربين المسلمين خلف المتراس أن تسد الثغرة التي أحدثتها القذيفة بإعادة الحجارة والأخشاب والأتربة المتطايرة.. هنا وهناك.

والدبابة المعتدية إزاء هذا لايمكنها أن تتقدم شبرا واحدا.. لقد كانت المقاومة الإسلامية عنيفة، بالرغم من أن النار كانت تشتعل في أجزاء كثيرة من الشارع المنكوب.. وكان جنود الأعداء من الروس والشيوعيين لا يستطيعون الاحتماء بمنازل هذه المنطقة، خوفا من اللهب المندلع من ناحية، ومن أصحاب المنازل من ناحية أخرى.

كما أنهم كانوا في رهبة من التقدم إلى الأمام، خوفا من الرصاص المنهمر، الذى ينطلق عليهم من كل ناحية، ومن كل شارع، بل من كل منزل قريب من ساحة القتال.. ودب الخوف والرعب بين الجنود عندما صدر إليهم أمر عسكري بالتقدم إلى الأمام.. قام بعض منهم بمحاولة التقدم في شارع القتال.. وتمكن بصعوبة من التقدم البسيط، فعلا.. ولكنه لم يتحرك أبدا بعد هذا التقدم البسيط الذي يكمن فيه خطر علي

حياتهم المهددة.. وكان يعز عليهم أن يفقدوها في هذه القرية الصغيرة وأهلها ضعاف في نظرهم..

(٦)

أحس الحاج رضا خان صافي بنشوة إسلامية عندما شاهد بعينيه الضيقتين، اللتين تتطاير منهما نار الحمية الأفغانية والغيرة الإسلامية، الجنود الروس والشيوعيين يتساقطون صرعى برصاص المجاهدين من أبناء القرية الباسلة.

واقترب منه ابنه محمد ونظر إلى الشارع الذي يدور فيه القتال، فرأى مالم يستطيع والده العظيم أن يراه.. رأى المجاهدين المحاربين من أبنا القرية من وراء ظهورهم.. ومع ذلك أمكنه أن يلمح أشقاءه أحمد وأمان ومطيع يرقدون خلف سور المنزل، وفي يد كل واحد منهم مدفع رشاش يومض باستمرار..

فصاح محمد صيحة الفخر والاعتزاز: هاهم أولاء أحمد وأمان ومطيع يا والدي.. وحدق الرجل الكبير في سور المنزل، وتركز بصره الحاد على أولاده الثلاثة، وهم يحاربون الأعداء بإرادة شعب مسلم، يرغب في الحياة الكريمة، ويأمل في المستقبل الحر.. يقاتلونهم ببسالة إسلامية على عجل، فانطلقت من فمه الفاغر الأدعية؛ لينصر الله المناضلين المسلمين في جهادهم ضد أعدائهم. أعداء الإسلام والمسلمين بل أعداء البشرية كلها.

(٧)

وفجأة توقف جنود الأعداء عن إطلاق الرصاص في وجه المجاهدين، وكذلك فعل المجاهدون من أبناء القرية المناضلة نضال الإسلام.. وساد الشارع سكون عجيب، وهدوء رهيب، لم يكن أحد يتوقعه في هذه الحالة.. ولم يكن يعكره سوى طلقات الرصاص في الشوارع الأخرى وأزقة القرية الملتهبة ،وأزيز الطائرات الحربية في السماء.. وقذائف المدافع التي كانت تنفجر كل لحظة في أنحاء متفرقة من القرية والقرى المجاورة.

وحانت من محمد نظرة إلى نهاية الشارع الملتهب.. فشاهد أكثر من أربعمائة من جنود الروس يتقدمون ناحية القرية؛ لتعزيز القوة التي تحاول اقتحام الشارع دون جدوى.. ولمح شاباً من المجاهدين يقفز من بين الأنقاض، ويقذفهم بقنبلة يدوية كان يحملها معه.. فسقط من جنود الأعداء عدد كبير بين قتيل وجريح.. واندفع الشاب المجاهد أثناء ارتباك الجنود الروس والشيوعيين يحصدهم حصدا بمدفع رشاش كان يحمله.

وفجأة صمت المدفع.. وكذلك وقف قلب الحاج رضا عن الخفقان عندما شاهد فتى الأفغان المجاهد تتناثر أشلاؤه بعد أن ألقيت عليه أكثر من خمس قنابل يدوية من قنابل الأعداء المحرقة.

وواصل الجنود تقدمهم بعد أن نقص عددهم نقصا ملحوظا.. وبعد أن اشتد بهم الذعر والخوف من احتمال وجود فدائيين من المجاهدين الأخرين بين الانقاض.. حتى وصلوا إلى مواقع زملائهم المحاصرين، وانبطحوا على الأرض مثل زملائهم من الخونة والروس، ولم يطلقوا رصاصة واحدة.. مما أثار دهشة الحاج رضا خان صافي، وابنه محمد الذي مازال واقفا بجواره.. يرقب المشاهد التي تتمثل أمامه بسرعة رهيبة.. وقد تحصن هو ووالده في هذه الساعات الحرجة، واللحظات الصعبة بالأدعية النبوية.. «اللهم اجعل ثأرنا على من ظلمنا وانصرنا على من بغى علينا، اللهم لاتشمت بنا الأعداء ولا الحاسدين».

(٨)

وفجأة أحس الحاج رضا بحركة غير عادية فوق سطح المنزل.. سمع أزيز طائرة من طائرات العدو الحربية المقاتلة.. ونظر إلى ابنه محمد فوجده ينظر هو الآخر إليها.. وعرف أن زوجته وبقية أولاده قد أحسوا هذه الحركة، فتعلقت أبصارهم الشاخصة بأبيهم وأخيهم بشيء من الدهشة والرعب.

ومرت أكثر من خمس دقائق أثناء هذا الترقب، اندفع بعدها مدفع رشاش على باب منزل الشيخ رضا.. وصرخ الأولاد، واحتضنوا أمهم التي أخذت تحدق في وجه زوجها الوقور، وابنها الشاب اللذين أذهلتهما المفاجأة.. ثم سمعوا وقع أقدام خائفة تجتاز ردهة المنزل، ثم فتح باب الغرفة التي كانوا بها بعنف، وبرزت منه فوهة مدفع رشاش، ومن ورائها أطل وجه أحمر دنس من وجوه الروس الكريهة.

(٩)

وبعد لحظات مريبة امتلأت الغرفة بعدد غير قليل من جنود الأعداء البرابرة.. كان بعضهم من الروس الأنجاس، وبعضهم الآخر من الشيوعيين الخونة من عملاء الروس.. وقد طلب الجندي الروسي الذى دخل إلى الغرفة أولا من الموجودين بالغرفة رفع أيديهم فوق رؤوسهم.. حتى الأطفال الصغار طلب منهم ذلك أيضا.. وأمرهم جميعا بعدم التحرك، والوقوف ثابتين في أماكنهم..

وكان يتحدث باللغة الأفغانية بلهجة سقيمة رديئة.. وفهم الحاج رضا وابنه محمد من هذا أنه أحد جنود الروس الذين كانوا يعملون في أفغانستان تحت شعار الخبراء، منذ أيام الرئيس الراحل محمد داود خان الذي ركبه الشيوعيون بعد أن خدروه بالهتاف والتصفيق والتأييد الفارغ.

ولم ينس الحاج رضا خان صافي أن يسند عصاه الغليظة العزيزة إلى جانبه قبل أن يرفع يديه المرتعشتين إلى أعلى تنفيذا لأمر هذا الجندي القذر. ثم تقدم قائد القوة المهاجمة المعتدية وكان روسيا أيضا، يتحدث بالأفغانية الركيكة، ودار بعينيه القذرتين في أركان الغرفة، وفوهة مدفعه الملطخة بدماء الشهداء الأفغان تدور مع عينيه بحثا عن الأهداف الجهادية، ثم لمح باب الشرفة المطلة على الشارع، فتقدم منه، ونظر خلاله بمنظار مكبر كان يعلقه في رقبته كغيره من الضباط..

فشاهد صفوف المجاهدين الأفغان المتراصة خلف المتراس.

وعندما التفت إلى جنوده.. وتحدث إليهم لمح الحاج رضا خان صافي في عينيه الضيقتين الماكرتين نظرة خبيثة غادرة، ملؤها العداوة الماكرة والغدر الخبيث.. وفي الحال فهم بذكائه الخارق الخطة الدنيئة التي تم وضعها وتخطيطها بدقة لاقتحام الشارع واحتلاله.. وتوجيه ضربة قاتلة إلى المجاهدين من وراء ظهورهم.

لقد قاموا بإرسال جنودهم وإنزالهم بطائرات الهيلوكبتر التي سمع الحاج رضا وأبناؤه أزيزها أثناء هبوطها فيما وراء خط دفاع المجاهدين عن القرية الباسلة، ليتمكنوا من ضربهم في ظهورهم بعد أن فشلوا في معركة المواجهة، ويحتلوا الشارع دون أدنى مقاومة يبديها رجال الجهاد الإسلامي.

ويعرف الحاج رضا أن ثلاثة من أولاده بين هؤلاء المناضلين الأفغان الذين سيطلق رصاص الغدر على ظهورهم؛ ليموتوا شهداء؛ نتيجة لخطة العدو الماكر وغدره الخبيث.

وبصوت يملؤه الألم المكتوم، والحزن المضغوط طلب من الجندي الذي يتحدث الأفغانية أن يدخل الأطفال وأمهم غرفة أخرى من غرف المنزل.. حتى لا يشاهدوا على الأقل إعدام كل من أحمد وأمان ومطيع..ورفض الجندي الروسى ذلك.. وأمره بالسكوت وعدم التحرك.. وإلا..

(١٠)

وتقدم جندي روسى آخر يحمل مدفعا رشاشا.. ورقد على وجهه، وصوب مدفعه من فتحات الشرفة.. وانتظر الأمر بإطلاق النار من القائد الذي كان لايزال ينظر بالمنظار المكبر يراقب صفوف المجاهدين الأبطال.. وطلب منه القائد أن يوجه مدفعه إلى اليسار.. وأن يحصد به صف المقاتلين المسلمين الذين يرقدون صامدين خلف المتراس، وخلف سور المنزل.

وبدأ الجندي الروسي الاستعداد للاعتداء، وقام بتصويب مدفعه وتوجيهه إلى الهدف.. وفي اللحظة الحاسمة التي أمر فيها القائد الروسي بإطلاق النار على المجاهدين.. قام الحاج رضا خان صافي برفع عصاه الغليظة بكلتا يديه عاليا، وهوى بكل عنف وقوة فوق رأس الجندي الذي كان قد بدأ يطلق رصاصه الغادر على رجال المقاومة الإسلامية.. وقد سبقت ذلك صيحة «الله أكبر»..

ولم يكن الجندى الروسي قد أطلق سوى رصاصتين فقط استقرتا فى ظهر احد الفدائيين المسلمين الواقفين خلف المتراس. والتفت الجندي بسرعة مذعورا وبيده المدفع الرشاش.. وأطلق منه رصاصتين أخريين استقرتا في جسم الحاج رضا النحيف..

(١١)

وسقط الحاج رضا خان صافي فاقد الوعي أمام زوجته وأولاده مضرجا في دمه الساخن القاني.. وظن الجميع بأنه قد طواه الموت، وبذل روحه المؤمنة فداء للإسلام و إعلاء رايته في الآفاق.. والتفت الجندي الروسي القذر مرة أخرى ليكمل قتل بقية الفدائيين من المجاهدين الأفغان، ولكن الموقع كان قد خلا منهم تماما.. ولم يبق فيه أحد.

كان المقاتلون من رجال المقاومة الإسلامية الباسلة قد تنبهوا إلى أن هناك من يطلق الرصاص عليهم من الخلف.. فقاموا بإخلاء الموقع فورا.. ودون انتظار.. وانتقلوا إلى موقع آخر من مواقع الجهاد أكثر أمانا، وأكثر فعالية.. ولو تأخر الشيخ رضا خان عن ضرب الجندي الروسي بعصاه الغليظة لحظة واحدة لما بقي منهم شاب واحد يقوم بالدفاع عن المسلمين في قرية «شموند» من قرى وادي بيج الباسلة..

(١٢)

هكذا حطم الحاج رضا خان صافي أمل الطاغوت الروسي بالنداء الأكبر، وهزم به العدوان الأحمر. وهكذا أنقذ حياة صفوة مختارة من الفدائيين من الموت الغادر.. وهو يصيح بالنداء الأكبر في وجه الجندي الأحمر..

بقي أن تعرف ـ أيها القاريء الكريم ـ هذا الشيخ البطل الذي يوشك على السبعين من عمره.. إنه جندي من جند الله، ومهاجر في سبيل الله، وشقيق هذا العبد لله.. كاتب هذه القصة من قصص البطولة في الجهاد الأفغاني، وقد قام الشيخ المجاهد (رضا) بأداء فريضة الحج عام ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م، وسمع الكاتب من فمه الفارغ من أكثر أسنانه عشرات القصص والحكايات في البطولة والهجرة والجهاد في منازل الأفغان، وقد فقد الشيخ البطل بصر إحدى عينيه في هذه الوقائع الإسلامية، لتبقى عيون العشرات من الصفوة الممتازة من رجال الجهاد سليمة مبصرة، لإنقاذ البلاد من ويلات الحرب المدمرة التي تخوضها الشيوعية الملحدة ضد الإسلام والمسلمين في بلاد الأفغان..

والشيء المهم الذي فات تأكيده أن الشيخ رضا خان صافي لم يكن الوحيد الذي اعتلى سطح الموجات العالية من موجات الثورة الإسلامية، التي ظلت تتلاحق في الحياة الأفغانية، منذ وصول الشيوعيين إلى الحكم في كابل، فقد أرغت هذه الموجات وأزبدت، وتطاولت بكثير من الجموع الأفغانية إلى السطح الجهادي العظيم.. وهذه القصة البطولية، صورة واحدة من الصور العديدة لحركة المقاومة الإسلامية في مراحل النضال والكفاح الإسلامية المختلفة في وادي بيج بولاية كونر، التي ثارت ضد الشيوعية والشيوعيين في أفغانستان، والمجتمع لهذه الصورة أو الصور يشعر بعمق الشعور الإسلامي، وقوة الإيمان التي يتصف بها أفراد قبائل الصافية.. فهم يمثلون شعبا حيا أبى أن يخضع للقوة، وأبى أن يعيش رجاله عيشة الضيم والذل والمهانة.. وبطولة الشيخ رضا خان صافي خير دليل على ذلك.

■■■

من تراث الشعر

فخر وكلمة*

للشاعر: دعبل الخزاعي

إذا غـــزونا فـــمـــغـــزانا بأنقـــرة
وأهل سلمى بسيف البحر من جُرُت (١)
هيـــهـــات هيـــهـــات بين المنزلين لقـــد
أنضيت شـوقي وقد أبعدت ملتـفتى (٢)
أحـــبـــبت أهلى ، ولم أظلم بحـــبـــهم
قالوا: تعـصبت جهـلا؛ قولُ ذي بَهَت(٣)
أحـمي حـماهم، وأرمـي في معـارضـهم
وأســـتـــقـلهم إذا مـــارجلـهم هوت(٤)
لهم لـسـانـى بتـقـريـظي وممتـدحي
نعم! وقـلبي ومـا تحـويه مـقـدرتي
دعني أَصِلْ رحـمي إن كنت قـاطعـهـا
لابد لـلرحـم الدنـيـــا مـن الصـلة(٥)
كم من عـــدو تحـامـاني وقـد نـشـبت
فـيـــه المخـالـب يعـدو عـدو منـفلت
لو عـاش كـبـشا تميم ثمة استـمـعـا
شـعري لماتا، ومـات الوغد ذو الرمـة(٦)
نفـــسي تنافـــسني فـي كل مكرمـــة
إلى المعـــالـي ولو خـــالفـتـــهـا أبت
وكم زحـمـت طريق الموت مـعـتـرضـاً
بالسـيف صلتـا فأداني إلـى السعـة(٧)
والجـــود يـعلم أنى مـنذ عـــاهـدني
مـاخنتـه وقت ميـسوري ومعـسـرتي
والضـــيـف يعلـم أني حين يـطرقـني
مـاضـي الجنان على كـفي ومـقـدرتي
أهوى هـواه ، ويهـوى مـــا أســـر به
ينال مـا يشـتهي ، والـنفس ما اشـتـهت
مـــايرحـل الضـيف عـني غب ليـلتـه
إلا بزاد وتـشـــيـــيـع ومـــعـــذرة
قـــال العـــواذل: أودى المال: قلت لـهم
مـــا بين أجـــر أُلَقَّـاهُ ومـحـمـدة
أفـسـدت مـــالك ، قلت: المال يفـسـدني
إذا بخلـت به ، والجـود مـصلحـتي
أرزاق ربـي لأقـــوام يـقـــدرهـا
من حـيث شـاء فـيـجـريـهن في هبـتي
فليـشـكروا الله ، مـا شكري بـزائدهم
وليـحمـدوه ، فـان الحمـد ذو مقـة (٩)

---

* من «شعر دعبل» للدكتور عبد الكريم الأشقر ص ٧٨ ـ ٨٠

(١) سيف البحر: ساحله، وجرت: من قرى اليمن

(٢) إنضاء الشوق: إضعافه ،كناية عن كثرة البكاء

(٣) البهت والبهتان : الكذب.

(٤) استـقال: طلب الإقالة ، أي الانـهاض من العثـرة. وقد وردت هكذا فى الأصل. ولعلها: (وأستقيل).

(٥) الدنيا: القريبة ، والمذكر : أدنى ..

(٦) كبشا تميم: جرير والفـرزدق. وهما مع ذي الرمة من مـضر التي يعاديها الشاعر، ليمانيته.

(٧) الصلت: السيف المجرد من غمده

(٨) الكف: الكفاف

(٩) المقة: المحبة، من:ومق.

من تراث النثر

قصور .. همم الكُتَّاب*

لابن قتيبة

...فأبعد غايات كاتبنا في كتابه: أن يكون حسن الخط قويم الحروف . وأعلى منازل أديبنا: أن يقول من الشعر أبياتاً في مدح قينة أو وصف كأس. وأرفع درجات لطيفنا، أن يطالع شيئا من تقويم الكواكب، وينظر في شيء من القضاء(١) وحد(٢) المنطق. ثم يعترض على كتاب الله بالطعن، وهو لايعرف معناه، وعلى حديث رسول الله ﷺ بالتكذيب، وهو لايدري من نقله، وقد رضي عوضاً من الله ومما عنده بأن يقال: فلان لطيف، وفلان دقيق النظر، يذهب إلى أن لطف النظر قد اخرجه عن جملة الناس، وبلغ به علم ما جهلوه، فهو يدعوهم: الرعاع والغثاء والغُثْر(٣) وهو ـ لعمر الله ـ بهذه الصفات أولى، وهي به أليق، لأنه جهل وظن أن قد علم، فهاتان جهالتان، ولأن هؤلاء جهلوا وعلموا أنهم يجهلون. ولو أن هذا المعجب بنفسه، الزاري(٤) على الإسلام برأيه، نظر من جهة النظر، لا حياهُ الله بنور الهدى وثلج اليقين. ولكنه طال عليه أن ينظر في علم الكتاب(٥) وفي أخبار الرسول؟ وصحابته، وفي علوم العرب ولغاتها وآدابها، فنصب(٦) لذلك وعاداه، وانحرف عنه إلى علم قد سلمه له ولأمثاله المسلمون وقل فيه المتناظرون؛ له ترجمة(٧) تروق بلامعنى، واسم يهول بلا جسم.

وإني رأيت كثيرا من كتاب أهل زماننا كسائر أهله: قد استطابوا الدعة، واستوطؤوا مركب العجز ، وأعفوا أنفسهم من كد النظر، وقلوبهم من تعب التفكر، حين نالوا الدرك(٨) بغير سبب، وبلغوا البغية بغير آلة وقد ـ لعمري ـ كان ذاك. فأين همة النفس، وأين الأنفة من مجانسة البهائم؟

---

* من كتاب أدب الكاتب لابن قتيبة ص٦،٢ ..تحقيق محيى الدين عبد الحميد.

(١) قضى يقضي قضاء: حكم

(٢) حد كل علم: التعريف بحقيقته . وسمى حداً، لانه يمنع المحدود أن يخرج منه بعضه، ويدخل فيه غيره (حد: منع) وكلام ابن قتيبة بعد يدل على أنه أراد بحد المنطق: مانقل من علوم اليونان وفلسفتها.

(٣) الأغثر: الأحمق الساقل، وجمعه الغثر.

(٢) زرى عليه ـ يزري زريا ومزرية وزريانا ، وأزرى به ـ إزراء: عابه وتنقصه.

(٥) الكتاب: كتاب الله(القرآن).

(٦) نصب المرجل ـ ينصب نصباً:تجرد له وعاداه.

(٧) يقصد: ترجمة العلم إلى اللغة العربية.

(٨) الدرك: اللحاق. (الاسم من : أدرك : لحق).

■■ شهدت الساحة الإسلامية في الآونة الأخيرة ازدحاما للقضايا الفكرية والثقافية التي لفتت انتباه الخاصة والعامة، وتباينت حولها الرؤى ووجهات النظر، ما بين مؤيد ومعارض ومتحفظ، ولكن في جميع الأحوال كان من أبرز المتصارعين أو المتخاصمين فريقان لا يلتقيان أبدا.. ولن يلتقيا!!

الفريق الأول يمثله أصحاب التوجه الإسلامي الأصيل، والنزعة الإيمانية، والفريق الآخر يمثله من يطلق عليهم العلمانيون والشيوعيون والقوميون.. هذا الفريق الآخر يمثل الانبهار بالحضارة الغربية، ولم يأل جهدا في الارتماء بأحضانها ويحذوا حذوها. بل ذهب إلى أبعد من ذلك حينما اعتقد أنها الحل الأمثل والافضل والأخير الذي لابديل له في كل قضايانا الاقتصادية والسياسية والنفسية والاجتماعية والعلمية أيضا!! إن هذا التيار العلماني المنبهر لاقى رواجا إعلاميا، وكأنهم أوصياء على الفكر والثقافة، مع أنهم لايملكون في الحقيقة أي مؤهلات ترقي بهم إلى هذا الدور وتلك المكانة.

هذا التيار الذي يدعو إلى التخلي عن تراثنا العربي والإسلامي وطرحه جانبا لإفساح المجال للآداب الأخرى.

وفي هذا الحوار مع معالي الدكتور أحمد هيكل وزير الثقافة المصري السابق وأستاذ الأدب بكلية دار العلوم، وهو الشاعر والناقد الحصيف، صاحب المؤلفات الرائعة والمقالات الفائقة، المؤرخ الجاد للأدب العربي وخاصة الأندلسي منه، والحائز على الجائزة التقديرية لجهوده البناءة في مضمار اللغة والأدب، وبصفته يمثل التيار الإسلامي المعتدل الذي يقف عقبة كؤودا في وجه العلمانية كان هذا الحوار.

من ثمرات المطابع

■■ هل يمكن أن تحدثنا عن ماهية الأدب الإسلامي وتاريخه ومقوماته وأهدافه وأبرز رجالاته؟

●● القاعدة تقول كل ما هو ليس ضد الإسلام فهو إسلام .. إذن فالأدب كله شعرا أو قصة او مسرحية أدب إسلامي ما لم يكن فيه فحش في القول او تطاول على القيم أو تهكم من المعتقدات أو تجرؤ على الثوابت المتعارف عليها. وقد كان حال الأدب العربي كله والى وقت قريب أدبا إسلاميا، يدعو إلى توحيد الله، وإلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتوجيه الخلقي الرفيع ونصرة المظلوم، واحقاق الحق وزجر الباطل، والثناء على

الأديب والشاعر.. د. أ

الأدب يجب أن يرتبط ب

* نشر الحوار في جريدة «العالم الإسلامي» التي تصدر عن رابطة العالم الإسلامي ـ ٢٧ ذو القعدة ـ ٤ ذو الحجة ١٤١٩.

البطولات والغزوات، والصلح بين المتخاصمين، وغير ذلك من مكارم الأخلاق.

ولذا ظهرت بوادر الأدب الإسلامي وامتدت جذوره إلى العصر الجاهلي ولعلك ترى أشعار زهير بن أبي سلمى الذي كان يحذر قومه من مغبة الضلال وينصحهم بالتعايش السلمي ويذكرهم بالبعث والحساب والجنة والنار.

الرؤية الإسلامية هي الأساس

■■ ترى هل الأدب الإسلامي هو الذي يدور حول شعائر العبادات أو يتحدث عن مضامين عقائدية فقط.. كما يتصور البعض.. أم ماذا ترى؟

●● يخطيء من يظن أن الأدب الإسلامي هو الذي ديدنه الحديث عن الصلاة والصيام والحج والجنة والنار فقط بل أن الأدب الإسلامي هو الذي يصور الحياة والكون والإنسان في جميع حالاته من خلال رؤية إسلامية ترقى به إلى أعلى وتنأى به عن التدني والسقوط والإسفاف.

فمثلا عندما يجأر حافظ إبراهيم من الاستعمار وغلاء الأسعار فهذا أدب إسلامي، ولو أنك كتبت قصيدة شعرية تهنيء فيها أحد أصدقائك فهذا أدب إسلامي، ولو رثيت حبيبا لك فهذا أدب إسلامي. أي أن كل ما يتفق مع القيم والأخلاق فهو أدب إسلامي، وكل ما يتعارض مع الفضائل ومكارم الأخلاق ليس من الأدب كما هو ليس من الإسلام.

إن أبا فراس الحمداني عندما يرثي امه فهذا أدب إسلامي، والمتنبي عندما يرثي جدته فهذا أدب إسلامي.. وكذلك نجد أشعار محمد إقبال وأحمد محرم وحافظ إبراهيم ومحمود سامي البارودي وأحمد شوقي وغيرهم، كل هذا هو من عيون الأدب الإسلامي، وكذلك كتابات المنفلوطي والرافعي والعقاد وأحمد أمين ومحمود شاكر هي من عيون الأدب الإسلامي الرفيع.. إذن فكل فضيلة هي من الإسلام وكل رذيلة ليست من الإسلام .

أصالة الأدب والأديب

■■ ترى ما العلاقة التي تربط الأدب بالتراث وما تفسيركم لتلك الحملة المغرضة ضد التراث العربي والإسلامي؟

●● التراث الأدبي هو كل ما يرفد الفن القولي من كتابات إنسانية تثري الفكر وتهذب العقل وتشكل الوجدان وتوسع آفاق الخيال، ومن ذلك الآثار الاجتماعية والتاريخية وأما أشبه هذه وتلك من كتب الرحلات والبلدان والشخصيات.

والحقيقة أن استيعاب التراث الأدبي ضرورة فنية لإنتاج أدب أصيل.. والأصالة إحدى دعامتين أساسيتين يقوم عليهما أي أدب عظيم. أما تلك الدعامة الثانية فهي المعاصرة، إذ لابد لكل أدب حي صادق جيد من أن يمثل حلقة قوية من سلسلة متينة متصلة، تبدأ من ماضي هذا الأدب وتمتد إلى حاضرة لتسلمه إلى مستقبله.

ولابد في الوقت نفسه لهذا الأدب.. الحي الصادق الجيد. أن يعكس نبض عصره الذي نتج فيه وروح زمنه الذي خرج منه.. وبهذا يضيف المعاصرة إلى الأصالة ويقوم فعلا على دعامتي الأدب العظيم.

وإنما كانت دعامة الأصالة مبنية على وعي التراث واستيعابه وقبس روحه وهضم لبابه، لأن هذا التراث إنما هو الوعاء الذي يحوي السمات الأصيلة لأمتنا، والقيم الباقية لشعوبنا، والروح الخالدة لشخصيتنا، فالحرص على ذلك كله يهب الأدب أصالة السمات، وبقاء القيم، وخلود الروح، واتضاح الشخصية الحية النابضة المتميزة المتفردة، وهذه هي الأصالة العامة، وهي أصالة الأمة التي ينتمي إليها الأديب، وأصالة الأدب الذي منه عمل هذا الأديب.

جدير بالذكر أن هناك أصالة أخرى؛ وهي الأصالة الخاصة. أو أصالة الأديب نفسه، وهي سمات تلك الذات الفردية التي يعرف بها ويتميز عن الآخرين.. والتي تشبه في كثير من الأحيان قسمات وجهه، بل بصمات أصابعه.. وهذه الأصالة الخاصة المرتبطة بالفرد لاتغني عن الأصالة العامة المتصلة بالأمة.. لأن

حـــاوره:

محمد عبد الشافي القوصي

...محمد هيكل:

...تراث للحفاظ على القيم الرفيعة والمبادىء الكريمة

الأصالة الكلية هي التي تحقق الأصالة الفرعية أو هي التي تمهد لها وتخلقها.

فنحن لانتصور أديبا ينبت عن ماضي أمته، ويقطع صلته بجذور شعبه، وينتج كلاما لاشيء فيه من قيم الأدباء أو مُثُل الأجداد، ولا روح فيه من عبق تلك الحضارة العربية العريقة، لانتصور أديبا كهذا إلا وقد أنتج كلاما بعيدا عن كل أصالة، مهما أوتي حظاً من سمات صاحبه. لأن أصالة الفرد امتداد لأصالة شعبه، أو هي في حقيقتها فرع من تلك الدوحة الكبرى التي هي الأصالة القومية، فلا أصالة فردية ما لم توجد أصالة كلية، ولا أصالة ذاتية بدون أصالة قومية.

ارتباط الأدب بالتراث

■■ د. أحمد هيكل ذكرتم أهمية التراث وقيمته للأمة بصفة عامة، ترى كيف يمكن توظيف التراث لخدمة الفرد والمجتمع، ثم خدمة القضايا العربية والإسلامية بشكل عام؟

●● اعتقد أننا لو استطعنا أولا أن نستوعب هذا التراث كله، ونستلهمه ونوظف ما فيه، من حكايات ونوازع وشخصيات وأماكن ومدائن، توظيفا أدبيا فنيا واعيا، يثري الحاضر بتجارب الماضي، ويربط اليوم بالأمس، ويجعل تاريخنا وأدبنا متصل الحلقات، واضح السمات، متميز الشخصية، محقق الأصالة، ثم بعد ذلك نتشبث بالمعاصرة؛ فلا نقف عند الماضي، وإنما نتجاوزه إلى كل منجزات الحاضر.. لو فعلنا هذا لحققنا القصد وبلغنا الهدف النبيل للأمة كله.

ومن هنا ندرك ببساطة شديدة أن ارتباط الأدب بالتراث من عدة وجوه: الأول هو الحفاظ على تلك القيم الرفيعة والمباديء الكريمة التي حواها هذا التراث، وهي القيم التي عرف بها الشعب العربي المسلم، وعاشت عليها امتنا، وضمنت بها بقاءها، كقيم الشرف والنبل والوفاء والكرم والإيثار والنجدة والتضحية والعفة والصدق، وما إلى ذلك مما استوعبه تراثنا العظيم.

الإحساس والشعور الصادق

■■ نسأل الشاعر الأديب أحمد هيكل صاحب ديوان (حفيف الخريف) وديوان (أصداء الناي) عن الفارق بين شعر المناسبات.. وبين الشعر وليد التجربة.. وأيهما أكثر خلودا في عالم الفن وميدان الثقافة؟

●● هناك الكثير من الأدباء والنقاد خاضوا في هذا الموضوع الجدلي، وانتصر كل منهم لرأيه، أو انتصر لهواه، أو لشاعره الذي يفضله، وجاء بالأدلة والبراهين التي تثبت حجته، وتعضد مذهبه الفني ، ولكن أرى أن الفرق شاسع جدا بين أدب مصدره العاطفة والوجدان والفكر والقضية، وبين غيره الذي تمليه مناسبة بعينها وليس له تجربة أدبية وإنما هو شعور خاص للأديب صادف هواه.

أن أدب التجارب هو الأدب الصادر عن إحساس صادق وشعور صحيح، والقادر على أن يعمل عمله في إحساس الآخرين وشعورهم، بما توافر لتجربة الأديب علاوة على الصدق من سمة العمومية تلك السمة التي تجعل المتلقين شركاء في التجربة، وكأن الإحساس إحساسهم، والشعور شعورهم، والفكرة فكرتهم، والقضية قضيتهم، فالتجربة الأدبية إذن لابد لها من الصدق، ولابد لها من القدرة على التأثير في الآخرين بما يكسبها سمة العموم.

أما إذا تحدثنا عن أدب المناسبات فهو هذا الكلام الذي قد يبنى على بعض قواعد الأدب، ولكنه لاينطلق من تجربة أدبية بمفهوم التجربة، لذا يكون إحساسه إحساسا مفتعلا لاحظ له من الصدق، مثل كثير من الذي يقال في المجاملات والدعايات وغيرها، وقد يكون إحساسا فيه الصدق، ولكنه يفتقد صفة العموم، إما لانحصار هذا الأدب إنحصارا شديدا في الخصوصية بحيث لايرى فيه الآخرون ما يعنيهم، أو يحرك إحساسهم، وإما لعجز وسائل الأديب الفنية عن أن تنقل الإحساس الذي فيه الصدق إلى الآخرين، فيظل إحساسه هو

الأدب الإسلامي هو الذي يصور الحياة والكون والإنسان

المواجهة الحازمة لكل من يتهكم على العربية

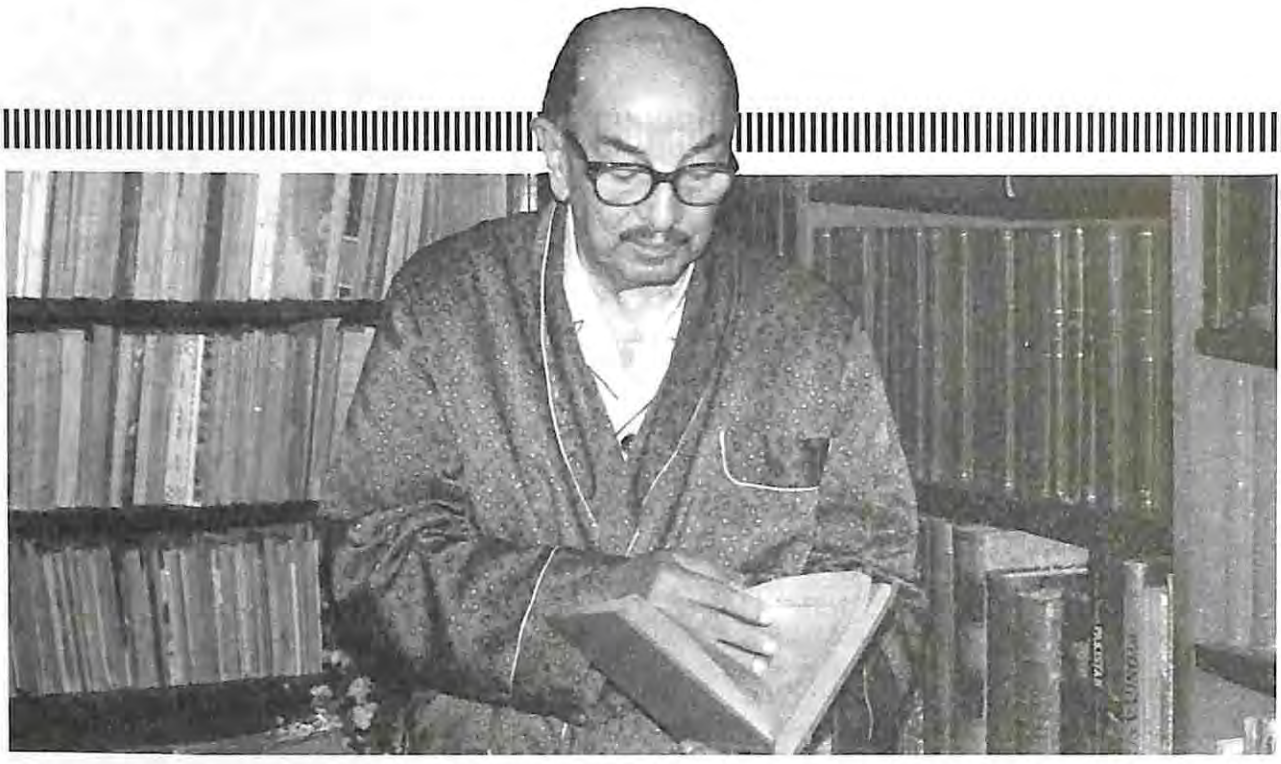

ولا أثر له في غيره، ومتى فقد الأدب تأثيره وقف عند حد أنه كلام عادي حيث لا تأثير له، مهما كان جميل الشكل بليغ الظاهر.

أدب المناسبات والوطنية

■■ الا تتفق معنا في أن الشعر عامة لابد أن تصادفه مناسبة ما والشعر العربي كله هو شعر مناسبات؟

●● نعم ليس هناك خلاف بيننا في أن كل عمل أدبي يقال قطعا بمناسبة، ولكن المناسبة هنا عامة بمعناها اللغوي، أما المناسبة في معناها الخاص والسلبي التي يعاب به أدب ما ويوصف بأنه (أدب مناسبات) فهي التي لاترتفع إلى درجة التجارب المحلقة بجناحي الصدق والتجاوز إلى الآخرين.

وهكذا نرى أنه لايمكن أن يوصف الكثير من شعر أعلامنا في القديم والحديث بأنه شعر مناسبات، لمجرد أنه قيل مرتبطا بانتصار حربي، أو متعلقا بوضع سياسي، أو منطلقا من حدث إجتماعي، بدعوى أن كله من المناسبات. فاكثر أشعار أبي تمام والبحتري والمتنبي وأمثالهم من القدماء في الانتصارات العربية، ومعظم أشعار شوقي وحافظ ومحرم وأضرابهم من المحدثين في الوطنية المصرية، والسياسية القومية، والأوضاع الاجتماعية، ومعظم هذه الأشعار من شعر التجارب لا من شعر المناسبات، لأن هؤلاء الشعراء قد صدروا فيها عن إحساس صادق، ونجحوا في عرضه علينا كما نجحوا في نقله إلينا.. فالمناسبة في هذه الأشعار لاتعدو أن تكون المناسبة بمعناها اللغوي، وهي المناسبة التي وراء كل أدب مهما كان.

الحديث في الطرق

■■ د. أحمد هيكل ماهو تقييمكم للحياة الأدبية والثقافية في الوطن العربي .. في الوقت الراهن، وما هو تفسيركم لظاهرة النثرية والغموض والإبهام المستغلق في الإبداعات الحديثة؟!

●● المعروف أن عملية الإبداع الأدبي عملية لايستقل بها الأديب المبدع بحال إذ لابد فيها من مراعاة المتلقي، ووضعه في الحسبان، في كل الأحوال ما دام العمل الأدبي سيقدم لهذا المتلقي بلغته.. ولو كان الأديب يكتب لنفسه ففيم إذن الإلحاح في النشر، وفيم الشكوى من عدم إتاحة فرص هذا النشر؟ لماذا لايكتفي الأديب الذي يكتب لنفسه بقراءة مايكتب، ثم الاحتفاظ به لنفسه دون أن يهتم بتقديمه إلى الآخرين؟!

لكن المتلقي صاحب اللغة والمتعامل بها هو الطرف الثاني في عملية الإبداع، التي هي شركة بين الأديب ومن يتجه إلى

جميع حالاته من خلال رؤية إسلامية

يسيء بالسخرية إلى المتحدثين بها

أدبه.. فلابد إذن لكي تنجح هذه الشركة ويؤدي العمل الأدبي وظيفته ويحقق غايته من أن يراعي المبدع ساعة إنتاجه هذا المتلقي، ويعمل على أن يفهمه أو يقنعه، أو في أقل تقدير أن ينقل إليه حالته الشعورية.. وبعبارة أخرى واجب الأديب الأول بالنسبة للمتلقي أن ينقل إليه تجربته... وإن منتهى الإخفاق أن يعنّيَ أديب نفسه بكتابة شيء، ويتجه به إلى المتلقي، ويقبل المتلقي على هذا الشيء، ثم لايخرج منه بشيء سوى الحيرة والضيق، والحسرة على ضياع الوقت، وقت الأديب ووقت المتلقي على السواء.

ومن هنا كان لابد من التسليم ابتداء بأن الأعمال الأدبية تنتج لكي تتجه إلى المتقلين من قراء ومستمعين، ومن هنا كان لابد لكل عمل أدبي ما دام قد كتب لكي يتجه إلى المتلقي أن يقول شيئا أو أن يخرج منه المتلقون بشيء.

أيضا لايصح فنيا أن يتسم العمل الأدبي بالإبهام والانغلاق أو الإلغاز، تحت أي دعوة أو أي شعار، حقيقة أن التعبير الفني المباشر تعبير أقل جودة من التعبير غير المباشر، وحقيقة أن قدرا من الغموض الفني الذي يحول دون المباشرة مطلوب في العمل الأدبي، وحقيقة أن بعض الظروف السياسية أو الاجتماعية أو الفنية قد تدعو الأديب إلى أن يلجأ إلى استخدام الرمز، كل هذه حقائق لاجدال فيها، ولكن حقيقة أيضا أن الغموض الفني وترك المباشرة واللجوء إلى الرمز لايمكن أن تتطرف إلى أن تصل إلى الإبهام والإلغاز والتعمية، فيأتي العمل الأدبي أخرس لا ينطق بشيء، منغلقا لا ينفتح على شيء، بل ميتا لاينبض بشيء، ولايوحي بشيء.

ومن الأسف أني وجدت كثيرا من النتاج القصصي والشعري مما ظهر في السنوات الأخيرة، ومما انتجه بصفة خاصة بعض الشباب من كتاب القصة القصيرة أو من أصحاب شعر الحداثة.. فكثير مما ينتجه هؤلاء الشباب على أنه قصص قصيرة شيء محير تماما، حيث لايعطي دلالة، ولايقدم تجربة، ولايصور موقفا، بل لاينقل إيحاء، أو حتى يخلق جوا، وإنما هو لون من التعمية أو الإبهام أو الإلغاز، قد يكتبه أصحابه وفي اذهانهم شيء ما، ولكنهم لايستطيعون الإبانة عنه، أو لايريدون هذه الإبانة، رغبة في الاستعلاء، أو قصدا إلى لفت الأنظار، أو طمعا في اختبار ذكاء أصدقائهم والمحيطين بهم، أو انتظارا لتفسيرات وتأويلات تضاف إلى أعمالهم.

إن الغموض الفني مطلوب ومثمر للعمل الأدبي، كما أن الرمز مطلوب أيضا في موضوعه ومغن للعمل الأدبي.. كما أن استخدام الشعر للغة بطريقة خاصة به مطلوب كذلك لإبداع شعر جيد، ولكن الغموض الفني مهما كان، والرمز الأدبي مهما بلغ، لابد أن يكون صالحا لفتح مغاليقه والاهتداء إلى أسراره بالتأمل والمعايشة والإقبال من جانب المتلقي.

المواجهة الحازمة

■■ ألا ترى أن اللغات الأجنبية في العقود الأخيرة من هذا القرن زاحمت لغتنا العربية .ماهو سبيل الخلاص لإنقاذ شخصيتنا وهويتنا العربية؟

●● نعم لابد من مساندة لغتنا والحفاظ عليها، بحيث لاتطغى الأسماء الأجنبية والمصطلحات الغربية، وإنما يكون للفصحى المقام الأول في كل ما تقع عليه العين، او تلتقطه الأذن، من اسماء وعناوين ولافتات. وحسبنا أن نتذكر ما فرضته فرنسا أخيرا من وجوب قصر الاستعمال اللغوي المحرر من الفرنسيين على الفرنسية، وفرض غرامة مالية على من يترخص في ذلك، ويستخدم ألفاظا من لغة أجنبية.

ولايمكن رد الاعتبار إلى لغتنا القومية إلا بالمواجهة الحازمة لتلك الموجة الساخرة التي تتهكم على العربية، وتسيء بالسخرية إلى المتحدثين بها، والعاملين في ميدانها، فكثيرا ما نجد مظاهر مؤسفة من هذه الموجة الكريهة فيما تقدمه بعض الأفلام والمسرحيات والمسلسلات، فبمواجهة هذه الموجة الساخرة نوفر للغتنا ما تستحقه من توقير، باعتبارها أهم مقوم من مقومات قوميتنا، وأبرز معلم من معالم شخصيتنا، إننا لا نعرف في أي بلد متحضر سخرية من لغته القومية، أو تهكما علي من يعملون في تعليمها، أو يهتمون بأمرها.. وإنما ذلك فقط في بلادنا كبقية من رواسب الاستعمار الذي سدد سهامه إلى مقوماتنا الأساسية، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

□□□

على الأمة الإسلامية أن تتمسك بأصالتها وتراثها وتدافع عن هويتها وشخصيتها الرائدة

وطني الحبيب

شعر:
عبدالله بن ناصر العويد

سلمت يدا
وطني الحبيب
لك في فؤادي
ألف بستان رحيب!
شرعت بلا بله
تغرد باسمه
فتمايل الفنن الرطيب!!
وطني ملاذ
للبعيد وللقريب
يهدي نسيماً
عطرته مآذن الحرمين
فاحت بالشذى
من كل طيب !

●●●

وطني الحبيب تفتحت
لك كل أزهار الشموخ
تراقصت بين الخمائل
في ذهول
تهدي ابتسامات
الولاء لقبلة
أمست منار المسلمين
أضحت رياض الآمنين!
وعلى الثريا موطني
أعلامه
طفقت بألسنة تردد
لفظة التوحيد
تشهد للإله وللرسول !!
من حولها طير السما
شرعت تحلق حولها
وتسبح !!

●●●

وطني ارتدى
حلل الجمال
كما ذكاء يزفها
أفق الأصيل
فتبهر الرائين
أثناء الغروب !!
شمس النهار
لها غروب ،
بيد أن الشمس
فى بلدى الحبيبة لاتغيب

●●●

سيف يعانق
نخلة معطاءة
توحي بتطبيق الشريعة
رغم كيد الحاقدين

●●●

فاهنأ فخاراً موطني
في كل ثانية تمر
من السنين
فلك المحبة والولاء
ولك التحية من فؤاد
وإلى اللقاء أحبتي
في رائعات من روائع موطني

من مكتبة الأدب الإسلامي

السحار: رحلة إلى السيرة النبوية

تأليف: محمد جبريل

عرض: د. حسين علي محمد

يرى محمد جبريل أن عبد الحميد جودة السحار من أشد أدبائنا تعبيراً عن البيئة المصرية، كما أنه أكثرهم التزاما بالمغزى الأخلاقي «بدءا من قصته الأولى «رجل البيت».

يقول محمد جبريل:

سألت السحار: هل تعبر أعمالك عن فلسفة حياة متكاملة؟

فقال: إنني دائما أحاول أن أصور لحظات الضعف البشري، لكنني لا أترك الأضواء مسلطة على الإنسان عند سقوطه، بل أترك الأضواء مسلطة على لحظات الإفاقة . السقوط عبارة عن الواقع الصغير، إنما الندم، والنظر إلى أعلى، إلى السمو، إلى الله.. هو الواقع الكبير .. وأحاول أن أوضح دائماً أننا لسنا وحدنا المسيطرين على مصائرنا».

وقد اتجه السحار إلى كتابة السيرة الإسلامية، فكتب «أبو ذر الغفاري» و«بلال مؤذن الرسول» و«سعد بن أبي وقاص» و«أبناء أبي بكر الصديق» . وكان يرى أن تطوير الثقافة العربية مرهون بقدرتنا على محاورة تراثنا والاستضاءة به، يقول: لقد أحسست أن التراث الإسلامي والثقافة العربية يمثلان شيئا مهما وجوهريا داخل حلقات التطور الفكري لمصر عبر العصور، إنه لايمكن تطوير الأدب، وتطوير الثقافة المصرية دون العودة إلى استلهام هذا التراث، وتحقيقه على المستويين الفكري والفني. لذلك كتبت العديد من الأعمال القصصية بعد محاولة هضم هذه الألوان من الثقافة الإنسانية بشكل عام».

وقد بين محمد جبريل ان السحار قد أصدر العديد من المجموعات القصصية والروايات التي تغطي جوانب مختلفة في حياتنا الاجتماعية، وتسلط الضوء على سلبياتها من زوايا أخلاقية، لكن العناية بالتاريخ الإسلامي كانت - في الحقيقة - شاغل السحار منذ بدايات حياته الأدبية سعياً لكتابة أهم أعماله وأخطرها، وهو السيرة النبوية المعنونة بـ«محمد رسول الله والذين معه» وفيها يتناول سير الأنبياء منذ آدم أبي البشر - عبوراً بإبراهيم أبي الأنبياء - حتى وفاة الرسول ﷺ في عشرين جزءا كبيرا يبلغ مجموع صفحاتها حوالي عشرة آلاف صفحة.

كما يقول المؤلف :«إن الإنجاز الأهم للسحار - باعترافه - هو السيرة النبوية، التي أعطاها معظم عمره. قرأ وقارن ووازن وثبت آراءه، ورفض آراء مناقضة وقدم عملاً موسوعيا، أثق أنه هو ما سيبقى من أدب السحار» (ص٤١).

وقد يثور سؤال : لماذا أطلق السحار على السيرة التي كتبها «محمد رسول الله والذين معه» إذا كان قد كتب في الكتاب عن تاريخ الأنبياء جميعا؟

يؤكد السحار «أن الإسلام - منذ بدء الخليقة - هو دين الله، دعا إليه الرسل والأنبياء .. وهو مايؤيده قول الله تعالى:«إن الدين عند الله الإسلام» وقوله تعالى: «ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه».

كتب السحار:القصص الديني للأطفال في (٨٦) جزءاً، منها قصص الأنبياء في (١٨) جزءاً بالاشتراك مع الكاتب الراحل سيد قطب، وقصص السيرة فى (٢٤) جزءاً وقصص الخلفاء فى (٢٠) جزءاً، وسلسلة «العرب في أوربا» فى ٢٤ جزءاً، ص٨٢.

لكن يمكن القول إن السحار كان منذ صباه هاوياً للسيرة النبوية، قارئا لها، متمنياً أن يوفقه الله لكتابتها كتابة فنية.

يقول في مذكراته «هذه حياتي»:وقد أقبل العالم الإسلامي على قراءة السحار مبدعاً إسلاميا.ويكشف المؤلف عن ذلك في فقرة جديرة بالإشادة تثبت أن ذاكرة الأمة حية، وأنها تحمل في القلب من ينتمون لها، ويدينون بدينها، ويكتبون - بحماس وإخلاص - سيرة نبيهم، يقول محمد جبريل:

«حين سافر السحار إلى الشرق الأقصى،في بعثة تجارية، أدهشه أنه معروف جيداً في أندونيسيا، أشارت الصحف إلى وصول الكاتب الإسلامي عبد الحميد جودة السحار، وتردد عليه في الفندق مئات العلماء والقراء العاديين، بادلوا دهشته بدهشة مماثلة،كان قد أصدر أعماله الإسلامية الأولى فتصوروا أنه شيخ معمم، وليس شاباً فى أوائل الأربعينيات» (صـ٩٠).

القصائد الإسلامية الطوال في العصر الحديث

تأليف: د. حلمي محمد القاعود

عرض : فرج مجاهد عبد الوهاب

يقول المؤلف في استهلاله لهذا الكتاب :«كانت القصائد الإسلامية الطوال في شعرنا العربى الحديث، مجالا رحبا خصبا، لحمل هموم الأمة وقضاياها بحثا عن الحرية والعدل والتفوق والغد الجميل .. ثم إنها في الأساس كانت ظاهرة فنية جاءت في إطار عملية البعث والتجديد لشعرنا العربي في العصر الحديث.

يقع الكتاب في قسمين وخاتمة، يستغرقان أكثر من ثلاثمائة صفحة من القطع الكبير . في القسم الأول يقدم «مخمسة رفاعة» وقد كتبت بعد تأثر رفاعة الطهطاوي بمخمسة الإمام البرعي وتفاعله معها لدرجة الاندماج الكامل بين «المخمس» وبين الإمام البرعي صاحب القصيدة الأصلية.

ثم يقدم قصيدة محمود سامى البارودى المسماة «كشف الغمة في مدح سيد الأمة» وهي تعد أول قصيدة عربية طويلة في العصر الحديث ذات قيمة فنية عالية بالنسبة لما قبلها من قصائد في الموضوع نفسه، وتمثل أول تقليد نهج ناضج لبردة البوصيري.

كما يقدم قصيدة شوقي الشهيرة «نهج البردة» وفيها يبدو مهتماً بالرد على خصوم النبي والإسلام، والدفاع عن المسلمين ضد أعدائهم. ولعل ذلك يرجع إلى صلة شوقي القوية بالحركة السياسية والوطنية.

وبعد شوقي يأتي حافظ إبراهيم بالطبع، فيقدم الكتاب قصيدة «عمر بن الخطاب» التي اشتهرت «بالعمرية» وتقع في ستة وثمانين ومائة بيت تحدث فيها عن إسلام عمر وعن علاقته بالصحابة، والشورى في عهده، وزهده، وتقشفه، ثم المناقب العمرية.

وهناك البكرية للشاعر عبد الحليم المصرى، وهي قصيدة ترحل في عمق التاريخ؛ لتواجه الواقع المعاصر

وتناقش قضاياه، ثم قدم شاعراً من شعراء عصر النهضة المرموقين، الشاعر محمد عبد المطلب صاحب القصيدة «العلوية» وصاحب المطولة الشهيرة «ظل البردة».

وعلى أحمد باكثير الذى يعد من أنضج الأدباء العرب المسلمين قدم مطولة «نظام البردة أو ذكرى محمد صلى الله عليه وسلم»فى سن مبكرة (الخامسة والعشرين).

ويعرض الكتاب بعد ذلك لمطولات الشعراء عمر أبوريشة وإبراهيم بديوي، ونازك الملائكة.

أما القسم الثانى من الكتاب «نصوص وتعليقات» فيقدم الدكتور حلمي القاعود فيه نصوصا لقصائد البكرية بتعليق الشيخ أحمد السكندري،والعلوية بتعليق وشرح الشيخ محمد الغنيمي التفتازاني، ونظام البردة لباكثير، والشعر مع الله والذرة بتعليق المهندس محمد توفيق أحمد محرر مجلة «البريد الإسلامي» ومجلة «التقوى».

هذا عرض سريع لكتاب «القصائد الإسلامية الطوال في العصر الحديث» ولعلنا نضم صوتنا مع صوت المؤلف بضرورة نشر هذه النصوص النادرة في تراثنا الحديث فقد قلت القصائد التى تتمتع بشرف المواجهة الجسور مع قضايا الأمة، أو التعبير الجيد عن هويتها وخصائصها.

مرة أخرى..

تعقيب على قصيدة دموع من أجل ليلى

قدر وعفة

تعقيب على
على قصيدة «دموع من أجل ليلى»
لـ عواد الشوفي
بقلم: سامر محمد البارودي

سعادة رئيس التحرير.

تعقيب الأستاذ سامر محمد البارودي على قصيدة دموع من أجل ليلى في العدد ٢٢ ، ذكرني بهذه القصيدة التي كتبت منذ خمس سنوات ولم تنشر بعد ، لعلها تجد متسعاً على صفحات مجلة الأدب الإسلامي.

يهوى الفتى ويعفُّ طهرا ويكابد الأشواق جمرا
يهوى ، ويهفو إن قلب الحر قلب، ليس صخرا
يهوى ، ويطوي وجْدَهُ في صدره مادام حرّا
العُرْفُ يبقى عنده عُرفاً ، ويبقى النُّكْرُ نُكْرا

●●●

الفاتنات، وقد سكبن لنا من الأحدق خمرا
الراميات ـ إذا نظرن ـ سهامهن جوىً وسحرا
يَسْكُنَّ فى أحنائه العطشى ، ولايبرحن شبرا
فى صدره يُبحرن إبحاراً ، أصار الصدر بحرا !؟

●●●

الواهنات ، وقد جعلن من الأباة الصِّيد أسرى
وجعلن مُرَّ حياتنا حلواً ، وحلو العيش مراً
قدر ،فمن يسطيع من قدر خلاصاً أو مفرا !؟
والدهر يعبر ضاحكاً من وجدنا سراً وجهراً

سليم عبد القادر

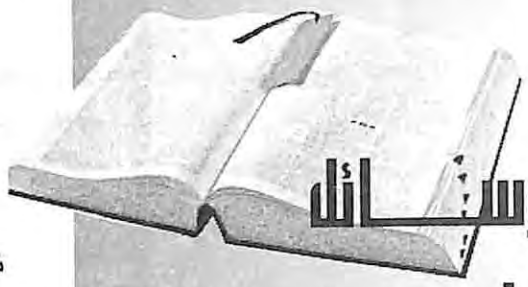

رسائل جامعية

(١)

جهود الشيخ أبي الحسن الندوي في التأصيل الإسلامي للغة العربية وآدابها

قدّم الطالب محمد عبد السلام آزادي رسالته الجامعية للماجستير تحت العنوان السابق، في قسم اللغة العربية ـ كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية ـ الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا.

نستطيع أن نزعم أن الشيخ ـ من خلال هذه الرسالة ـ قدم نظريتين متكاملتين في اللغة والأدب، وأتبعها بثالثة تتعلق بتعليم اللغة العربية، ذلك لأن المنظر الأدبي يهتم بجملة في النصوص لا لكي يصدر أحكاماً أو يصور انفعاله إزاء هذه الأعمال، وإنما لكي يستنبط مباديء عامة شاملة تبين حقيقة الأدب وأثره، بوصفه ظاهرة عامة أيضا، والنظرية تتعامل مع حقيقة الأدب، فلا مجال هنا للانفعال أو إصدار الأحكام المتصلة بالجودة والرداءة، ولأول مرة تأتي هذه الرسالة الجامعية لتنصف علما من أعلام الدعوة الإسلامية في زاوية واسعة تخصص فيها، هي اللغة العربية وآدبها، تميز بغزارة نتاجه العلمي، إذ أن عمره العلمي جاوز ستين عاماً ـ نسأل الله له دوام النشاط العلمي ـ وخلف من الآثار المتنوعة حوالي مائة وثمانية وستين كتاباً ورسالة وبحثاً، وكان في صدارة هذه المؤلفات وفي مقدمتها موضوع بحث الرسالة، وقد تناولت تراث الشيخ بالدراسة والفحص والتدقيق، وكان الطالب فيها كالمعتسف في الطريق وكمن يمشي على شوك القتاد.

وقد أجيزت رسالته في ١٨/١٢/١٩٩٨، وحصلت على تقدير جيدا جداً.

■■■

جاءت الرسالة في مائة وست وثمانين صفحة، في مقدمة وأربعة فصول وخاتمة وكان **الفصل الأول** في أهمية الموضوع.. مشكلة البحث وأسئلته، وأهدافه وحدوده ومنهجه، والدراسات السابقة، وإسهامات الباحث العلمية.

أما **الفصل الثاني** فقد جاء تعريفاً بالشيخ الندوي، والتأصيل الإسلامي للغة العربية وآدابها، وتناول الموضوع في مبحثين، الأول تعريف موجز بالندوي، حياته، آثاره، بداية رحلته العلمية، إنجازاته ومؤلفاته. والثاني مفهوم التأصيل الإسلامي للغة العربية

وآدابها وطريقته، وفيه تناول الباحث التأصيل لغة واصطلاحاً، والجوانب التي ترتبط بالتأصيل اللغوي، المفردات والأساليب والتراكيب، وعناصر تنمية اللغة والتعليم، وكذلك التأصيل الإسلامي للأدب، وطبيعة الأدب الإسلامي وعناصره وأسسه وخصائصه والأجناس الأدبية.

أما **الفصل الثالث** فقد تناول فيه جهود الشيخ الندوي في التأصيل الإسلامي للغة العربية وآدابها وجاء في مبحثين، تناول في الأول آراء الشيخ في التأصيل الإسلامي للغة من خلال المفردات والمصطلحات والأساليب والتراكيب، وعناصر تطور اللغة، وتعليم اللغة العربية وطريقة تدريسها . وفي الثاني عرض لآرائه في التأصيل الإسلامي للأدب، وحاجة الأدب لذلك، وطبيعة الأدب الإسلامي وعناصره وأسسه وخصائصه.

أما **الفصل الرابع** فهو يمثل زبدة الرسالة وخلاصتها وجاء في مبحثين كذلك.

- الأول: عن آرائه في الأجناس الأدبية، الشعر وأدب الأطفال، وأدب السيرة، وأدب الرحلات، وأدب التقديمات.
- الثاني: تقويم جهوده في التأصيل الإسلامي للغة والأدب، معتمداً في ذلك آثاره الكثيرة في هذا المجال، وكذلك اختياره النصوص الأدبية منتهياً بخصائص الشيخ اللغوية والأسلوبية.

وبعد أن شاع لدى جمهور الباحثين، أن النظريات كلها قد أنتجها فلاسفة الغرب ونقاده، أفادت الرسالة أن الشيخ الندوي قدم نظرية واضحة المعالم في مجالي اللغة والأدب وتعليمهما، ولم يكتف بتقديم النظرية بل انتقل بها إلي مرحلة التطبيق. وخضوع النظرية للتطبيق أمر يمنحها قيمة، ويفرق بينها وبين الآراء العامة، والملاحظات العابرة التي يطلقها أصحابها، إذ سرعان ما يخبو ضوؤها.

كما تميزت نظريته بصفة الشمول، واكتسبت صفة القوة والثبات، لأنه لما يزل يدعمها ويؤكدها، ويعززها بالأمثلة التطبيقية الكثيرة، ولم تكن مجرد صيحة أو نداء ضائع في واد.

أ.د. منجد مصطفى بهجت

(٢)

الصبغة الإسلامية عند شعراء البادية المخضرمين

■■ رسالة ماجيستير تقدمت بها المعيدة سحر حسين أشقر إلى كلية التربية للبنات بمكة المكرمة، ومنحت تقدير ممتاز مع التوصية بطبعها لتميز موضوعها.

●● المقدمة:

الحمد لله منزل الودق من الغمام ومفتقاً عن الزهر الأكمام، والصلاة والسلام على رسول الله خير الأنام، وعلى آله وأصحابه هداة الإسلام، وبعد..

فحين أشرقت أضواء الدعوة الحنيفية السمحاء على جزيرة العرب، وهدى الله بنورها من شاء من أهل الحضر والبادية، تغيرت حياتهم بهذه الهداية تغيراً شاملاً لكل جوانبها؛ بدءاً من العقيدة الدينية والعمل للآخرة، ومروراً بكل ما يمارسه المسلم من سلوك يومي في شئون دنياه المادية و المعنوية، وانتهاء بالتقاليد الشعرية، ومعايير الفصاحة والبلاغة، وقد حدث كل ذلك التغيير بفضل الدين الإسلامى الكامل الشامل، لأن جوانب الحياة الإنسانية مترابطة متفاعلة، يؤثر بعضها في بعض، لقد وجد المسلمون في القرآن الكريم وسنة نبيه عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم مثلاً أعلى، وقدوة هادية في أمر الدين والدنيا جميعاً، كما رأوا فيهما نماذج رائدة في التعبير، والتصوير،

والبيان، وقيماً لغوية، وأدبية جديدة عليهم، فضلاً عما تضمناه من قيم فكرية رفيعة.

فوقف العرب ـ أهل الفصاحة والبيان ـ مبهورين بهذه المعجزة البيانية ولأن الإعجاب والانبهار رافقهما إيمان يقيني عميق، لذلك كان من الطبيعي أن يظهر التأثير الإسلامي من القرآن والسنة على شعرهم وهو موطن فصاحتهم، ومجال إبداعهم، وأن يهتدوا ويتمرسوا بالأسلوب القرآني، والبلاغة النبوية فيما ينظمون من شعر بعد إسلامهم، فظهرت في أشعارهم المعاني الإسلامية السمحة بدلاً من المعاني والأفكار الجاهلية المستكرهة أو المحرمة، وكذلك لوحظت في أشعارهم ألفاظ رقيقة مأنوسة، وعبارات سلسلة عذبة، مؤثرين استخدامها على بعض الألفاظ الصعبة الوعرة، والعبارات الوحشية، كما تبدت الصبغة الإسلامية لدى بعض الشعراء في بناء القصيدة، وفي الاستعانة بأدوات فنية جديدة تزيد من تأثيرها وقوتها، ولاريب أن هذا التأثير الإسلامي في الشكل والمضمون قد ظهر جلياً عند شعراء الحضر في المدينة، وفي مكة بعد الفتح، لكنه اتسع أيضاً فشمل شعراء البادية، وظهرت طوابع الإسلام في إنتاج عدد كبير منهم ممن لم يعن بهم دارسو الأدب، ولم يفردوا لهم كتباً مستقلة، أو دراسات مستفيضة تجمع شتات إبداعهم، وتلقى الضوء على الجوانب الموضوعية والفنية في أشعارهم، وإنما يأتي ذكر بعضهم عرضاً ضمن زمرة شعراء الدعوة الإسلامية، ثم ينصب الاهتمام الأكبر والتحليل الأوفر على الشعراء المشهورين منهم، سواء شعراء المدينة أم شعراء البادية . مع أنه قد تبين لي من خلال الدراسة أن معظم شعراء البادية تعرضوا لظلم النقاد وتحاملهم، وإصدار أحكام عامة عليهم، كما تبين لي أن لشعراء البادية سمات تختلف نسبياً عن شعراء الحاضرة . ومنها ظاهرة الفصاحة وقوة الأسلوب بحيث أصبحت أشعارهم مرجعاً لعلماء اللغة، مما يجعلنا نسلم يقيناً أن شعرهم كان من القوة بمكان، وأن ما نظم منه في ظل الإسلام لم يكن بمنأى عن تلك القوة والجزالة.

ومما دفعني كذلك إلى تتبع شعر المخضرمين المتبدين، ما كان من تضارب في الآراء حول مدى تأثرهم بالإسلام تأثراً حقيقياً وعميقاً، والذى خاض فيه الباحثون عرباً ومستشرقين.

وقد قيض الله تعالى للمستشرقين من تولى الرد عليهم مثل د. محمود زيني في كتابه (دراسات في أدب الدعوة الإسلامية)، وكذلك د. إبراهيم عبد الرحمن في كتابه (في الأدب الإسلامى والأموي) . ثم إني رأيت أنه من الإنصاف لهؤلاء النخبة من شعراء البادية المخضرمين الوقوف على شعرهم واستقرائه، والنظر إليه من زوايا مختلفة، وإخضاعه للدراسة الفنية، حتى يكون الحكم على شعر تلك الفترة مستخلصاً من إبداع الشعراء، وليس مسايرة لآراء السابقين واللاحقين، وما توصلت إليه من نتائج يعد رداً لمن نسب إلى هؤلاء الجفوة، والبعد عن روح الإسلام، إذ كانت جل أغراضهم التي خاضوا فيها تنطلق من روح الإسلام وتصب في قالبه . كما يعد رداً علمياً موضوعياً على من ذهبوا إلى ضعف الشعر الإسلامي.

ومما يعزى إليه اتجاهي للقيام بهذا البحث، ما تشهده الساحة الثقافية الأدبية حالياً من صحوة إسلامية ودعوة إلى الأدب الإسلامي، وتحكيم المعايير الإسلامية في النظر للأعمال الأدبية، فيما يعرف بالنقد الأدبي الإسلامى.

هذه الدعوة تحتاج إلى كل لبنة تسهم في بنائها بدراسة جادة عن خصائص الأدب الإسلامي في بدايته، وفى مرحلة الريادة التي تعتبر أساسا لما أقيم عليها من بناء، وفى مجال هذه الصحوة الإسلامية نادى عدد من المفكرين ودارسي الأدب بإعادة النظر في تراثنا الأدبي الإسلامي، وكشف النقاب عن خصائصه، مع التركيز على الصبغة الإسلامية التى ظهرت بوضوح في هذا الأدب . ومن أصحاب هذه الدعاوى الدكتور نايف معروف في كتابه (الأدب الإسلامي في عهد النبوة وخلافة الراشدين) حين أكد على ضرورة القيام بالعديد من الأبحاث التى تخدم الأدب الإسلامي وتسبر أغواره، وتستخلص مضامينه الفكرية السامية وكذلك ما نادى به الدكتور محمد بن سعد بن حسين في المؤتمر الثاني للأدباء السعوديين بجامعة أم القرى ١٤١٩ هـ عبر بحثه المقدم تحت عنوان (أدب صدر الإسلام بين رأيين) مما عضد مسيرتي في هذا البحث، وحفزني إلى المضي قدماً لاستكمال ما بدأت.

فكان لتلك الأسباب مجتمعة فضل الوقوف على

أشعار المخضرمين المتبدين إحقاقاً لمكانتهم، وإنصافاً لشاعريتهم، وتصنيفاً لأغراضهم، وتأكيداً على تلون شعرهم بالصبغة الإسلامية.. فجاء عنوان بحثي **(الصبغة الإسلامية عند شعراء البادية المخضرمين)**

ولست أنكر فضل السابقين في هذه المضمار ممن عنوا بشعر المتبدين المخضرمين، وإن كانت إشاراتهم موجزة، ولمحاتهم مقتضبة . مثل كتاب (شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه» للدكتور يحيى الجبوري، طبع بغداد عام ١٩٦٤ م . حيث قدم في الفصل الثالث منه دراسة موجزة عن شعراء البادية المخضرمين الذين تأثروا بالإسلام . وجعلهم فريقين . فريق وضح أثر الإسلام في شعرهم كالعباس بن مرداس، والنابغة الجعدى، ولبيد بن ربيعة، وبحير بن زهير، وفريق كان اتصالهم بالإسلام متأخراً، فجاء أثر الإسلام ضعيفاً في شعرهم كالحطيئة، والأعشى، وعبدة بن الطبيب، والحصين بن الحمام وغيرهم، وقد توقف في بيان تأثير الإسلام على شعرهم ـ جميعاً ـ عند اللغة والأفكار، ولم يتجاوزهما لجوانب فنية أخرى.

ثم كتاب (الشعر الإسلامي في صدر الإسلام) للدكتور عبد الله الحامد، طبع في الرياض عام ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠م. تناول فيه قضية الإسلام والشعر، كما تحدث عن عدد من شعراء البادية، وهم لبيد بن ربيعة، والنابغة الجعدي،والعباس بن مرادس، وكعب بن زهير والحطيئة، وكذلك (شعر الفتوح الإسلامية) للدكتور نعمان القاضي، (ودراسات في أدب الدعوة الإسلامية) للدكتور محمود زيني المشار إليه آنفاً. (والشعراء المخضرمون) للدكتور عبد الحليم حفني.

ولا تفوتني الإشارة لكتاب الدكتور (شوقي ضيف) الرائد في أدب ذلك العصر وعشرات من الكتب التي لم تخل من إشارات مفيدة، وإن تكن موجزة.

وقد جاء البحث مشتملاً على مقدمة وتمهيد وبابين وخاتمة وذيلته بعدد من الفهارس، أولها:

فهرس لآيات القرآن الكريم، الواردة في البحث، ثم أحاديث الرسول ﷺ، والثالث فهرس لتراجم شعراء البحث، وأخيراً يأتى ثبت المصادر والمراجع وقد صدرت بحثي بفهرس الموضوعات المشتمل عليها ثم يأتى **التمهيد**، وتضمن مبحثين:

المبحث الأول: ويتناول قضية تعتبر ركيزة أساسية من ركائز البحث، وهي موقف الإسلام من الشعر، ولأن الإسلام يتمثل في القرآن الكريم والسنة المطهرة وإجماع الصحابة رضوان الله عليهم ولكثرة ما قيل في هذا المجال من أراء، وتعدد الخلافات كان لابد لي أن ألم بأكثرها لأصل إلى نتيجة تخدم بحثي، وتوضح الجانب الأساسي فيه، وهو ما تركه الإسلام من أثر على الشعراء، ولذلك فقد طال هذا المبحث بعض الشيء.

أما **المبحث الثاني** : فيتناول مصطلحات البحث الأساسية، مثل الخضرمة والبداوة، حيث اختلفت الآراء والمعايير التي تتحدد بها الخضرمة، والبداوة.

وقد توصلت بعد عرض الآراء المتباينة إلى المعنى الذى يوافق عليه أغلب الدارسين، والذي يناسب جوانب بحثي.

ويتبع التمهيد **الباب الأول** وعنوانه **(أثر الإسلام في الأغراض)** وينقسم إلى فصلين:

١ـ أغراض بقيت في ظل الإسلام، وبلغت ستة أغراض . وهي المديح، والرثاء، والغزل، والفخر، والهجاء، والاعتذار.

٢ـ أغراض استحدثها الإسلام، وهي ستة أغراض، المديح النبوي، شعر الدخول في الإسلام، والحنين والغربة، وشعر الجهاد ووصف المرئيات الجديدة، والمعاني الإسلامية، وقيم الدين الجديد والوصايا عامة وخاصة.

أما **الباب الثانى** فعنوانه **(الخصائص الفنية في القصيدة الإسلامية)**

وينقسم إلى ثلاثة فصول، تناولت فى **أولها** أثر الإسلام في اللغة:

١ـ الألفاظ.

٢ـ الأسلوب.

ثم **الفصل الثانى** عن أثر الإسلام في بناء القصيدة:

١ـ المقطعات الشعرية.

٢ـ الموسيقى، وتشمل (الأوزان والقوافي والموسيقى الداخلية).

أما **الفصل الثالث** فيبحث عن أثر الإسلام في الأدوات الفنية:

١ـ العاطفة.

٢ـ الصورة الشعرية.

٣ـ الرمز.

٤ـ الأسلوب القصصي.

وفى **الخاتمة** لخصت بإيجاز نتائج البحث حول ما لاحظته من تأثير الإسلام على شعراء البادية المخضرمين.

وقد توصلت من خلال القراءات المستفيضة في الإبداع الشعري لهذه الفترة إلى أن هناك عدداً من شعراء البادية المخضرمين يحتاج شعرهم إلى الجمع والتحقيق، وإصداره في دواوين، حتى يتهيأ للدارسين والنقاد تناول هذا الشعر بالدرس والتحليل، وكشف مواطن الجمال والقوة فيه، ولايمنع من هذا التحقيق لنتاج الشعراء قلته، لأن المعول عليه في الدراسات الفنية هو اتسام الإنتاج الشعرى بملامح فنية تغري بالدرس والمناقشة.

كما أرجو إعادة طبع الدواوين المحققة من قبل، لندرة وجودها حتى على أرفف المكتبات الأكاديمية في الجامعات ومراكز البحث؛ وذلك ليسهل حصول الدارسين عليها.

وإنى لأرجو أن أكون قد وفقت في تناول هذا الموضوع، سواء في استقراء ما كتب عنه وتمثله وفهمه، أم في إضافة الجديد مما تكشف لي عند التأمل، وإنعام النظر في النماذج الشعرية لدى شعراء البادية المخضرمين.

وأسأل الله العليّ القدير أن يجعل صحبتي للرسول ﷺ وصحابته الأجلاء الميامين، والشعراء الغر المخلصين أثناء قيامي بهذا البحث، عملاً خالصاً لوجهه الكريم، ومرضياً لنبيه الأمين عليه أزكى الصلاة والتسليم، منولاً لقبول الأساتذة المناقشين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

●● ملخص البحث:

يضم هذا البحث بين دفتيه دراسة موضوعية فنية لإبداع شعراء البادية المخضرمين في عصر صدر الإسلام.

وإذا كان هدف البحث هو بيان الصبغة الإسلامية التى تبدت في ذلك الإبداع، فإنه وصولاً للهدف كان على الباحثة أن تقرأ وتتذوق وتتأمل وتحلل تلك الأشعار، وتدرس عناصرها ومكوناتها شكلاً ومضموناً، بدءاً من الأغراض التى عرفها الشعراء في الجاهلية وأقرها الإسلام بعد تنقيحها،ومروراً بالأغراض الجديدة التي دعا إليها الجهاد لنشر الدعوة، وقيم الإسلام، واتساع أقطار الدولة الإسلامية . وانتهاء بالأدوات الفنية من لغة تتمثل في الألفاظ، والأساليب، وبناء شعري يتخذ شكل القصيدة أحياناً والمقطوعة أحيانا أخرى، وموسيقى خارجية وداخلية، ثم العاطفة ومدى صدقها وحرارتها، والصورة الشعرية بكل مراحلها من ألوان البيان إلى الرسم بالكلمات، والرمز بأنواعه العديدة، ثم الأسلوب القصصي. وقد توصل البحث إلى عدد من النتائج من أهمها:ـ

■ ظهرت الصبغة الإسلامية عند شعراء البادية المخضرمين عقيدة وسلوكاً، قولاً وعملاً وانعكس ذلك على أشعارهم.

■ بدت آثار الإسلام في اللغة عبر ألفاظ وأساليب قرآنية ونبوية.

■ ظهرت الصبغة الإسلامية في بناء القصيدة بكثرة نماذج المقطعات التي تتلاءم بقصرها، وتركيزها تلاحق الأحداث وكثرة المعارك.

■ في الموسيقى سار شعراء البادية المخضرمون على النهج العربى المألوف، وإن غلبت لديهم بحور الطويل، والبسيط، والكامل .. وكانت الراء والميم واللام .. أكثر الحروف شيوعاً في قوافيهم . كما أفادوا من ألوان الإيقاع في الموسيقى الداخلية.

■ اتسمت عواطف شعراء البادية بالصدق والحرارة والتدفق، وذلك بسبب الحماس الديني وقوة الإيمان، وما نتج عن المعارك من سقوط الشهداء، وما أدى إليه الجهاد من بعد عن الوطن والأهل، وما آثارته البلاد الجديدة من دهشة . كما يتفق ذلك مع طبيعة البدوي الصريحة البسيطة التى ترفض التكلف وتكره المواراة.

■ افتن الشعراء في استخدام الأدوات الفنية المتنوعة؛ من تنوع في الأساليب وتصوير ورمز وأسلوب القص.

■ لايخطيء الدارس المتأمل هذه الصبغة الإسلامية عبر أشعارهم مهما كانت أغراضها.

قواعد النشر في المجلة

- لاتنشر المجلة أي موضوع سبق نشره.
- موضوعات المجلة تنشر في حلقة واحدة ولاتوزع على عددين.
- يرجى كتابة الموضوع على الآلة الكاتبة أو بخط واضح، مع ضبط الشعر والشواهد وألا يزيد عن خمس عشرة صفحة.
- يرجى ذكر الاسم ثلاثياً مع العنوان المفصل ليمكن وصول المكافأة الرمزية إلى الكاتب.
- ترسل نبذة عن الكاتب في حدود سطرين.
- يرجى توثيق البحوث توثيقاً علمياً كاملاً.
- الموضوع الذي لاينشر لايعاد إلى صاحبه.
- إرسال صورة غلاف الكتاب، موضوع الدراسة أو العرض، أو صورة الشخصية التي تدور حولها الدراسة، أو المجرى معها الحوار.

قراءة في بريد القراء

يقدمها: د. حسين علي محمد

■■ منى العتيبي:

مسرحيتك «صديق العمر» تكشف عن قدرة طيبة على إدارة الحوار. وكما يقول النقاد «لامسرحية بدون حوار» لكنك في نصك المسرحي لاتأخذين قضية واحدة وتتعمقين في تناولها، كما أن الصراع غير واضح في مسرحيتك.

ولعلي أشير عليك بقراءة عدد من المسرحيات النثرية العربية لتوفيق الحكيم «مسرح المجتمع» مثلاً أو علي أحمد باكثير في مسرحياته الكثيرة: الطويلة والقصيرة. ومن الأجزاء التي أعجبتني في مسرحيتك نهاية المشهد الثاني حينما يصر فارس على أن يتحمل الجريمة بدلاً من صديقه «خليل» الذي ينتظر طفلاً، ويعيش حياة أسرية هانئة، فهي تكشف عن قدرة على الكتابة المسرحية، نرجو أن تحاولي إثراءها وتنميتها.

■■ خالد بن عبد العزيز الدخيل ـ كلية اللغة العربية:

في قصتك قدرة على السرد ورسم الشخصيات وكان يمكنك أن تمسك بالحديث «مغالاة بعض الآباء في المهور» وتعالجه معالجة محكمة، ولكنك استطردت في القصة التي أخذت حيزا زمانيا طويلاً، وأحداثا متعاقبة، حتى أوشكت أن تكون رواية صغيرة.

في قصتك بعض الأخطاء في اللغة وهي قليلة مثل: «إن عندك مال» والصواب: «مالا»

و«هل نسيتي صوتي»؟ «والصواب»: «نسيت» و «أذكر أن لي أب». والصواب: «أبا» و«خرج الضيفان سعيدان» والصواب: «سعيدين».

في بعض أجزاء قصتك لحظت ثراء في الحوار وقدرة متميزة على إنطاق الشخصيات لغاتها، فليتك تستثمر هذه القدرة في كتابة المسرحية، حاول مرة أخرى، وأرسل لنا «قصة قصيرة» أخرى.

■■ خالد بن مرزوق العتيبي ـ الرياض:

قصيدتك «أيام كنا» تكشف عن موهبة استطاعت أن تتلمس طريقها في الإبداع الشعري، ولكنك تحتاج إلى صقل موهبتك بقراءة روائع الشعر العربي قديمه وحديثه، ومطلع قصيدتك لابأس به:

ياهاجساً في صميم الروح في ذاتي
أصداؤه قد تباهت في مناجاتي
ياهاجساً بنشيد الحب يأسرني
فاستسلمت لنشيد الحب راياتي

لكن بقية النص ـ الذي يقع في عشرين بيتا يمتلىء بالحشو،

أقلام واعدة

وسأذكر بعض أبياتك، وأضع الحشو بين قوسين

٣- أخذت أكتب أبياتاً أريد (فقط)
أترجم الحب في شعري وأبياتي

١٢- حبيبة القلب أنت لحن أغنيتي
أهديك حبي (وأهديكم) تحياتي

١٣- أشكو من الهجر ، والأيام تعصف بي
وردد الكون (كل الكون) آهاتي

١٦- الحب أجمل شيء في الوجود إذا
(ما)خالط (الحب) أرواحاً عفيفات

والمعاني في قصيدتك ليس فيها من جديد، لكنك بقراءاتك ومعاناتك تستطيع أن تبدع شعراً جيداً.

■■ بكر موسى هارون هوساوى:

قصيدتك «مرآة في وجه الزمن» تدل على أنك وضعت قدميك على الدرب.

في القصيدة بعض الصور المحلقة.

لكن في قصيدتك بعض الأخطاء الإملائية حيث تكتب في البيت السادس «فما بغناءها» والصواب: «فما بغنائها».

وتكتب في البيت الحادي والعشرين «ومابسماتنا إلا قناعاً» والصواب «قناع».

■■ حمزة عبد الرحمن هوساوي:

في قصيدتك «أمجاد الجرح» ومضات شعرية محلقة، وفي قصيدتك التي من شعر التفعيلة، «تشكيل» نلمح التصوير المعبر، لكن بعض سطورها افتقدت الوزن ومنها المطلع:

يشكلني الحرف
يرسم في داخلي
أنشودة مطلقة

فلا تستقيم هذه السطور مع بقية النص، الذي يتخذ من تفعيلة «فعولن» إطاراً له .

ومن السطور المحلقة في نصك الثاني:

وشرنقتي في الطريق الضباب
وأرضي يباب
ومئذنتي مطرقة
وللسنديان هنا زوبعة
وهذي النواميس كالمشنقة

لأني أكبر
وفوق جبينيَ سيما السجود
وذاكرتي مترعة
فإن قلت ذكر
وإن صُمْتُ فكر
لهذا أُكبلُ بالأشرعة

■ محمود شاكر

■■ محمد أمين البساطي - مكة المكرمة:

قصيدتك «مفاتيح الفجر» جيدة، ننشرها في هذا العدد، ونأمل أن تصلنا منك إبداعات جديدة.

■ أحمد حسن الزيات

■■ سمية مزعاش - الجزائر:

في خاطرتك «خواطر تحتضر» بعض اللمحات الفنية الجيدة، ومنها:

«أجدها تصارع سيوف الصمت، وتقاوم خناجر الخوف، خواطري اليوم ليست كالبارحة أراها قد لبست ثوب الشجعان، إنها تقاوم وتلتحم من جديد»

نرجو منك أن تطالعي كتابات أعلام مدرسة البيان في النثر الحديث: مصطفى صادق الرافعي، وأحمد حسن الزيات، ومحمود محمد شاكر..

وسوف يكون لك شأن بمشيئة الله - في كتابة الخاطرة الأدبية، والمقالة.

■ مصطفى الرافعي

■■عبد الله دوران - الزلفي:

قصيدتك التي بدون عنوان تفتقد الوزن، وليست أكثر من كلمات مسجوعة، ليتك تحاول الكتابة النثرية فقد تجيد فيها.

هم قادمون

■■ **علي بن جبريل ـ مكة المكرمة:**

قصيدتك «في محراب الظلام» منشورة في هذا العدد، وهي مناجاة طيبة تكشف عن قدرة على الإبداع نرجو أن نجني ثمارها في المستقبل شعراً إسلامياً عذباً.

■■ **محمد صالح الصالح ـ تشاد:**

في شعرك قدرة على قول الشعر، لاتخطئها العين في النصوص التي أرسلتها، ففي قصيدتك «هل ضاقت أرض الله»، ينبيء المطلع عن قدرة شعرية تحتذي النصوص القديمة، وتحاول أن تبدع في إطارها:

تولت نجوم الليل، فالفجر طالع
وأشجى رفيف الغصن، والصبح ناصعُ
(وشادت) عصافير تهيب بي العلا
وهامت بذكري الشاديات السواجع

ولعلك تقصد (شدت) وكان من الممكن أن تكتب بدلاً منها ـ ليستقيم الوزن ـ «وغنت» وفي قصيدتك «ملك زائير» التي مطلعها:

أحقا هوى عن ملك زائير أهله
وطوح في ذل عظيم حجافله

نجد شعراً يحاول أن يسترق التراث، وإن كان يلجأ إلى الحكمة بين حين وآخر، مثل قوله:

فلا ملك يبقى غير ملك إلهنا
وكل سيفنى والإله مسائله

وفي قصيدة «سهلاً .. وطني» نرى فيها غنائية فياضة، في حب الوطن والشوق إلى أهله ومطلعها:

ألا من مبلغ عني دواما
إليكم من دنا قلبي سلاما
فإن القلب مضطرم لهيبا
وجال الشوق في جسمي وحاما
لماذا قطعت همزات وصل
وقاد الهجر في صلف زماما

وكل قصائدك كما كان يقول الأستاذ أمين الخولي ـ مقاربة للنثر.

ونرجو أن نقرأ لك قريباً ما يستحق النشر.

دوت أصوات المدافع الرشاشات والصواريخ في إحدى تلك الليالي في مدينة كوسوفا ، وكان أحد الأطفال يعيش مع والديه في تلك القرية الصغيرة وذات ليلة سأل الطفل والده:

الطفل: أبي إن القوات الصربية تدمر المدن المجاورة لنا ويقال إنها ستصلنا فهل هذا صحيح يا والدي.

الأب: يابني لاتخف فإن المسلمين في كل مكان ولن يسمحوا لأحد مهما كان أن يمس المسلمين بأذى.

هذا ما كان يعتقده الوالد، وأيضا كل المسلمين في كوسوفا ، ولكن رد الطفل كان فاجعاً ووقع كالصاعقة على والده.

الطفل: أبي ولكن مايحدث الآن وحدث في البوسنة والهرسك وفلسطين وكشمير لايدل على أن المسلمين يحملون هماً لإخوانهم في كوسوفا.

الأب: يابني لاتجعل هذه الأفكار تسيطر عليك وأنس هذا الموضوع

وبعد مرور أسابيع قليلة دخل الصرب وفرق الموت الصربية إلى كوسوفا..

الطفل: أبي هذا ما كنا نخافه.

الأب: لاتخف يابني فكما أخبرتك إن المسلمين لن يقفوا دون حراك بل سيساعدوننا.

وذات ليلة دخل الصرب منزل ذلك الطفل..

الطفل: ماذا تريدون ؟؟

القائد : أين والدك؟

الطفل: سيحضر بعد قليل.

ومرت دقائق معدودة ولم يحضر والد الطفل، فقامت القوات الصربية بتخريب المنزل وقتل والدة الطفل (ثم جاء والد الطفل)

الأب: ما هذا يابني

الطفل: لقد دخل الصرب وفعلوا بنا ما فعلوا والمسلمون ينظرون!!

الأب: (لاحول ولا قوة إلا بالله ، إنا لله وإنا إليه راجعون) ستفرج يابني إن شاء الله.

وبعد أسبوع تحضر القوات الصربية مرة أخرى فتجد الطفل فيضربه أحدهم بقدمه والطفل يصرخ، ثم يؤخذ الأب ويؤسر. خرج الطفل من المنزل لايدري إلى أين يذهب، فوالدته قتلت، ووالده أسر أواحتجز،

أقلام واعدة

عبد الله بن معدي القحطاني

ويصرخ وينادي أين المسلمون أين من يحمل كلمة لا إله إلا الله؟! ولكن..

جاءت حملات من بلاد أوربية نصرانية وحملت الطفل مع اللاجئين، وفي مخيمات اللاجئين تحدث الطفل مع أحد المسلمين.

الطفل: إنني أستغرب من موقف المسلمين فلم تأت حملات لأخذ اللاجئين والأطفال بينما أتت حملات من دول نصرانية

الرجل: لاتستغرب يابني فإن المسلمين مشغولون بجراح أخرى، مشغولون بفلسطين وهضبة الجولان وكشمير وأندونيسيا، ألم تسمع قول الشاعر:

أني اتجـــــهت إلى الإســـــلام في بـلد
تجـده كـالطيـر مـقـصـوصـاً جناحـاه

ولاحظ أحد المشرفين على المخيمات ذكاء ذلك الطفل وفطنته فحمله إلى مدارس تنصيرية..

الطفل: إلى أين تذهبون بي؟

المشرف: إلى مكان جميل، سوف ترى ذلك المكان قريباً.

ويصل الطفل إلى المدرسة ويدخل بها .. وبعد ١٠ سنوات يخرج الطفل أتدرون بماذا خرج؟ خرج وهو أحد قساوسة النصارى، وتذهب حملة تنصيرية بقيادته إلى كوسوفا وبينما هو يتجول إذ به يلاقي والده، ويستغرب والده من هذا المنظر.

الأب: أأنت ابني؟؟

الابن: نعم يا أبي، لقد خاب أملنا بالمسلمين انتظرنا العون والنصر منهم ولكن لافائدة.

الأب: يابني لاتيأس أتغير إسلامك بسبب عارض طاريء؟! ألم تعلم أن الباطل على شفا جرف هار، عد ولاتغرك المظاهر ثم ينصرف الإبن من أمام والده ولا يبالي بكلامه. وذات يوم كان الابن في إحدى الكنائس في كوسوفا إذ يرى المدافع وإذ بالمنادي ينادي «هذا جيش للمسلمين قادم وهو عاقد العزم على إعادة ما فقده من بلاده».

وفي خلال يومين ينتصر المسلمون ويؤسر الإبن كأحد القساوسة النصارى ويزور الأب أبنه..

الأب: أرأيت يابني، ألم أقل لك لاتيأس إن الإسلام مهما ضعف فإنه لاتكسر شوكته ويعود متى اتحدت صفوفه

الابن: صدقت يا أبي فالباطل على شفا جرف هار

●● قصة تبشر بكاتب واعد إن شاء الله، نحيي فيه حرصه على الإسلام والمسلمين وننصحه بكثرة قراءة القصص قصيرها وطويلها.

﴿ وأستعينوا بالصبر والصلاة، وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين ، الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وأنهم إليه راجعون ﴾ (١)

أرحنا بها يا بلال

عبد العظيم فوزي

أرحنا بها يا بلال(٢)
فقد طوحتنا الطريق
وصرنا كأرجوحة في مهب الرياح
نمد الكفوف لهذا الهباء اللعين
نصاقب وجه السراب
وندفن سيقاننا في الرمال
وفي حر هذي الظهيرة
نطارد ظل السحاب
ونلهث خلف الكلاب
فتسخر منا الشموس
وتبكي علينا الطلول
أرحنا بها يا بلال
فكل الوجوه مخيفة
وكل الوحوش محيطه..
نسيناك ياصاحبي في الزحام
نسينا نجوم السماء المنيرة
نسينا جميع الأحبة
ركضنا، ركضنا، ركضنا
وفي الليل تهنا..

١ـ س: البقرة ٤٤ ـ ٤٥
٢ـ من حديث الرسول (ص) عن الصلاة..

أقلام واعدة

في محراب الظلام

شعر/ علي بن جبريل - مكة المكرمة

(في ليلة هادئة، ساكنة سكون النفس المؤمنة، كانت هذه المناجاة)

أتاني رسول السُّرى والسكون
فأغمضَت الأرض كل الجفون
وذاق الأنام كؤوس المنون
وبت وحيدا أناجي الشجون
أيا ليل في شاطئيك العباد
غريقون بين السها والسهاد!
لبست عليهم ثياب الحداد
وأمطرتهم بدموع العيون
إله البرايا ! برتني الهموم
وبت شريداً بوادي الغموم!
تؤانسني في السماء النجوم
فكن لي - أرباه - خير معين
أراني بين الهدى والهلاك
أؤرجح ما بين هذا وذاك!
فطوراً أكون بروح الملاك!
وحينا بروح الخبيث أكون!!
إذا ما عن الخير قلبي ونى
أتاني بدربي الضنى والعنا
وإن كنت لي - يا إلهي - المنى
تفيض الدنا مثل أم حنون
أرقتُ إلهي .. وكنتُ الغريق
ببحر الخطايا وواد سحيق !
فمد جناني بحبل وثيق
لتنقذني من عجاج الظنون
إذا ما سجى الليل - بي وادلهم
وأغشى فؤادي الدجى كل هم
ببابك - ياربنا الملتزم
وفي بحر حزني ركبت السفين !
أقوم إلهي بقلب حزين
وبين المآقي دموع الحنين
لأسقي - وليلي ندى الجبين -
معين المساء ، ونعم المعين

مرآة في وجه الزمن

(قصيدة تبحث عمن يفهمها)

بكر موسى هوساوى

كفاك الصمت إن الصمت بَوْحُ
فرب مموه فيه الوضوح
ورب إشارة أمست بيانا
يترجم قولها لَسِنٌ فصيح
ورب بظلمة تلقي ضياء
ورب مغلق فيه الفتوح
وماذا ترتجي بوميض برق
إذا صعقت بومضته الصروح
فلا ترجو سحاب الغيث قطراً
فإن سحابنا نذل شحيح
ولاتصغى إذا غنت طيور
فما بغنائها إلا الجروح
ولاتلقي إلى الأزهار بالاً
ولو روض مباسمه تلوح
فماذا بالجمال سوى شجون
يشاكس قلبنا فتهيم روح
ولاترسم مع الآمال حباً
فإن الحب منظره قبيح
وما الآمال غير حصان طيف
نراوده فيخذلنا الجموح
وما أحلامنا إلا حداداً
وأشباحاً بداخلنا تصيح
فدع عنك الأماني لاتمني
فإن الأمنيات غدت تنوح
فكم بطل يشاتمه سلاح
وطمّاح يباكيه الطموح
وصقر في جناح الصقر عزم
ولكن ماله جو فصيح
فلا تظنن سكون الأسد عجزاً
ولاتعجب : غزال لايروح
ولاتحسب سواد الوجه قبحا
فرب بأسود وهو المليح

مفاتح الفجر

محمد أمين البساطي

الى الوطن الإسلامي الكبير..
الذي يحمل في كفه مفاتح الفجر..
متأهباً لفتح بوابة الإشراق..

مفاتح الفجر في كفيك ياوطني
فغذ سيرك للعليا ولاتهن
ثياب ليلك أسمال مرقعة
مَحُوكَة بخيوط الذل والوهن
أسفار ماضيك بالأمجاد حافلة
وفوحها بعبير الروض ينعشني
غنت بلابلها ألحان عزتنا
أدلى بروعتها غصن إلى فنن
واليوم قومي عن الأمجاد قد قعدوا
والماء مرتهن إن ظل بالعفن
أعرت سمعي للأحداث في لهف
لعل بارقة تفري عرى الشجن
فصك سمعي صوت شابه حزن
من أرض لبنان ذات المنظر الحسن
عاثت بها عصب من طبعها حنق
ودنست ساحها في السر والعلن
في كل شبر ترى شلواً وجمجمة
وخيمة دمعت مبتورة الرسن
في كل وجه ترى للبؤس خارطة
صيغت ملامحها بالأدمع الهتن
أني تلفت لا تلفي سوى محن
في الشام في الهند في السودان في اليمن
لو أننا ما هجرنا شرع خالقنا
لما تفاقمت الأورام في البدن
لو أن أمتنا بالشرعة اعتصمت
لم تَبْدُ في ضعة يوماً ولم تهن
أبيت ليلي آلامي تهدهدني
ومطلع الفجر - وابؤساه - لم يحن
مهما تطاولت ياليلي على سفه
سيغسل الفجر ما خلفت من درن
وتشرق الشمس في الأرجاء ضاحكة
وتنجلي ظلمات التيه والفتن

فأرج الليل طولاً واحتضنه
ولاتفرح إذا بزغ الصبوح
فما بالصبح غير لهيب شمس
أشعتها تصاحبها القروح
غبار الكون ينثره ضجيج
وآفات روائحها تفوح
ووجه عابس القسمات هماً
وآخر بائس تعب كدوح
وما بسماتنا إلا قناعًا
أليس لجرحنا أبداً نزوح؟
فماذا تبتغي أصراع دنيا؟
فكن بالليل علك تستريح
فهذا الكون تملؤه خبايا
مريض في مظاهره صحيح
وشر جاء في أثواب خير
وذم حين تسمعه مديح
وأمر ليس تفهمه عقول
وأمر ليس توفيه الشروح
فدع عنك الكلام وخذ بقولي
كفاك الصمت إن الصمت بَوْحُ

الباب.. الذي لايغلق

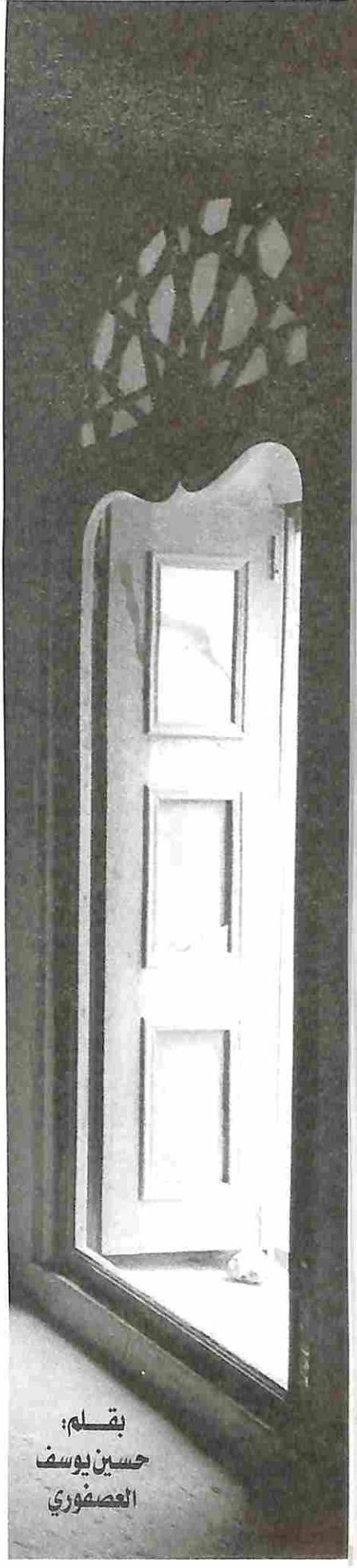

بقلم:
حسين يوسف
العصفوري

وقف سالم حائرا، ودموع الليل تتساقط على جبهته العريضة، فتخفف حرارة جسده التي ارتفعت إلى درجة لم يعد يعرف معها: هل يذهب لما تريد نفسه الجائعة، أو يعود ويكبح جماحها الثائرة؟ ولكن الهدوء الذي سيطر على أرجاء المكان يقلل من احتمالات العودة. التبريرات تقلل العقبات، والتساؤلات العديدة التي قفزت إلى ذهنه حين هم بالذهاب إليها حيث لايفصله عنها إلا خطوة أو خطوتان، ويصير معها هي بكل ما فيها من جاذبية وحزن وصدق، لايدري هل هو من أجله أو من أجلها.. فكثيرا ما حدثته عن نفسها التي باعها أبوها إلى زوجها الثري صاحب النفوذ، القوي، لم يفكر بعمرها ومناسبته لعمره، ولكنه فكر بعقل الجائع وروح الخائف، فقد عاشت كل حياتها معه خادمة، لم تشعر لحظة بحقها كاملاً لها شخصيتها أو وجودها في حياته.. وماذا سيعود عليك ياسالم، ودارت الأفكار دورتها عليه مرة أخرى، ربما تريدك أن تواجه زوجها بكل ما فيه وبه.. وقد أدخلك بيته وأتمنك على حقه وجيرته.. مم تخاف يا سالم؟.. من نفسك أن تتمادى ولاتجد ما يسد رمقك ، فقد كان الحديث صريحا ... أم تخاف منها أن تدفعك للمزيد، وربما تطلب منك الزواج.. ومن يدريك أنك أول شخص.. ربما أحبتني أنا دون غيري.. لاتعط نفسك فرصة لتراها عن قرب.. وصل بك أن لا تتحرى الحرام.. وتقدم له المسوغات ـ ماذا ستقول لربك؟ ربما هذا إلهام ومراجعة ـ يحاسبك الله عليه ـ أنت الذي كان يضرب بك المثل في الأمانة والتقوى، تخون الجار الجنب؟!، وكأن بابه مقتطع من بابك.. ماذا بدلك؟!. ربما الجامعة والاختلاط، وتلك الحياة الفاجرة، والشعارات الجوفاء، والعقول الفارغة، وأولئك الفاشلون الذين يبحثون عما يسد الفراغ الشاسع داخلهم، كنت واحداً منهم بلا مقدمات، ولولا عناية الله ورحمته ماأراك البرهان وعدت لتنقذ نفسك قبل فوات الأوان ، يوم رأيت أحد رفقاء الفراغ.. يغض البصر ويبتعد عن الحفلات والرحلات.. دفعني الفضول لأرى ماذا دهاه ولشد ما أدهشني.. إنه يتحدث عن الخير ويدعونني إليه.. ما هذا القلب الذي تحول من الأنانية البغيضة وحب الذات إلى كل ذلك العطاء والإيثار والحب.. وبحثت في كلامه الهادىء المؤثر، كانت تلك العلامات الأولى عند عودتي.. ولكن الآن ماذا دهاك ياسالم وقد تاب الله عليك من فتيات الجامعة، وهن الباحثات عن صوت عال يملأ آذانهن بالضجيج؛ لكي يسمعن النصائح من الآباء.. ويصب في آذانهن دعاوي التحرر والانسلاخ حتى يصرن نساء ورجالا في آن واحد.. الآن أنت وجها لوجه مع الحياة الحقيقية، بدون جلبة أو صوت أو مواجهات.. وماذا ستفعل لو رآك أحد الناس خارجا من بيتها.. وقد عرف الجميع وجودها بمفردها وفي هذا الوقت المتأخر.. وقتها لن تقوم لك قائمة.. وربما ستهرب من البلدة كلها.. ولطاردك زوجها في كل مكان، حتى يظفر بك.. وحتما سيلحق العار بأهلك.. وربما خرجوا من المنطقة. وستطلق المرأة.. وتفقد كل شيء، وسيطردها أبوها الذي يعيش على ماتراه مع أخواتها.. ما الذي انحدر بك إلى هذا الوادي السحيق، وقد أحاطت به الجبال السوداء من كل الجهات.. أعدمت القيم داخلك! تاهت الرموز التي كانت نبراسا للنفوس تهتدي وتقتدي بها حتى في أصعب الأوقات.. يوم كان الأمل كل ما يعيشون عليه. وصنعوا تاريخاً أسود.. وقد بدلوه بالتاريخ الناصح البياض فاختلط الحابل بالنابل، وبدلوا السجلات وجعلونا نعيش فى زمان غير الزمان، وقد أزالت كل المعالم وحطموا النوافذ.. وفتحوا الأبواب على مصاريعها.. من سيوقف السيل، ومن للصغار وقد كنت صغيرا.. وبصيص من ضوء يتحرك بعيدا. ولكنه نافذ.. وصاحب الهيئة ليس بغريب، والإحساس لايختلف عن السابق.. جلباب أبيض يتحرك حتى اقترب ونطق بالسلام.. إنه الشخص الذي جاءني في الجامعة، شعاع النور يلحق به.. الباب المقابل يفتح بهدوء، أذان الفجر يعلو ولا أحد يسمعه حتى الأذان صمت.. كما كمت الأفواه.. ومساحة من الفراغ المضيء.. تسحب كل الظلام الذي عاش فيه سالم عمره كله.. وكأنه يفتح عينيه قبلا ولم ير إلا ظلاما دائما.

من أخبار.. الأدب الإسلامي

إعداد :
شمس الدين درمش

رسالة شكر من الشيخ أبي الحسن للأمير سلطان على الموافقة بفتح مكتب للرابطة بالسعودية

بعث الشيخ أبو الحسن الندوي برقية شكر لسمو الأمير سلطان بن عبد العزيز النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء، ورئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، يشكره فيها على الموافقة السامية الكريمة بافتتاح مكتب للرابطة في المملكة العربية السعودية.. جاء فيها:

صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز
رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية الموقر
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد:

فإني أتقدم إلى سموكم الكريم بوافر الشكر والامتنان لصدور الموافقة السامية على فتح مكتب بالمملكة العربية السعودية لرابطة الأدب الإسلامي العالمية، وأدعو الله عز وجل أن يكون في ذلك إسهام في تحقيق ماتهدف إليه المملكة من رفع شأن الإسلام ونفع المسلمين عن طريق الكلمة الطيبة الهادفة، وبالمنهج الذي عرفنا به من الاعتدال والبعد عن الغلو. مع الالتزام بما جاء في نظام الرابطة من الابتعاد عن الصراعات السياسية والحزبية .

هذا وتفضلوا بقبول فائق الاحترام ولائق التحية.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

المخلص: رئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية
أبو الحسن علي الحسني الندوي

..والأمير سلطان يرد:
نشكركم على مشاعركم الطيبة

وقد بعث سمو الأمير سلطان بن عبد العزيز ببرقية مماثلة شكر فيها الشيخ أبا الحسن الندوي على ماجاء برسالته من طيب المشاعر.. وتمنى لرابطة الأدب الإسلامي العالمية التوفيق في الدفاع عن قضايا أمتنا بالكلمة الطيبة الهادفة.

وقد جاء نص الرسالة كالتالي:

فضيلة الشيخ أبا الحسن علي الحسني الندوي
رئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية.. حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد:

فقد اطلعت على رسالتكم الرقيقة ومأأبديتموه فيها من مشاعر طيبة ودعوات مخلصة، إثر صدور الموافقة السامية على فتح مكتب لرابطة الأدب الإسلامي العالمية في المملكة العربية السعودية.

نشكركم على هذه المشاعر الطيبة، سائلين المولى جل وعلا أن يبارك في جهود الجميع، وأن يكون هذا المكتب من القنوات الفاعلة التي تدافع عن قضايا أمتنا الإسلامية بالكلمة الطيبة الهادفة، ولاشك في أن الأدب وسيلة مؤثرة في الدعوة إلى دين الله الحنيف، والمملكة العربية السعودية وهي ذات الرسالة الخيرة يسرها أن تكون منطلقاً للأدب الإسلامي ذي التأثير المحمود.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا وإياكم لما يحبه ويرضاه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

سلطان بن عبد العزيز
النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء
ورئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

●● من أخبار أعضاء الرابطة:

تكريم د. عبد الباسط بدر في اثنينية الشيخ عبد المقصود خوجه

كان ملتقى التكريم الذى أقيم للدكتور عبد الباسط بدر باثنينية الشيخ عبد المقصود خوجة حافلاً بالكثير من النقاش، حول ماقدمه المكرم، والجهود التي بذلها أثناء عمله أكاديميا، وفي بحوثه ومؤلفاته المختلفة.

وقد بدأ الحفل بالذكر الحكيم . وبعده ألقى الشيخ عبد المقصود خوجه كلمة الإثنينية ووصف الدكتور عبد الباسط بدر بأنه أحد الأساتذة الذين حفروا الصخر ، وكابدوا حتى وصلوا إلى ماوصلوا إليه بعد جهد وجهاد مع النفس.

وألقى بعد ذلك معالي د. محمد عبده يماني كلمته التي قال فيها: «إن العملية ذات طابع خاص، تحمل عبق المدينة، وتجعلنا نعيش أجواء المدينة» وتلاه الأستاذ الشاعر محمد هاشم رشيد رئيس النادي الأدبي بالمدينة المنورة، ثم تحدث د. عبد القدوس أبو صالح مشيداً بالإثنينية في تكريمها صفوة رجال الفكر والأدب.

ووصف الدكتور عبد الباسط بدر بأنه صاحب همة عالية، وطموح بعيد وجهد خارق، وهو يأتي في مقدمة النقاد الإسلاميين، ومما زاد من تمكنه فى النقد الأدبي اختصاصه في الأدب الحديث.

وتكلم بعد ذلك أحد طلاب د. عبد الباسط بدر وهو د. عبد الخالق الزهراني رئيس قسم البلاغة والنقد في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، وهو الآن مدير مركز بحوث المدينة المنورة التاريخي، والدكتور عبد الباسط بدر يشغل في رابطة الأدب الإسلامي العالمية أمين سر مجلس الأمناء وعضو هيئة التحرير في مجلة الأدب الإسلامي التي تصدرها الرابطة.. وتهانينا للدكتور عبد الباسط بدر.

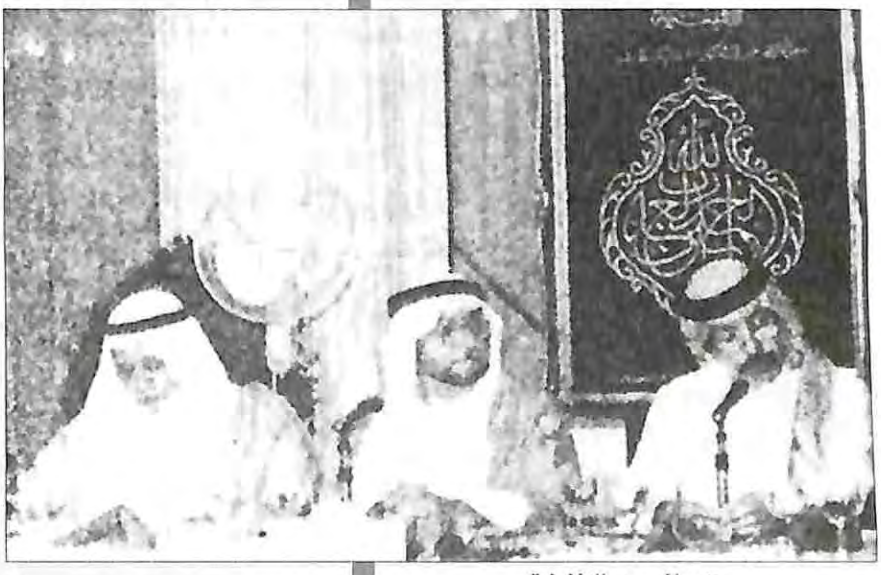

■ جانب من الإثنينية

من أخبار المكاتب

درجة الماجستير لسحر أشقر

حصلت الأستاذة سحر حسن أشقر - على درجة الماجستير بتقدير ممتاز مع التوصية بطبع الرسالة لتميز موضوعها.

وكانت المعيدة سحر أشقر قدمت رسالتها التي عنوانها «الصبغة الإسلامية عند شعراء البادية المخضرمين» إلى كلية التربية للبنات/ الأقسام الأدبية بمكة المكرمة.

تكونت لجنة المناقشة والحكم من :

١- الأستاذ الدكتور محمود حسن زيني أستاذ الأدب والنقد بجامعة أم القرى مناقشاً خارجياً.

٢- الأستاذ الدكتور محمد فايز سنكري طرابيشي أستاذ الأدب والنقد المشارك بكلية التربية للبنات بجدة مناقشاً داخلياً.

٣- الأستاذة الدكتورة إخلاص فخري عمارة أستاذ الأدب والنقد المشارك بكلية التربية للبنات بمكة المكرمة مشرفاً ورئيساً.

□□□

■■ مكتب الرابطة في عمان..

نـــــــدوة تكريم المجذوب والزرقا والطنطاوى

أقام المكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية في عمان، حفل تكريم للأساتذة: محمد المجذوب، ومصطفى الزرقا، وعلي الطنطاوي، وذلك بعد عصر يوم الخميس، التاسع من ربيع الثاني ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩/٧/٢٢م في مقر مكتب الرابطة في عمان، رأسها الأستاذ محمد الحسناوي، وتحدث فيها الأساتذة طعمة طعمة - د. أنس الزرقا - رفيدة الزرقا - عبد الله الطنطاوي.

■ الشيخ علي الطنطاوي

■ مصطفى الزرقا

■ د. مامون فريز جرار

افتتح الندوة الدكتور مأمون فريز جرار رئيس المكتب الإقليمي للرابطة بكلمة قصيرة، أسف فيها لفقد هؤلاء العلماء الأدباء الأعلام، ثم قدم الأستاذ الحسناوي المتحدثين، فتكلم الأستاذ طعمة طعمة عن الأستاذ الأديب الشاعر محمد المجذوب، فقسّم حياته إلى ثلاث مراحل. الأولى: من مولده عام ١٩٠٧ في مدينة طرطوس في سورية إلى سنة رحليه إلى المملكة العربية السعودية عام ١٩٦٤م، تحدث عن ميلاده، ثم وفاة أبيه الذى تركه صبياً، وقد تحمّل الصبي مسؤولية الأسرة التي تركها له أبوه بجدارة، وعاش عصامياً.

تتلمذ على يد عمه الشيخ عبد الله المجذوب الذي لقنه العلم والأدب معاً، فتعلق باللغة العربية، وأكب على قراءة الكتب ودواوين الشعر، وحرص على ألا يتحدث إلا باللغة الفصيحة، وقال الشعر مبكراً، وجوّد فيه وأبدع، وشارك في المسابقة التي أعلنت عنها الجامعة العربية لاختيار نشيد، وكانت قصيدته الفائزة الأولى في تلك المسابقة من بين مئة نشيد، وقال: للشاعر المجذوب ديوان نار ونور، ومسرحية (من تراث النبوة) ورواية صرخه الدم، ومدينة التماثيل، وقاهر الصحراء من الصعيد، وفارس غرناطة، وقصص من سورية، وقصص وعبر، وقصص من الصميم، وله من الكتب الفكرية: فضائح المبشرين، وخواطر ومشاعر.

وفى هذه المرحلة ناضل الاستعمار الفرنسي بلسانه ويده، ودخل سجونهم ومعتقلاتهم.

وفى سنة ١٩٣٦م شارك في المؤتمر الوطني الكبير، ممثلاً لمدينته، لمعالجة معاهدة ١٩٣٦ التي تعد أولى مراحل استقلال سورية.

وكان الأستاذ المجذوب من رجال الرعيل الأول في الحركة الإسلامية منذ تأسيسها عام ١٩٤٥م ونستطيع أن نطلق على هذه المرحلة: مرحلة الأديب الداعية المجاهد، والمرحلة الثانية كانت بين ١٩٦٤م - ١٩٩٧م قضاها في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة مدرساً متعاقداً، وكان له تأثير كبير في تلاميذه، وخلالها عمل في مجلة الجامعة، وصار عضواً في مجلسها الأعلى، وقد قل انتاجه الأدبي في هذه المرحلة، وقد أصدر خلالها ديوانين، هما: ألحان وأشجان - وهمسات قلب. أما كتبه الفكرية، فكثيرة ذكر منها تسعة كتب: تحفة الأريب في ثقافة الأديب - تأملات في المرأة والمجتمع - أضواء على حقائق - ذكريات لاتنسى - مشكلات الجيل في ضوء الإسلام - دروس في الوحى - كلمات مضيئة - في ظلال الإيمان - الطريق

السوي إلى وحدة المسلمين، علماء ومفكرون عرفتهم [في ٣ مجلدات].

وقد مال المجذوب في هذه المرحلة ـ إلى الفكر السلفي المعتدل.

المرحلة الثالثة: ١٩٩٧م ـ ١٩٩٩م عندما عاد إلى سورية، ولزم بيته، وأغلق عليه بابه، وانكب على مؤلفاته التي لم تكتمل، وانطلق يكتب ذكرياته،إلى أن وافته المنية أوائل شهر حزيران ١٩٩٩م.

وعلق الأستاذ الحسناوي على هذه الكلمة بقوله:

الأستاذ المجذوب صفحة مجهولة لدى هذا الجيل، أذكر أنه كتب مقالاً في مجلة (الآداب) البيروتية في تحديث عروض شعر التفعيلة، واستشهد بقصيدة له عن (مجزرة قبية) عنوانها:

آه ياقبيه لو تنفع الآه.

وقال: على الرغم من اشتهار المجذوب كاتباً وشاعراً، فهو أستاذ جامعي لايحمل شهادة جامعية.

وقال: استشهد الدكتور مصطفى سويف بشعره.

وقال: المجذوب أكثر رجل تأثرت بقراءته للقرآن،خاصة في صلاته.

ثم تحدث الدكتور أنس مصطفى الزرقا عن أبيه العلامة فقيه العصر، وكان يرغب في تناول منهجه في الفقه والتفقه، لأن الجانب الفقهي هو الأبرز في حياته.

وقال: كان والدي شديد السعادة برابطة الأدب الإسلامي، كان يهتم بالأدب، وكنت راغباً عنه، إلى أن أدركت أهمية الأدب في السنوات العشر الأخيرة وقال: كان والدي يقول: أربعة علماء برزوا في النصف الثاني من هذا القرن،كان وجودهم من بركة الله ونعمته على هذا العصر وهم: الغزالي، والطنطاوي، والندوي، والقرضاوي.

وقال في معرض حديثه عن كتابه «المدخل الفقهي»: إن الدكتور منير العجلاني راجع المدخل، ونوه بأسلوبه الأدبي، وعده من عناصر القوة في الكتاب كما نوه بهذا الجانب الأدبي، الأستاذ القانوني الكبير عبد القادر عودة.

وقال: إن الجانب الأدبي انعكس على فكره وأسلوبه القانوني وقال: وقد عرفت ـ مؤخرا ـ أن الأدب أمر جوهرى أفاد الوالد منه كثيراً. وهو وسيلة الدخول إلى النفوس.

ثم تحدث الدكتور أنس عن منهجه الفقهي وأكد ما ذكر الدكتور القرضاوي في مقدمته لكتاب «فتاوى الشيخ الزرقا» وهو أن الشيخ الزرقا أقرب إلى مدرسة ابن عباس، منه إلى مدرسة ابن عمر، من حيث التيسير.

كما عد الدكتور أنس والده الشيخ من مدرسة أهل الرأي، وقال: كان منذ نشأته يرى أن مزايا هذا العصر كثيرة، وأن ما يحتاج إليه المجتهد في هذا العصر هو فهم النصوص الشرعية.. فهم القرآن الكريم والسنة المطهرة، وهذا لايتأتى إلا إن تمكن من اللغة العربية، ودرس تفاسير القرآن الكريم، وكتب الفقة السابقة.. عندئذ يستطيع فهم النصوص، وتطبيقها على الواقع المعيش.. إذ لابد من فهم الواقع المعاصر قبل الفتوى... ماهو الواقع ثم مانتيجة هذه الفتوى في هذا الواقع.. ثم اختار فتوين للشيخ.

ثم تحدثت السيدة الأديبة مفيدة مصطفى الزرقا حديثاً مؤثراً بليغاً عن والدها، بدأته بأبيات مؤثرة:

أحنو على كل قبر من قبورهمو
أبكيه حتى بكى من لوعتى الحجر

وقالت: في مراحل دراستي الأولى، طلبت منا المعلمة شراء معجم، فقلت لها: بابا قاموس كبير.

وأصرت المعلمة على ذلك قائلة لابد لك من قاموس صغير. وتحدثت السيدة رفيدة عن مناقشاتها اليومية لأبيها، في عمّان والرياض، وقالت: كنا نختلف أحياناً، وكان اختلافنا طبيعيا، فقد كان أبي ديموقراطياً،و وخاصة فيما يتعلق بدوحة الأدب التي لابد منها في مناقشاتنا، وكنا نتصافى ونتساقى في مجالس العلم والأدب خاصة. كنت أذكر من ذاكرتي بعض الأبيات التي أراها الأنسب في هذا المقام،وكان يسر ويسعد، ويصفني بذات النبع الجميل.

وكانت منوعاته العذبة لاتنتهي، ولاتنتهي... كانت فصاحته تسحرني، وإلقاؤه يأسرني، وطريقته في الاستنباط تبهرني، ولكنه بشر، ورأيه يحتمل الخطأ والصواب.

وقالت: كانت أمي مولعة بالأشغال اليدوية، وكانت مرة تعمل لوحة جدارية تمثل قاعة الأسود في قصر الحمراء، فأشار عليها أبي أن تزينها بأبيات شعرية تفرغها، لشاعر أندلسي رثى بها أمجاد الأجداد، ولكنه لم يتذكر الأبيات، فنظم أبي لأمي أربعة أبيات،هي:

وقفت بالحمراء مستعبراً
معتبراً أندب أشتاتا
فقلت ياحمرا ألا عودة
قالت: وهل يرجع من ماتا
ضيعني أبناء من شادني
هيهات، قد فات الذي فاتا
كأنما أنفاس من قد مضوا
ثواكل يندبن أمواتا

وذكرت السيدة الأديبة جملة من ذكرياتها الحلوة الرائعة، مع الأب الأديب العالم الرائع.

ومن المعروف أن الشيخ الزرقا ولد في مدينة حلب سنة ١٩٠٤م في أسرة علم وأدب وفضل، وتوفي في الرياض في ١٩ من ربيع الأول ١٤٢٠ هـ ٣/٧/١٩٩٩م.

ثم تحدث الأستاذ عبد الله الطنطاوي أو الطنطاوي الصغير، عن الطنطاوي الكبير الشيخ علي حديثاً مستفيضاً جاوز فيه الوقت المخصص له بكثير.

بدأ حديثه بقوله:

علي الطنطاوى عالم لايمكن اختصاره في كلمة أو محاضرة أو كتاب.. وهل يمكن اختصار إمام في الدعوة إلى الله، وإمام في الأدب والأدب الإسلامي في هذه الندوة؟

وكان مما قاله في اختصار شديد.

- ولد الشيخ علي في دمشق عام ١٣٢٧ هـ - ١٩٠٩ م
- أسرته أسرة علم وفضل.
- جاء جده الشيخ محمد بن مصطفى الطنطاوي من مصر، واستقر في دمشق سنة ١٢٦٥ هـ وهو عالم في الفلك وفى المذهب الشافعي.
- كان أبوه الشيخ مصطفى معلماً، ثم أمينا للفتوى بدمشق وكان شاعراً.
- خاله الكاتب المجاهد محب الدين الخطيب، صاحب مجلتي:(الزهراء) و(الفتح).
- يجيد الفرنسية.
- تخرج في معهد الحقوق بدمشق عام ١٣٤٢ هـ - ١٩٣٣م
- تزوج من آل الخطيب، ورزق خمس بنات.
- عمل في التعليم، والقضاء، والإذاعة، والتليفزيون، والصحافة.
- حضر العديد من المؤتمرات الإسلامية.

له نشاط متميز في خدمة القضية الفلسطينية.

- توفي في مدينة جدة يوم الجمعة ١٥ من ربيع الأول ١٤٢٠ هـ - ١٨/٦/١٩٩٩م

- متعدد المواهب: مدرس - داعية - صحفي - أديب - مفكر - خطيب - إعلامي - مناضل اجتماعي، وأدبي، وسياسي - قاضٍ - مؤرخ - فقيه - ناقد - رحالة.

رحل إلى: مصر - العراق - لبنان - فلسطين - إستانبول - أوربا - باكستان - الهند - وكتب في أدب الرحلات والسفر مالذ وطاب.

- له ٣٤ كتاباً وعشرات المقالات التي لم تجمع. وتحدث عن صفاته فقال:
- سمو في النفس، وسمو في الأخلاق والمواقف.
- الشجاعة التي كلفته الكثير.
- الدقة في المواعيد.
- كان انتماؤه إلى الإسلام وإلى الإسلام وحسب.
- كان يؤثر العزلة، إلا في سنواته التسع الأخيرة.
- لايحب الأضواء والإطراء.
- همه أمته وإسلامه.
- جرأة وصراحة في الحق.
- استقامة في النضال.
- بعيد عن الأضغان أو التآمر على من يخالط أو يباغض.
- سليم الطوية، طيب القلب.
- حمل في حنايا نفسه قهر القرن العشرين.
- متنوع الثقافة، فهو نموذج للعالم الموسوعي، وللقارىء النهم.
- يؤثر البعد عن الحاكمين.
- إذا نقد،فبإخلاص وموضوعية.

وتحدث عن نضال الطنطاوي الفتى ضد الفرنسيين، والطنطاوي الشاب والكهل الذى قاوم الاستعمار حيث كان.

وتحدث عنه معلما في دمشق (١٩٣٣) والعراق (١٩٣٦) وبيروت (١٩٣٧) وفى كلية الشريعة بدمشق، وفى مكة والرياض.. وتحدث عن الطنطاوي الفقيه الحنفي، الدارس للمذاهب الأخرى، وعن تعمقه في دراسة كل ماله صلة بالأحوال الشخصية، وقال: «وكان فقيهاً متسامحاً يتبنى خطة الوسطية والاعتدال في غير تفريط».

وتحدث عن الطنطاوي القاضي الشرعي، والقاضي الممتاز، والعضو في محكمة التمييز، وكان نزيهاً، عادلاً، بل قمة في النزاهة والعدل.

وتحدث عن الطنطاوي الأديب الذي حفظ الكثير من سور القرآن العظيم وآياته البينات، كما حفظ مئات القصائد من الشعر العربي من مختلف العصور، وقرأ أمهات الكتب وهو فتى.. قرأ في الأدب والتاريخ، وقرأ الأدب المترجم.

بدأ الكتابة محرراً في مجلة (الزهراء)، ثم كاتباً في الصحف

السورية والمصرية، وخاصة مجلة (الرسالة) التي ولاه صاحبها الزيات أمور تحريرها عندما مرض عام ١٩٤٧. وخاض المعركة إلى جانب الرافعي ضد العقاد، وكان كاتباً ساخراً، ومصوراً بارعاً، وناقداً بصيراً، وأديباً بليغاً، أسلوبه هو (السهل الممتنع) عينه، فيه بساطة محببة، وهو فيه فكه مؤثر.

إنه بحق أديب إسلامي محض، من أول سطر خطه، وأول كتاب أصدره، حتى آخر كتاب، وآخر كلمة كتبها في عمره المديد الذي وصفه بأنه حلم.. لاتجد فيما كتب إلا الإسلام وقيمه، وإلا الذياد عنه.

وتحدث عن الطنطاوي الخطيب المفوه الذي يهز أعواد المنابر، ويهز أعصاب سامعيه، ويحرك عقولهم، وقلوبهم، وقال:

كانت أول خطبة له ضد الاستعمار الفرنسي وهو فتى ابن أربع عشرة سنة.

- وكان أول من ألقى خطبة في مسجد الجامعة بدمشق.

ثم تحدث عن الطنطاوي الإعلامي فقال:

- عمل في الصحافة في وقت مبكر، وأصدر مجلة (البعث الإسلامي) عام ١٩٣١م.

وهي أول مجلة أدبية إسلامية تصدر في سورية.

- وهو من أول من تحدث مبشراً بالإسلام في إذاعة محطة الشرق الأدني التي كانت تبث من يافا.

أحاديثه في إذاعة دمشق في الخمسينيات وأوائل الستينيات أنجح أحاديث. استقطبت سائر السوريين، بما فيها من عفوية وصدق وإخلاص

- تفرغ، في السعودية، للعمل في الاذاعة والتليفزيون، فكان له:

(١) برنامج إذاعي يومي (مسائل ومشكلات) يرد فيه على أسئلة المستمعين.

(٢) برنامج تليفزيوني أسبوعي (نور وهداية) قدم فيه أنجح برنامج ديني باعتراف الجميع، على مدى ٢٥ سنة.

(٣) برنامج تليفزيوني يومي موسمي أيام شهر رمضان (على مائدة الإفطار) أسلوبه فيها كالشهد، كان فيها محدثاً بارعاً ندر نظراؤه فيمن سمعنا أحاديثهم ونسمع.. تغلغل في أعماق سامعية وأثر في عقولهم وقلوبهم.

رحيل . .

الدكتور سعد ظلام

عضو الشرف فى رابطة الأدب الإسلامى العالمية

كان الأستاذ الدكتور سعد ظلام عميد كلية اللغة العربية بالقاهرة جامعة الأزهر الذي رحل عن دنيا الناس في يوم الثلاثاء ١٠ من رجب سنة ١٤٢٠هـ الموافق ١٩ أكتوبر ١٩٩٩م، من ابناء الأزهر البررة الذين أحبوا التفاني في أداء الواجب العلمي والوطني وكانت له اهتمامات متعددة خارج النطاق الوظيفي بجامعة الأزهر، فكان حريصا على أن يشارك بالرأي في القضايا المثارة على الساحة الإعلامية والفكرية، والتصدي لبعض الهجمات الشرسة على العروبة والإسلام والمسلمين، ولم تقتصر جهوده على أداء واجبه داخل الجامعة بل امتدت خارجها، فكان عضوا بارزا في كثير من مؤسسات الفكر الديني والثقافي، فهو عضو في المجالس القومية المتخصصة، وفي اتحاد الكتاب، وفى المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وكان له وجود ظاهر بالرأي والفكر، كما كان يشارك في كثير من اللجان المتخصصة داخل جامعة الأزهر، ومن أشهر كتبه في الأدب «الحكاية على لسان الحيوانات» في شعر شوقي، ومن شعره الإسلامي «ديوان المدائح النبوية» وله كذلك كتاب كنوز السنة النبوية من جزءين، وأيضا العديد من المؤلفات القيمة. وهو صاحب قلم سيال، ومساهمات عديدة في كتابة المقالات التي نشرتها الصحف في مصر والوطن العربى، إلى جانب الكثير من المحاضرات والندوات بالداخل والخارج.

رحم الله الدكتور سعد ظلام لقاء ما قدمه لخدمة العلم والأدب.

. .والأستاذ الدكتور العبيسي

ودعت رابطة الأدب الإسلامي العالمية عالماً جليلاً، وبلاغياً فذاً، وخطيباً مفوهاً، وعنصراً نشيطاً في مكتب الرابطة بالقاهرة، الأستاذ الدكتور عبد الحميد محمد العبيسي، الأستاذ بجامعة الأزهر.. الذي انتقل إلى جوار ربه يوم الأحد ٢٠ من شعبان سنة ١٤٢٠ هـ الموافق ٢٨ نوفمبر ١٩٩٩م.. تغمد الله الفقيد بواسع رحمته، وأسكنه فسيح جناته.

من إصدارات أعضاء الرابطة

■■ كتابان جديدان عن إثنينية الشيخ عبد المقصود خوجه (عضو الشرف):

● **الغربال**: قراءة في حياة وآثار الأديب السعودي الراحل محمد سعيد عبد المقصود خوجه - والكتاب من تأليف حسين عاتق الغريبي.

يقع الكتاب في نحو ٤٠٠ صفحة مزود بملحق للصور. طبعة أولى - ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

جدة - السعودية.

● **حلم طفولي**: ديوان للشاعر سعد البواردي، يضم ٢٦ قصيدة متنوعة بين الشعر العمودي وشعر التفعيلة. طبعة أولى - ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

جدة - السعودية.

والجدير بالذكر أن الشيخ عبد المقصود خوجه يقوم بتكريم رجالات العلم والفكر والأدب في إثنينيته، ويطبع ما يقع عليه الاختيار من مؤلفات المكرمين.

■■ **الحمم**: ديوان شعر من الحجم الصغير يضم ٢٦ قصيدة من شعر التفعيلة للماني عدادي - مزكيتام - المغرب، طبعة أولى ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

■■ **زورق الأحلام**: ديوان شعر - لعبد الله الشهري، بتقديم زاهر الألمعي يضم ٢٥ قصيدة، يغلب عليها الشعر العمودي طبعة أولى - ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

الرياض - مطابع الحميضي.

■■ **ديوان الشافعي**: بتحقيق د. مجاهد مصطفى بهجت الأستاذ بجامعة بغداد، والجامعة الإسلامية بماليزيا.

صدر الديوان عن دار القلم بدمشق عام ١٤٢٠ هـ/١٩٩٩ وجاء في ١٧١ صفحة مع الدراسات وملاحق المصادر والفهارس.

■■ **دفء الليالي الشاتية - رواية**: للدكتور عبد الله صالح العريني، تقع في ١٥٨ صفحة، صدرت عن دار أشبيليه للنشر والتوزيع في الرياض - طبعة أولى ١٤٢٠هـ.

■■ ديوان «**من وراء الشفق**» للدكتور أحمد نفادي - يضم ٣٧ قصيدة، يغلب عليها شعر التفعيلة، صدر عن رابطة الأدب الحديث بتقديم رئيسها د. محمد عبد المنعم خفاجي القاهرة - مصر.

■■ ديوان «**هذا الضياء**» للدكتور عبد الغفار هلال، جمع وتبويب وتعليق الدكتورة فردوس نور علي حسين، من أبوابه: التوحيد - المدائح النبوية - الأحداث الإسلامية - المدح - الرثاء. جاء الديوان في ٣١٩ صفحة، وصدر عن دار الفكر العربي - القاهرة - مصر

■■ ديوان «**ثورة القوافي**» لمحيي الدين صالح ،يضم ١٣قصيدة في ٨١ صفحة من الحجم الصغير - صدر عن مركز الدراسات النوبية والتوثيق - القاهرة طبعة أولى - ١٩٩٨م.

■■ في سلسلة دراسات أدبية رقم (٥) صدر ديوان **الرحالة ابن جبير الأندلسي**، وماوصل إلينا من نثره.

جمع وتحقيق ودراسة الدكتور منجد مصطفى بهجت.

يحوي الديوان ٨٧ نصاً، بين قصيدة طويلة أو مقطوعة صغيرة أو بيت يتيم

إصدارات جديدة

في حوالي ٥٠٠ بيت، أما النصوص النثرية فبلغت تسعة نصوص. الجدير بالذكر أن الديوان صدر عن دار الرفاعي للنشر في الرياض، وكان صاحب الدار الشيخ عبد العزيز الرفاعي رحمة طلب إلى المحقق أن يعمل على جمع شعر ابن جبير برسالة أرسلها إليه عام ١٤١٠هـ.

■■ ديوان «**سر المحبة**» لشوقي جبر الكيلاني يضم ٦٥ قصيدة ومقطعة شعرية طبعة أولى - الرياض - السعودية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

■■ كتاب جديد للأستاذ عبد الرحمن علي فلاح بعنوان «**الشيوعية.. أفيون الشعوب**» في نحو ١٠٠ صفحة من القطع الصغير طبعة أولى - ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م. البحرين.

■■ كتاب «**مقالات في النقد الإسلامي - تأصيل وتجريب**» للدكتور سعيد الغزاوي في ١٦٧ صفحة صدر عن دار الأحمدية للنشر في الدار البيضاء - المغرب - طبعة أولى/ ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م.

■■ أرسل الدكتور عدنان وزان ثلاثة كتب في الأدب للمجلة هي:

● **اليهود في مسرحيات شكسبير**.. في ٢٥٥ صفحة صدرت الطبعة الأولى عام ١٤١٠هـ - ١٩٩٠ م عن الدار السعودية للنشر والتوزيع في جدة - السعودية.

● **فكر التنصير في مسرحيات شكسبير**.. في ٣٠٧ صفحات صدرت الطبعة الأولى عام ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م. عن دار إشبيليا للنشر والتوزيع في الرياض - السعودية.

● **صورة الإسلام في الأدب الإنكليزي** - دراسة تاريخية نقدية مقارنة.. في ٨٩٧ صفحة بمجلدين، صدرت الطبعة الأولى عام ٤١٩ هـ - ١٩٩٨م. عن دار اشبيليا للنشر والتوزيع في الرياض - السعودية.

■■ **على جواد المعلمي**.. كتاب لأشرف صلاح المهداوي، بإشراف د. محمد بن سعد حسين ضمن منهج البحث الأدبي.

يتحدث الكتاب عن الفريق الأديب يحيى المعلمي، حياته وأدبه النثري والشعري، مزود بملاحق ثلاثة عن: شعره، وقائمة مؤلفاته، وصور من حياته.

صدر الكتاب عن دار المعلمي للنشر طبعة أولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م. الرياض.

■■ **تراتيل حارس الكلأ المباح:** ديوان شعر صالح سعيد الزهراني من منشورات نادي الباحة الأدبي ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

■■ **سنام وصفية:** رواية في ١٩٨ صفحة من تأليف محمد القصاصي ـ ١٤١٨/١٩٩٧ الدمام.

■■ **الورقاء:** ضمت المفكرين والأدباء .. مجموعة الرسائل والمقالات التي كتبت بمناسبة تكريم الدكتور يوسف عز الدين في الطائف ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦.

جمعه عدنان المهنا ، وقدم له الأستاذ د. شوقي ضيف.

■■ سميح سرحان وإصداران له:

● مجموعة قصصية بعنوان «**من أضاع زواج ليلى**» في ١٤٦ صفحة من الحجم الصغير ضمت ١١ قصة قصيرة ـ مطابع الإشعاع.

● **آه ياوطن**.. مجموعة شعرية، بقصائد مختلفة ضمت حوالي ٣٠ قصيدة ـ مطبعة عكرمة ـ دمشق ـ سوريا

■■ ضمن منشورات نادي جازان الأدبي صدر كتاب «**جمجمة في ضوء الشمس**» في ٣٤١ صفحة، للأستاذ محمد عبد الواحد.

■■ كتاب «**واكا إلورن: فن أدبي اسلامي شعبي**» من إعداد مشهود محمود جمبا رئيس قسم اللغة العربية بجامعة إلورن في نيجيريا يتحدث الكتاب عن مفهوم «واكا إلورن» وعن تطوره عبر العصور، ومكانته في المجتمع الإلوري، وعن أبرز شعراء هذا النوع من الفن الشعري اليورباوي الإلوري الإسلامي العظيم».

■■ كتاب «**شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام**» تأليف د. النعمان عبد المتعال القاضي الطبعة الثالثة، الناشر دار المنارة في جدة، وجاء في ٣٦٩ صفحة من القطع الكبير.

■■ كتاب «**القصة التاريخية الإسلامية في مصر دراسة تحليلية نقدية مقارنة**» تأليف د. مسعد محمد الديب، وجاء في ٤٩٤ صفحة من القطع الكبير ط١ـ ٩٨م القاهرة.

■■ «**حنان**»: الرواية الأولى للأديبة زهرة إبراهيم البرناوي جاءت في ١٣٨ صفحة من الحجم الصغير.

■■ «**فتاوى البيوع في الإسلام**» هو الكتاب الثاني الذي وزعته مجلة الفرقان الكويتية إهداء إلى قرائها. وهو من إصدارات مشروع النشر الإسلامي.

■■ «**الأدب الإسلامي آفاق ونماذج**»: الكتاب الجديد للدكتور حامد طاهر نائب رئيس جامعة القاهرة صدر عن دار قباء للنشر، يتناول فيه مجموعة من القضايا الأساسية، مثل معايير الأدب الإسلامي وإحيائه ومصادره ومستقبله وعلاقته بالأجناس الأدبية والنقد المصاحب له.

■■ **أدب المهجر الشرقي**: من تأليف د. محمد بن عبد الرحمن الربيع وكيل جامعة الإمام محمد بن مسعود الإسلامية وذلك في سلسلة الدراسات الأدبية العدد (١) عام ١٩٩٩م، عن مركز الدراسات الشرقية ، جامعة القاهرة . يقع الكتاب في ١٥٨ صفحة من القطع الصغير.

■■ **دوريات:**

● مجلة **المشكاة** المغربية في عددها ٢٩.. ضمت ملفاً عن الاستشراق الرؤية والمنهج ـ القسم الثاني ـ بالاضافة إلى العديد من الدراسات والشعر والقصة.

● مجلة **المجمع العربي الباكستاني** ـ العدد الثالث ـ يرأس تحريرها الدكتور ظهور احمد أظهر رئيس المكتب الإقليمي لرابطة الأدب الاسلامي العالمية في باكستان.

● صدر العددان ٢٥و ٢٦ من **بيادر** عن النادي الأدبي في أبها.. ضم العددان موضوعات غنية ، وخص العدد ٢٥ لمرور مئة عام على فتح الرياض.

● **مرافىء** ـ العدد الأول من الدورية التي بدأ النادي الأدبي في جازان باصدارها. وضمت موضوعات أدبية ونقدية ودراسات تاريخية.

● **المنار الجديد**: العدد السادس. والمنار الجديد التي تصلنا لأول مرة تضم مقالات وأبحاثاً في فلسفة الدين وشؤون الاجتماع والعمران.

وتصدر عن دار المنار الجديد للنشر والتوزيع في القاهرة بالتعاون مع التجمع الإسلامي في أمريكا الشمالية .. والأستاذ جمال سلطان هو المشرف العام على المجلة.

■■■

الأدب الإسلامي تخاطب العقل والقلب والضمير

إلى السيد المكرم سماحة الشيخ..
أبى الحسن على الحسني الندوي
المشرف العام على مجلة الأدب الإسلامى
تحية طيبة مباركة، وبعد

لعل الجيل الجديد من أبناء الصحوة الذين نهلوا من معين هذا الدين وارتووا من ينابيع عطائه، أدركوا بما لايدع مجالاً للشك أن الصراع بين معسكر الحق ومعسكر الباطل قائم، ولايكفي أن نلتزم بالعبادات المختلفة، لنقول بعدها إننا مسلمون.

فطبيعة الصراع تحتم على كل مسلم أن يكون مجنداً ومسلحاً بشتى أصناف المعرفة، وأن يكون على علم بما يجري ويدور في محيطه وفي العوالم الأخرى، فهذه الثقافات المتعددة الأشكال لانستهين بقدرتها وقيمتها لأنها تمثل المفصل في حياة الناس، ولذا وجب التذرع والتزود والنهل من كل معين ضاف فيه ما يشفي الغليل وما يثلج الصدر.

ولعل هذه المؤسسات والدور العتيقة التى نشأت في بلاد الإسلام تمثل رافداً معرفيا يحب النهل من معين عطائه.

فمجلة الأدب الإسلامي.. الصادرة عن رابطة الأدب الإسلامي العالمية من المجلات التي لقيت القبول عند النخبة من أبناء الإسلام. لأنها تخاطب العقل والقلب والضمير فى آن جميعاً.

محمد بن زعبار
جامعة باتنة ـ الجزائر

تفتح صدرها للكلمة المجنحة الطاهرة

الأخ العزيز: رئيس مكتب البلاد العربية لرابطة

تقارير القراء

■■ لقد اطلعت على مجلتكم الموقرة التي استقرضتها من بعض أقرب الزملاء إليّ فأعجبتني كثيرا موضوعاتها الثمينة وانشرح صدري بقراءة مافيها من الدراسات الأدبية وبعض المتابعات النقدية الجريئة بأسلوب علمي حسن ومشوق مما يبعد الملل ويثري الرغبة على متابعة القراءة بشغف ومتعة وتجعل القارىء يتفيأ ظلالها ويقتطف ثمارها ويرتشف رضابها.

وهي بذلك تعد خطوة رائدة على طريق التأصيل الإسلامي الوضيء إنني أحيّي هذه المجلة القيمة وأحيي القائمين عليها سائلا المولى عز وجل ان يجازي الإخوة القائمين عليها بالخير العميم وأن يشرح بها القلوب والصدور وينفع بها كل من اطلع عليها وهو نعم المولى ونعم النصير.

رضوان بوزيدي
الجزائر

○○○

■■ سعادة الأستاذ الدكتور عبد القدوس أبو صالح الموقر حفظه الله
رئيس تحرير مجلة الأدب الإسلامي الغراء
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

فإنه لايفوتني بداية الثناء والشكر لشخصكم والعاملين معكم بمجلة الأدب الإسلامي لهذا الجهد المبذول والواضح في المجلة بما حملت من مواد خصبة تعلن بوضوح لكل مكابر عمق الأدب

الإسلامي وقوته ـ وأيضا القدرة على الجمع بين الأصالة والمعاصرة ـ بما لهذا من أثر طيب على المتلقين على اختلاف أذواقهم.

فلقد جاءت الدراسات والإبداعات على درجة عالية من النضج والحصافة والدقة ـ تتبدى فيها الروعة عمقاً ووضوحاً ـ لتنفي نفياً قاطعاً أي شبهة مغرضة مما يحاك حول الأدب الإسلامي ويبين آفاقه الواسعة، لأولئك الذين جهلوه فاستسهلوا نزق الكتابة وعماية النقد.

ولكم خالص الشكر وجزيل الاحترام والمودة مع دعائي بدوام التوفيق والسداد والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أحمد عبد الحفيظ شحاته

عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية

عضو اتحاد الكتاب المصري.

الأدب الإسلامى العالمية.. المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركات.

منذ أيام قلائل وقع في يدي عدد من أعداد مجلة الأدب الإسلامي كان قد بعث به إليّ أخ فى المملكة العربية السعودية الأمر الذى سرنى كثيراً فلم أكن أعلم من قبل أن للأدب الإسلامي مجلة فصلية تنطق باسمه وتعرض إبداعات رواده وتفتح صدرها بكل ترحاب للكلمة المجنحة الطاهرة النقية لتنتشر في مشارق الأرض ومغاربها، تتلقفها بلهفة وشوق مشاعر ظامئة، ضاقت ذرعاً بالأدب الوثني، والكلام الرخيص، ومما زاد من سروري وفرحي أن المجلة ليست وحدها في الساحة وإنما تعضدها أخوات لها أربع وهن

قافلة الأدب الهندية والتي تصدر بالأردية

منار الشرق التي تصدر في بنغلاديش باللغة العربية

الأدب الإسلامي تصدر في استامبول باللغة التركية والمشكاة المغربية

فلله الحمد وحده أن قيض للكلمة الطاهرة رجالا اضطلعوا بهذه المهام الجسيمة فبارك الله فيكم وثبت خطاكم على طريق الخير

محمد سعيد سالم المعاري

حضرموت ـ الشحر

التعليم الثانوي

فليبارك الله «الأدب الإسلامي»

الأستاذ الدكتور عبد القدوس أبو صالح الموقر

رئيس تحرير مجلة (الأدب الإسلامي) الغرّاء

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد..

يسعدني أن أكتب لكم معبرا عن تقديري، وامتناني بما تقدمونه من جهود مخلصة وعظيمة فى سبيل إخراج وإصدار مجلتنا الرائدة «الأدب الاسلامي».. ففي كل مرة تطالعنا بخيرة ما انتجته العقول الاسلامية ، وماتجود به الأقلام لأدباء ومفكرين ومبدعين وباحثين من أمتنا الإسلامية بمقالات وقصائد وموضوعات وأبحاث متنوعة تربط ماضينا بحاضرنا.

ولايسعنا إلا أن نزجي الشكر العميق مقدرين ومثمنين هذا العمل الإنساني الذي يتراءى لنا في كل عدد بالصورة الفنية الرائعة والكلمة الدالة الواعية، من منطلق أداء الرسالة التي أوليتموها أمانة في الحياة ومسلكا في التعامل لأداء دوركم الرائد.

ليس هذا فحسب ، بل غدا الالتزام نابعاً من الأعماق

بريد الأدب الإسلامي

لاسيما ما تعرضونه حاكيا لمآثر الثقافة الإسلامية، وتراثها الخالد أمام التيارات المستوردة والغازية بالفكر المنحرف، واضعين النقاط فوق الحروف بكل الثقة فيما تقدمونه لنا من ثقافة رفيعة.

نقول إننا بحق أمام مجلة عربية رصينة متميزة المضمون، تمد بجذورنا إلى ماضينا العريق وتهيئنا لحاضر ذى أساس علمي في زاد فكري قيم، وبصلابة المتدرب الذي استقى علومه من أسسه العريقة، ويعود بجذوره إلى حضارته الإسلامية الخالدة، فليبارك الله (الأدب الاسلامي) والمقيمين عليها، وأسرة تحريرها، وتفضلوا بقبول وافر الاحترام والتقدير.

مع خالص الود

أخوكم: أ.د. نبيل سليم على
أستاذ الجراحة ومستشارها بكليتي الطب
جامعتا الإسكندرية والقناة

ووفقكم لما فيه خير أمتنا إنه سميع مجيب.

لسان الحق والقول البديع
ونهج الخير والحصن المنيع
مجلتنا وأنعم في رجال
لها درع عن الأدب الوضيع
أزف تحيتى وأقول إني
بكم أسمو إلى الأفق الرفيع

عبدالعزيز محمد اليحيان
مديرية الزراعة والمياه
محافظة الدوادمى ـ السعودية

أجد في مجلتكم الطود والأشم

أستاذي الكريم د. عبد القدوس أبو صالح سلمه الله
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد..

فأشهد الله أني أحبكم في الله وأجد في مجلتكم الطود الأشم للوقوف امام السيل الجارف من الأدب المنحط المطعم بالصور الماجنة التي لاتزيد شقاء أمتنا إلا شقاء ولاتأخذ بيدها إلا إلى طريق التخلف والانحطاط وإنني من خلال هذه الرسالة المتواضعة لأؤكد دعمي لكم وأضع يدي بأيديكم سدد الله خطاكم

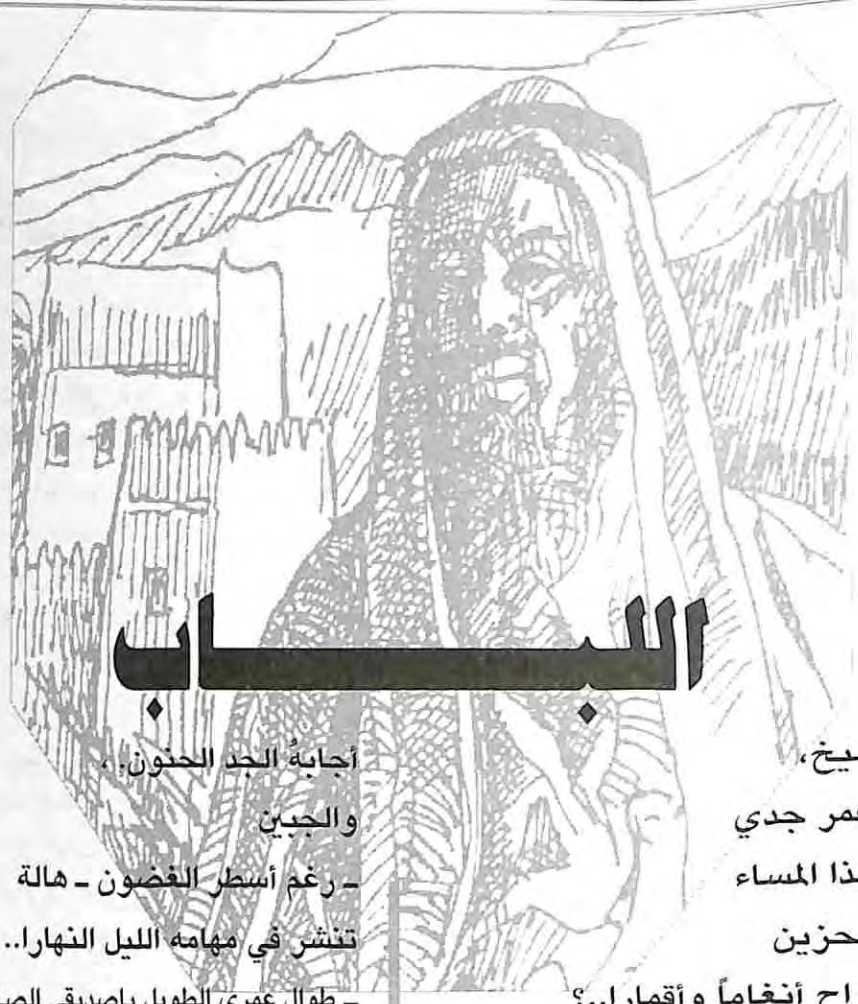

اللبـــاب

يا أيها الشيخ،
الذي فى عمر جدي
كيف فى هذا المساء
الموحش الحزين
تطلق الأفراح أنغاماً وأقمارا..؟
ياجدي السعيد قل لى:
كيف والسنون قد تكالبت عليك،
دونت في هذه الغضون،
ذكريات كرِّها،
وامتصت الرحيق والثمارا
وكيف تبعث الشذا
وما يضم غصنك القاحل الزَّهر؟
وكيف من هذي الشفاه الذابلات.
ترسل الطيور شدوها..،
هل تعشق البلابل القفارا..؟
وكيف يا(أبا أبي)
بالرغم من عودي الصبي
تعتصر الأحزان قلبي اعتصارا .؟
●●●

أجابهُ الجد الحنون:،
والجبين
ـ رغم أسطر الغضون ـ هالة
تنشر في مهامه الليل النهارا..
ـ طوال عمري الطويل ياصديقي الصغير لا أرى..
في رحم الظلام غير بسمة السنا..
وكنت إن دنا..
من دوحتي الخريف وانبرى..
يجعِّد الإهاب.
ينزع الثمار..،
يطفيء الندا
أروي اللباب..،
من ينابيع الهدى ..،
فينتشي القلب اخضرارا..
فما اندهاش صاحبي الصغير..،
فرغم سبعين خريفاً..،
ينشر الأقمار في الدجى
ويرسل الشذى..،
ويطلق الأطيارا..

شـــعر:
أحمد محمود مبارك

«التناص».. في رأي ابن خلدون

مازال النقد الأدبي العربي، يتحرك في مكانه، إن لم يكن متأخرا عن مواكبة المشهد الأدبي على اختلاف أجناسه، وهو في أكثر الأحيان، يدور في فلك نظرية النقد الأوربية وما يصدر عن ـ النقد الأوربي ـ من مصطلحات وتعميمات، يتم استيعابها وتطبيقها في «ليّ» النص الأدبي، ليأتى النص ـ متطابقاً وفق أدواته النقدية ومبتغاه، أو قراءة النص الأدبي وفق نظرية «انتقائية» يخدم رأيه النقدي، ويستر به القصور الموجود في الأداة عند البحث والتقصي وليس من الطبيعى أن يقوم النقاد العرب باستخدام الفكر النقدي الذي يتم «ترويضه» بغية «تأصيله» ولمقاربة النصوص العربية الإبداعية، و«المقاربة» لاتتسم بالشمولية والموضوعية، والنتيجة تسطيح وتمييع وتشويه يصيب النص الإبداعي جراء «المقاربة» و«الانتقاء» في التعامل مع النصوص الجديدة وما تحمل من دلالات في الرؤية.

و«التناص» مصطلح حداثى، وأكثر المصطلحات إشكالية واختلافاً بين النقاد الأوربين أنفسهم، وبين النقاد العرب ايضا عن مدى مشروعيته وموضوعيته، من عدمه، ولكل فئة مسوغاتها التى تسوقها فى سياق البحث والدراسة.

و«التناص» يدرج على الأغلب، على أنه إشكالية الكتابة بكتابات أخرى ـ أي ـ التعويل على غيره في الكتابة، ولكن بقليل من التوسع والإضافة، هذا ما يذهب اليه رهط من النقاد والباحثين في مجال الفكر النقدي.

وما من كتابة مبتكرة خالصة مائة بالمائة، دون أن تكون متأثرة بغيرها، بل هو امتزاج بين «الأنا» و«الآخر» السابق عليه ليكون في الأخيرة نصاً جديداً إلى جانب النصوص الإبداعية الأخرى.

كل كاتب يتجه نحو الكتابة الإبداعية ـ بالضرورة في سياق قراءته لنصوص أدبية لها حضورها المميز، وكنموذج إبداعي فيما يفتح من آفاق ومناخ جديد في فضاء المشهد الأدبي، من حيث الرؤية والصورة والبناء والجمالية والموسيقى.. الخ.

أي أن التأثر بالنص الجديد، هو حالة طبيعية، لما يتركه هذا ـ الجديد ـ من تأثير وقوة على الآخر، فالإنسان لايولد شاعراً ولاقاصاً ولا موسيقياً، ولكن بحكم قراءته ومطالعته يزداد مخزونه الثقافى، ومع مرور الأيام تصقل موهبته.

وقد عالج هذه الإشكالية المفكر العربي ابن خلدون، عندما كان ينصح الشعراء قبل أن يكتبوا الشعر، ولكى يكتب يقول «الحفظ من جنسه، أي من جنس شعر العرب، حتى تنشأ في النفس ملكة ينسج على منوالها (...) ثم بعد الامتلاء من الحفظ وشحذ العزيمة للنسج على المنوال يقبل النظم وبالإكثار منه تستحكم ملكته وترسخ، وربما يقال: إن من شروطه نسيان ذلك المحفوظ لتمحى رسومه الحرفية الظاهرة، إذ هى صادرة من استعمالها بعينها، فإذا نسيها ، وقد تكيفت النفس بها، انتقش الأسلوب فيها، كأنه منوال يأخذ النسج عليه بأمثالها (...) فذلك أجمع له، وأنشط للعزيمة أن تأتي بمثل المنوال الذي في حفظه المقدمة ـ [الفصل الخامس والخمسون ص١١٩٧ ـ ١١١٠].

ويقول د. عبد الملك مرتاض عن هذا النص الخلدونى العجيب ـ يندرج ضمن نظرية «التناص» المبكرة عند العرب، وإذا لم يطلق الشيخ مصطلح «التناص» على ذلك، فذلك لا يعني أنه كان غير واع بنظرية التناص التي فتن الناس بها في العصر الحاضر، فلقد كان يمارس هذا الكلام صميم التنظير لهذه المسألة، كما كان متفهماً لها ، فلقد انتهى الشيخ إلى أنه على الأديب أن يقرأ كثيراً، ويحفظ أكثر، ثم ينسى ذلك ويتناساه ليستقر في لا وعيه فيغترف منه لدى الكتابة، فيظن أنه جاء بالجديد كل الجديد بينما هو لايعدو كونه صورة لمقروءاته ومحفوظاته..[الموقف الأدبي العدد ٣٣٠ ص١٧].

ثم يتساءل د. عبدالملك مرتاض «أو ليس هذا هو التناص؟ أوليس هذا هو حوار النصوص السابقة مجسدة في النص الحاضر المكتوب، فيما يزعم الحداثيون الغربيون على الأقل».

محمد طه حسين

كشاف مجلة: الأدب الإسلامي

١ ـ فهرس الموضوعات

المجلد السادس ـ الأعداد (٢١ ـ ٢٤) ١٤١٩ ـ ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٨ ـ ١٩٩٩م

مسلسل	عنوان الموضوع	الكاتب	العدد/ الصفحة
أ)	**الافتتاحية:**		
١ـ	رابطة الأدب الإسلامي والسياسة	رئيس التحرير	١/٢١
٢ـ	الذوق الأدبي	رئيس التحرير	١/٢٢
٣ـ	مؤتمرات ثلاثة	رئيس التحرير	١/٢٣
٤ـ	واكتمل عام الحزن	رئيس التحرير	١/٢٤
ب)	**الأقلام الواعدة:**		
١ـ	أديب غني خير من غني أديب «مقال»	علي بن محمد العربي	١٠٠/٢١
٢ـ	أرحنا بها يا بلال «شعر»	عبدالعظيم فوزي	٨٣/٢٤
٣ـ	حوائط وبشر «خاطرة»	زهراء الظفيري	٨٩/٢٢
٤ـ	زمن لا أدري «خاطرة»	أم مجاهد	١٠١/٢١
٥ـ	الزورق المقلوب «قصة قصيرة»	محمد فتحي حامد	٩٨/٢١
٦ـ	ظمأ «شعر»	هشام القاضي	٩٠/٢٢
٧ـ	عنترة يبكي على أطلال القدس «شعر»	مصطفى السواحلي	٨٧/٢٢
٨ـ	في محراب الظلام «شعر»	علي بن جبريل	٨٤/٢٤
٩ـ	قراءة في بريد الأقلام الواعدة	د/ حسين علي محمد	٨٦/٢٢، ٨٠/٢٤
١٠ـ	للغربة حسنات «خاطرة»	زهراء الظفيري	٨٩/٢٢
١١ـ	مرآة في وجه الزمن «شعر»	بكر موسى هوساوي	٨٤/٢٤
١٢ـ	مفاتح الفجر «شعر»	محمد أمين البساطي	٨٥/٢٤
١٣ـ	هشام القاضي صوت شعري جديد		٩٦/٢١
١٤ـ	هم قادمون «قصة»	عبدالله معدي القحطاني	٨٢/٢٤
١٥ـ	يوم ليس كبقية الأيام «خاطرة»	آمال بنت أحمد باشماخ	٩٩/٢١
ج)	**بريد الأدب الإسلامي:**		
١ـ	أجد في مجلتكم الطود الأشم	عبدالعزيز محمد اليحيان	٩٨/٢٤
٢ـ	الأدب الإسلامي في قلوبنا وعقولنا	محمد همام	١١٠/٢٢
٣ـ	أعدادكم كنوز لا أفرط فيها	زهرة البرناوي	١١١/٢٣
٤ـ	أنتم منبر متميز	محمد طه حسين	١١٠/٢٣
٥ـ	تخاطب العقل والقلب والضمير	محمد بن عمار	٩٦/٢٤

٦-	تسدون ثغرة هامة	محمد أحمد فقيه	١١٠/٢٣
٧-	تفتح صدرها للكلمة المجنحة الطاهرة	محمد سعيد سالم المعاري	٩٧/٢٤
٨-	ثمرة البذور الإيمانية	محمود محمد بكار	١١١/٢٣
٩-	خطوة رائدة	رضوان بوزيدي	٩٦/٢٤
١٠-	دعم الأدب واجب	أحمد محمود مبارك	١١١/٢٢
١١-	صححت أوضاعاً ورسخت أفكاراً	الشيخ عثمان الصالح	١١٠/٢٣
١٢-	فليبارك الله الأدب الإسلامي	د. نبيل سليم علي	٩٨/٢٤
١٣-	القدرة على الجمع بين الأصالة والمعاصرة	أحمد عبدالحفيظ شحاته	٩٧/٢٤
١٤-	مجلة الأدب الإسلامي نوافذ على آفاق رحبة	محمد علي القرة داغي	١١٠/٢١
١٥-	مجلة الأدب الإسلامي والعالمية	مصطفى أحمد النجار	١١٠/٢١
١٦-	مجلتكم خدمة للأدب والثقافة	د. بن عيسى باطاهر	١١١/٢٢
١٧-	هذا حال عاشق الأدب	محمد الغمراوي	١١٠/٢٢
١٨-	واجتمعت في مجلتكم كل الحسنات	جمال بن فضل محمد الحوشبي	١١١/٢٢
١٩-	يجمعني بكم التآخي	أحمد زاوي	١١٠/٢٢

د) ردود ومناقشات:

١-	تعقيب على قصيدة «دموع من أجل ليلى».. لفواز الشروقي	سامر محمد البارودي	٨٤/٢٢
٢-	تعقيب على مقال «عزالدين بن عبدالسلام» للدكتور عبده بدوي	عبدالله الدوسري	٥٩/٢٣
٣-	حي بن يقظان أدب إسلامي «رد على التعقيب»	عبدالتواب يوسف	٨٧/٢١
٤-	حي بن يقظان والأدب الإسلامي «تعقيب»	لطف الله خوجه	٨٦/٢١
٥-	المثقفون والأدب الإسلامي	د. سعد أبوالرضا	٥٦/٢٣
٦-	مرة أخرى: تعقيب على قصيدة «دموع من أجل ليلى» ـ قدر وعفة ـ «شعر»	سليم عبدالقادر	٧٤/٢٤

هـ) رسائل جامعية:

١-	الصبغة الإسلامية عند شعراء البادية المخضرمين	سحر حسن أشقر	٧٦/٢٤
٢-	الشيخ أبوالحسن الندوي في رسالة جامعية	د. منجد مصطفى بهجت	٧٥/٢٤
٣-	عمر بهاء الدين الأميري حياته وشعره	د. خالد بن سعود الحليبي	٩٢/٢١

و) الشعر:

١-	الأدعياء والشعر	علي فريد	٣٤/٢٣
٢-	أصداء من سيرة الضوء والظل	د. صابر عبدالدايم	٤٨/٢٢
٣-	إلى مصر..تحية ووفاء	د. عدنان النحوي	٢٦/٢٤

٤-	أمران أمرهما..حلو	سعيد ساجد الكرواني	٣٨/٢٣
٥-	انهضي ياكوسوفا..	علي بودريميا	
	من الأدب الإسلامي الألباني	ترجمة عبداللطيف أرناؤوط	٨٠/٢١
٦-	بل أنت	د. حيدر الغدير	٥٩/٢٤
٧-	تحية للشيشان	محمد الحسناوي	٥/٢٤
٨-	الحنين إلى الوطن	خليفة بن عربي	٥١/٢٣
٩-	الشاعر إقبال بين جدران الأقصى	محمد التهامي	١٤/٢٣
١٠-	عبور الأربعين	د. وليد قصاب	٢٧/٢٣
١١-	غناء أبوي	د. عبده محمد بدوي	٢٥/٢٢
١٢-	الفارس	د. عبدالكريم المشهداني	٥٣/٢٤
١٣-	فقد الجلاد عقله..	ألقاي ضوروي رجب أوعلو	
	من الأدب الإسلامي المعاصر في كوسوفا	ترجمة تسنيم محمد حرب	٨١/٢١
١٤-	في تاريخ السعودية: المائة تساوي الألف	محمد التهامي	١٢/٢١
١٥-	اللباب	أحمد محمود مبارك	٩٧/٢٤
١٦-	ليلى إنسان	أنور عدي	٩١/٢١
١٧-	المسرى	داوود معلا	٧٦/٢٢
١٨-	مع القمر	خالد بيطار	٨٤/٢١
١٩-	من سفر الإباء	محمد ماجد خطاب	٧٣/٢١
٢٠-	من عذراء سراييفو: النداء الأخير	عبدالرحمن فرحانة	٤٦/٢٣
٢١-	من مواجع الزهر	محمد شلال الحناحنه	٢٩/٢١
٢٢-	المواجهة	راضي صدوق	٤٥/٢٢
٢٣-	وصية إلى ابنتي	محمد سعيد المولوي	٧٨/٢١
٢٤-	وطني الحبيب	عبدالله ناصر العويد	٧٠/٢٤
٢٥-	يانفحة الطهر	د. عبدالله المسعود	١٩/٢٢
٢٦-	يبدأ الفتح	جودت أبوبكر	٥٩/٢١

ز) القصة:

١-	امرأة عاملة	حميدة قطب	٢٠/٢٢
٢-	جعفر الطيار	متولي الشافعي	٦٠/٢١
٣-	خواطر ظهيرة	بشرى حيدر	٥٤/٢٣
٤-	درس في التاريخ	أحمد المزاري	٥٠/٢٢
٥-	صرخة في حلق رجل مات	عبدالجواد الحمزاوي	٣٠/٢٣
٦-	العربة أمام الحصان	سلام أحمد إدريسو	٥٢/٢١
٧-	في المرآة	يوسف الغزو	٢٩/٢٤
٨-	قصة من ماضي الجهاد الأفغاني	د. محمد أمان صافي	٦٠/٢٤

٩-	مازلت على قيد الحياة	حيدر قفة	٤٦/٢٤
١٠-	هبني اسماً	منى الحجيلي	٥٠/٢١
١١-	الوداع الأخير	راشد حسين سليم	٣٦/٢٣
١٢-	الوهم	د. عماد الدين خليل	١٦/٢٣

ح) لقاء العدد:

١-	حوار مع الأستاذ عبدالتواب يوسف	التحرير	٣٨/٢٤
٢-	حوار مع الكاتبة الأديبة سهيلة زين العابدين	التحرير	٢٢/٢١
٣-	حوار مع رئيس التحرير د. عبدالقدوس أبوصالح	د. غريب جمعة	٢٦/٢٢

ط) المسرحية:

١-	السعادة وبائع الوهم	علي الغريب	٢٤/٢٣
٢-	الغلام الصدوق «مسرحية شعرية»	حيدر مصطفى	٤٨/٢٣
٣-	كسوة العيد	على أحمد باكثير	٥٦/٢٤
٤-	المشرك الأول	علي أحمد باكثير	٧٤/٢١

ي) المقالات والبحوث:

١-	آيتماتوف القرغيزي، وضاغجي القرمي.. من قمم الروائيين الإسلاميين	د. محمد حرب	٤٠/٢٢
٢-	أحمد محرم بين التجديد والتقليد	د. محمد رجب البيومي	١٤/٢١
٣-	أدب الطفل من منظور إسلامي «السندباد والمعلم الصالح»	د. عبدالحميد إبراهيم	١٤/٢٢
٤-	أدبنا القديم ونظرية التلقي	د. غازي طليمات	٤/٢٣
٥-	اقرأ	نافذة الحنبلي	٩١/٢٢
٦-	أيهما السابق في التجديد والشعر الحديث	د. يوسف عزالدين	١٦/٢٤
٧-	«بدوي في أوربا» ..رواية جمعة حماد ـ دراسة نقدية	د. عودة الله القيسي	٥٦/٢١
٨-	البعد الإسلامي للانتفاضة في ديوان «نقوش إسلامية على الحجر الفلسطيني».. لمحمود مفلح	د. خليل أبودياب	٤٤/٢١
٩-	خصائص الأدب الإسلامي في مطولة إقبال	د. عبدالباسط بدر	٢٠/٢٤
١٠-	دراسة نص شعري: «الحب والصحراء».. لذي الرمة	د. عبده محمد بدوي	٣٠/٢٤
١١-	الدكتور شكري عياد وخدمة التراث	د. سعد أبوالرضا	٥٤/٢٤
١٢-	دور مسدس حالي في الحياة الاجتماعية في شبه القارة الهندية	د. جلال السعيد الحفناوي	٧٢/٢٢
١٣-	الرواية المضادة دعوة للإباحية وطعن في الإسلام	د. حلمي محمد القاعود	٢٠/٢٣
١٤-	الصورة والتصور في شعر قاسم الوزير	د. محمد أبوبكر حميد	٥٢/٢٢

١٥-	عزالدين بن عبدالسلام	د. عبده بدوي	٥٦/٢١
١٦-	قراءة أولى في ديوان «وردة في فم الحزن»	د. محمدين محمدين يوسف	٤٠/٢٣
١٧-	قراءة في قصة: «مازالت على قيد الحياة».. لحيدر قفة	د. مصطفى عليان	٤٨/٢٤
١٨-	قراءة في كتاب «الصحابي الجليل عبدالله بن الزبعري».. لمحمد علي كتبي	د. عبدالباسط بدر	٤٦/٢٢
١٩-	القصيدة الإسلامية المعاصرة في المغرب	حمداوي جميل	٧٨/٢٢
٢٠-	قضية المصطلح في النقد الأدبي الإسلامي	د. عبده زايد	٤/٢٤
٢١-	كيف يواجه الأدب الإسلامي تحديات العصر ومحاولات الغزو الفكري	أحمد فؤاد حسن	٣٢/٢٣
٢٢-	محمد إقبال رائد التجديد	علاء الدين حسن	٢٨/٢٣
٢٣-	مستويات الاقتراض في نقد الشعر المعاصر	د. سعد أبوالرضا	٤/٢١
٢٤-	مفهوم الالتزام الأدبي في أعمال يحيى الحاج يحيى للأطفال	د. أحمد الخراط	٤٠/٢١
٢٥-	مقاربة نقدية لرواية «الإعصار والمئذنة».. لعمادالدين خليل	محمد رشدي عبيد	٣٦/٢١
٢٦-	ملامح التوجه الإسلامي في ديوان «حدائق الصوت».. لحسين علي محمد	عبدالمنعم عواد يوسف	٦٢/٢١
٢٧-	من الأدباء الإسلاميين: محمد عاكف أرصوي	د. غريب جمعة	٣٠/٢١
٢٨-	المنهاجية الخلقية للشاعر المسلم	محمد علي وهبة	٥٢/٢٣
٢٩-	النقد الأدبي ودوره في تحقيق الهوية الإبداعية	د. ناصر الرشيد	٤/٢٢
٣٠-	هل للإسلامية منهجها المتميز.. ومنهجها الخاص.. في الدراسة الأدبية؟	د. عماد الدين خليل	٣٤/٢٢

ك) مكتبة الأدب الإسلامي:

١-	السحار رحلة إلى السيرة النبوية.. تأليف محمد جبريل.	د. حسين علي محمد	٧٢/٢٤
٢-	في النقد التطبيقي.. تأليف الدكتور عمادالدين خليل.	شمس الدين درمش	٨٣/٢٢
٣-	القصائد الإسلامية الطوال في العصر الحديث.. تأليف د.حلمي القاعود.	فرج مجاهد عبدالوهاب	٧٣/٢٤
٤-	كتب وقضايا في الأدب الإسلامي.. تأليف د. حسين علي محمد.	د. محمد حجازي	٨٢/٢٢
٥-	مقدمة في نظرية الشعر الإسلامي المنهج والتطبيق..		
٦-	تأليف عباس المناصرة.	كمال عفانة	٨٥/٢١

ل) من أخبار الأدب الإسلامي:

١-	افتتاح مكتب الرابطة في الرياض	التحرير	١٠٢/٢٣
٢-	أمسيات شعرية - الأردن	التحرير	١٠٢/٢٢
٣-	أمسية شعرية بمناسبة عزوة بدر في القاهرة	التحرير	١٠٢/٢١
٤-	إنا لله وإنا إليه راجعون	التحرير	١٠٧/٢٣ - ٩٢/٢٤
٥-	برنامج سنوي للأدب الإسلامي	التحرير	١٠٢/٢٣
٦-	برنامجان عن الأدب الإسلامي في قناة الشارقة.	التحرير	١٠٢/٢٢
٧-	البقاء لله	التحرير	١٠٧/٢١ - ١٠٧/٢٢
٨-	تقرير حول نشاط حلقة الرابطة في البحرين.	التحرير	١٠٥/٢٣
٩-	تكريم د. عبدالباسط بدر في اثنينية الشيخ عبدالمقصود خوجه.	التحرير	٨٨/٢٤
١٠-	تكريم محمد علي الهاشمي.	التحرير	١٠٣/٢٢
١١-	تكريم د. مصطفى الشكعة.	التحرير	١٠٣/٢٢
١٢-	توصيات مؤتمر الأدب الإسلامي في خدمة الدعوة.	التحرير	١٠٥/٢٢
١٣-	جائزة حسن الأمراني في الإبداع الأدبي - المغرب.	التحرير	١٠٠/٢٢
١٤-	جائزة الشخصية الإسلامية للشيخ أبي الحسن الندوي.	التحرير	١٠٥/٢١
١٥-	جائزة للأدباء الشباب.	التحرير	١٠٢/٢٣
١٦-	سحر حسن أشقر تحصل على الماجستير.	التحرير	٨٩/٢٤
١٧-	عودة مجلة الأدب الإسلامي التركية إلى الصدور.	التحرير	١٠٤/٢١
١٨-	كتب وصلت إلى المجلة	التحرير	١٠٩/٢١- ١٠٨/٢٣ - ٩٤/٢٤
١٩-	مؤتمر الأدب الإسلامي بين الواقع والطموح - الأردن	التحرير	٩٢/٢٢
٢٠-	مؤتمر الأدب الإسلامي في خدمة الدعوة بجامعة الأزهر ورابطة الجامعات الإسلامية	محمد عبدالشافي القوصي	٦٠/٢٣
٢١-	مؤتمر الهيئة العامة الخامس لرابطة الأدب الإسلامي العالمية بجمعية الشبان المسلمين بالقاهرة	التحرير	٨٨/٢٣
٢٢-	محاضرة «أدب الأطفال في الإسلام» ـ الأردن	التحرير	١٠٢/٢٢
٢٣-	مشروع معجم أدباء العرب الإسلامي	التحرير	١٠٢/٢٣
٢٤-	مكتب عمان: ندوة تكريم محمد المجذوب ومصطفى الزرقا وعلي الطنطاوي	التحرير	٨٩/٢٤
٢٥-	مكتب القاهرة يلتقي مع رئيس تحرير «عقيدتي»	التحرير	١٠٣/٢١
٢٦-	الملتقى الدولي الأول للأديبات الإسلاميات بمقر جمعية		

	الشبان المسلمين بالقاهرة	محمد عبدالشافي القوصي	٧٠/٢٣
٢٧-	الملتقى الدولي للأدبيات الإسلاميات ـ مصر	التحرير	١٠٠/٢٢
٢٨-	الملتقى الصيفي للشباب	التحرير	١٠٢/٢٣
٢٩-	من إصدارات أعضاء الرابطة	التحرير	١٠٨/٢١ - ١٠٨/٢٢ - ١٠٦/٢٣ - ٩٣/٢٤
٣٠-	مناقشة تعديلات النظام الأساسي للرابطة في الأردن.	التحرير	١٠٥/٢١
٣١-	نادي الأدب الإسلامي.	التحرير	١٠٢/٢٣
٣٢-	ندوة الأدب الإسلامي في خدمة الدعوة ـ مصر.	التحرير	٩٩/٢٢
٣٣-	ندوة عن الشعر الإسلامي في عمان.	التحرير	١٠٤/٢٣
٣٤-	ندوة القصة في الأدب الإسلامي في الهند.	التحرير	١٠٢/٢١ - ٩٦/٢٢
٣٥-	ندوة المرأة والمجتمع: دور عائشة عبدالرحمن ـ بنت الشاطئ ـ المغرب	التحرير	١٠١/٢٢
٣٦-	نشاط أدبي لحلقة الرابطة في البحرين	التحرير	١٠٤/٢١
٣٧-	النشاط الأدبي والثقافي لمكتب الأردن	التحرير	١٠٤/٢٣
٣٨-	نشاط ثقافي في كلية الآداب بجامعة وجدة في المغرب	التحرير	١٠٣/٢١
٣٩-	نشاطات مؤسسة الدفاع الثقافية المغرب	التحرير	١٠١/٢٢
٤٠-	نشاطات متنوعة لمكتب تركيا	التحرير	١٠٥/٢٣
م)	**من تراث الشعر:**		
١-	الجبل الحكيم	ابن خفاجة	٨٢/٢١
٢-	الشاعر الأسير	أبوفراس الحمداني	٥٨/٢٢
٣-	فخر وحكمة	دعبل الخزاعي	٦٤/٢٤
س)	**من تراث النثر:**		
١-	حزم وتدبير	ابن العميد	٥٩/٢٢
٢-	قصور همم الكتاب	ابن قتيبة	٦٥/٢٤
٣-	كذب بكذب	الجاحظ	٨٣/٢١
ع)	**من ثمرات المطابع**		
١-	حوار مع الدكتور أحمد هيكل	محمد عبدالشافي القوصي	٦٦/٢٤
٢-	حوار مع الدكتور عبدالعزيز حموده	كريم محمد	٦٨/٢١
٣-	المضمون الإصلاحي في الشعر الإسلامي الموريتاني.	د. عبدالله أحمد حمدي	٦٠/٢٢

غ) الورقة الأخيرة:

١-	إلغاء نون النسوة والنقد الأدبي النسائي	د. سعد أبوالرضا	١١٢/٢٢
٢-	التناص في رأى ابن خلدون	محمد طه حسين	١٠٠/٢٤
٣-	جدوى المؤتمرات	د. عبدالقدوس أبوصالح	١١٢/٢٣
٤-	هل للأدب الإسلامي شكل خاص؟	د. محمد بن سعد بن حسين	١١٢/٢١

٢ ـ فهرس الكُتَّاب

المجلد السادس ـ الأعداد (٢١ ـ ٢٤) ١٤١٩ ـ ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٨ ـ ١٩٩٩م

مسلسل	اسم الكاتب	العدد / الصفحة
١	آمال بنت أحمد باشماخ	٩٩/٢١
٢	أحمد الخراط	٤٠/٢١
٣	أحمد زاوي	١١٠/٢٢
٤	أحمد عبدالحفيظ شحاته	٩٧/٢٤
٥	أحمد فؤاد حسن	٣٢/٢٣
٦	أحمد محمود مبارك	١١١/٢٢ ـ ٩٧/٢٤
٧	أحمد المزاري	٥٠/٢٢
٨	أنور عدي	٩١/٢١
٩	بشرى حيدر	٥٤/٢٣
١٠	بكر موسى هوساوي	٨٤/٢٤
١١	التحرير	٢٢/٢١، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٧، ١٠٨ ـ ٩٢/٢٢، ٩٦، ٩٩، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٥، ١٠٧، ١٠٨ ـ ٨٨/٢٣، ١٠٢، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨ ـ ٣٨/٢٤، ٨٨، ٨٩، ٩٢، ٩٣، ٩٤
١٢	تسنيم محمد حرب	٨١/٢١
١٣	الجاحظ	٨٣/٢١
١٤	جلال سعيد الحفناوي	٧٢/٢٢
١٥	جمال بن فضل محمد الحوشبي	١١١/٢٢
١٦	جودت أبوبكر	٥٩/٢١
١٧	حسين علي محمد	٨٦/٢٢ ـ ٧٢/٢٤، ٨٠
١٨	حلمي محمد القاعود	٢٠/٢٣
١٩	حمداوي جميل	٧٨/٢٢
٢٠	حميدة قطب	٢٠/٢٢
٢١	حيدر الغدير	٥٩/٢٤
٢٢	حيدر قفة	٤٦/٢٤
٢٣	حيدر مصطفى	٤٨/٢٣

٢٤	خالد بيطار	٨٤/٢١
٢٥	خالد بن سعود الحليبي	٩٢/٢١
٢٦	ابن خفاجة	٨٢/٢١
٢٧	خليفة بن عربي	٥١/٢٣
٢٨	خليل أبوذياب	٤٤/٢١
٢٩	داوود معلا	٧٦/٢٢
٣٠	دعبل الخزاعي	٦٤/٢٤
٣١	راشد حسين سليم	٣٦/٢٣
٣٢	راضي صدوق	٤٥/٢٢
٣٣	رئيس التحرير	١/٢١، ١/٢٢، ١/٢٣، ١/٢٤
٣٤	رضوان بوزيدي	٩٦/٢٤
٣٥	زهراء الظفيري	٨٩/٢٢
٣٦	زهرة البرنادي	١١١/٢٣
٣٧	سامر محمد البارودي	٨٤/٢٢
٣٨	سحر حسن أشقر	٧٦/٢٤
٣٩	سعد أبوالرضا	٤/٢١، ١١٢/٢٢، ٥٦/٢٣، ٥٤/٢٤
٤٠	سعيد ساجد الكرواتي	٣٨/٢٣
٤١	سلام أحمد ادريسو	٥٢/٢١
٤٢	سليم عبدالقادر	٧٤/٢٤
٤٣	شمس الدين درمش	٨٣/٢٢
٤٤	صابر عبدالدايم	٤٨/٢٢
٤٥	عبدالباسط بدر	٤٦/٢٢، ٢٠/٢٤
٤٦	عبدالتواب يوسف	٨٧/٢١
٤٧	عبدالجواد الحمزاوي	٣٠/٢٣
٤٨	عبدالحميد إبراهيم	١٤/٢٢
٤٩	عبدالرحمن فرحانه	٤٦/٢٣
٥٠	عبدالعزيز محمد اليحيان	٩٨/٢٤
٥١	عبدالعظيم فوزي	٨٣/٢٤
٥٢	عبدالقدوس أبوصالح	١١٢/٢٣
٥٣	عبدالكريم المشهداني	٥٣/٢٤
٥٤	عبداللطيف أرناؤوط	٨٠/٢١
٥٥	عبدالله أحمد حمدي	٦٠/٢٢

٥٦	عبدالله الدوسري	٥٩/٢٣
٥٧	عبدالله المسعود	١٩/٢٢
٥٨	عبدالله معدي القحطاني	٨٢/٢٤
٥٩	عبدالله ناصر العويد	٧٠/٢٤
٦٠	عبدالمنعم عواد يوسف	٦٢/٢١
٦١	عبده زايد	٤/٢٤
٦٢	عبده محمد بدوي	٢١/٥٦، ٢٢/٢٥، ٢٤/٣٠
٦٣	عثمان الصالح	١١٠/٢٣
٦٤	عدنان النحوي	٢٦/٢٤
٦٥	علاءالدين حسن	٢٨/٢٣
٦٦	علي أحد باكثير	٢١/٧٤، ٢٤/٥٦
٦٧	علي بن جبريل	٨٤/٢٤
٦٨	علي الغريب	٢٤/٢٣
٦٩	علي فريد	٣٤/٢٣
٧٠	عمادالدين خليل	٢٢/٣٤، ٢٣/١٦
٧١	ابن العميد	٥٩/٢٢
٧٢	عودة الله القيسي	٥٦/٢١
٧٣	بن عيسى باطاهر	١١١/٢٢
٧٤	غازي طليمات	٤/٢٣
٧٥	غريب جمعة	٢١/٣٠، ٢٢/٢٦
٧٦	أبوفراس الحمداني	٥٨/٢٢
٧٧	فرج مجاهد عبدالوهاب	٧٣/٢٤
٧٨	ابن قتيبة	٦٥/٢٤
٧٩	كريم محمد	٦٨/٢١
٨٠	لطف الله خوجه	٨٦/٢١
٨١	متولي الشافعي	٦٠/٢١
٨٢	أم مجاهد	١٠١/٢١
٨٣	محمد أبوبكر حميد	٥٢/٢٢
٨٤	محمد أحمد فقيه	١١٠/٢٣
٨٥	محمد أمان صافي	٦٠/٢٤
٨٦	محمد أمين البساطي	٨٥/٢٤
٨٧	محمد التهامي	١٢/٢١، ١٤/٢٣

٨٨	محمد حجازي	٨٢/٢٢
٨٩	محمد حرب	٤٠/٢٢
٩٠	محمد الحسناوي	٥/٢٤
٩١	محمد رجب البيومي	١٤/٢١
٩٢	محمد رشدي عبيد	٣٦/٢١
٩٣	محمد بن سعد بن حسين	١١٢/٢١
٩٤	محمد سعيد سالم المعاري	٩٧/٢٤
٩٥	محمد سعيد المولوي	٧٨/٢١
٩٦	محمد شلال الحناحنة	٢٩/٢١
٩٧	محمد طه حسين	١١٠/٢٣ ، ١٠٠/٢٤
٩٨	محمد عبدالشافي القوصي	٦٠/٢٣ ، ٧٠ ـ ٦٦/٢٤
٩٩	محمد علي القرة داغي	١١٠/٢١
١٠٠	محمد علي وهبة	٥٢/٢٣
١٠١	محمد بن عمار	٩٦/٢٤
١٠٢	محمد الغمراوي	١١٠/٢٢
١٠٣	محمد فتحي حامد	٩٨/٢١
١٠٤	محمد ماجد خطاب	١٣/٢١
١٠٥	محمدين محمدين يوسف	٤٠/٢٣
١٠٦	محمود محمد بكار	١١١/٢٣
١٠٧	مصطفى أحمد النجار	١١٠/٢١
١٠٨	مصطفى السواحلي	٨٧/٢٢
١٠٩	منى الحجيلي	٥٠/٢١
١١٠	منجد مصطفى بهجت	٧٥/٢٤
١١١	ناصر الرشيد	٤/٢٢
١١٢	نافذة الحنبلي	٩١/٢٢
١١٣	نجيل سليم علي	٩٨/٢٤
١١٤	هشام القاضي	٩٠/٢٢
١١٥	وليد قصاب	٢٧/٢٣
١١٦	يوسف الغزو	٢٩/٢٤

قسيمة اشتراك

السيد / رئيس مكتب الرابطة في:
الرياض – القاهرة – عمان – المغرب.

أرجو تسجيل اشتراكنا في مجلة الأدب الإسلامي لمدة سنة واحدة، ومرفق طيه شيك باسم: رابطة الأدب الإسلامي العالمية – حساب المجلة بمبلغ:.....

.....

بيانات المشترك

الاسم:.....

الجنسية:.....

الوظيفة أو العمل:.....

العنوان:.....

هاتف المنزل:.....هاتف العمل.....

ملاحظات أخرى:.....

التوقيع

.....

قيمة الإشتراك السنوي: الأفراد: ما يعادل (١٥) دولاراً (البلاد العربية) و (٢٥) دولاراً خارج البلاد العربية

الهيئات والمؤسسات: ما يعادل (٣٠) دولاراً

يرسل الشيك بقيمة الاشتراك مسحوباً على شركة الراجحي المصرفية للاستثمار بالرياض

قسيمة اشتراك (هدية - تبرع)

السيد / رئيس مكتب الرابطة في:
الرياض – القاهرة – عمان – المغرب.

أرجو تسجيل اشتراكنا في مجلة الأدب الإسلامي لمدة سنة واحدة، يرسل هدية إلى:

الاسم:.....

العنوان :.....

ومرفق طيه شيك باسم: رابطة الأدب الإسلامي العالمية – حساب المجلة.

بمبلغ:.....

بيانات طالب الاشتراك

الاسم:.....

الجنسية:.....

الوظيفة أو العمل:.....

العنوان:.....

هاتف المنزل:.....هاتف العمل.....

عدد النسخ المطلوب الاشتراك فيها:.....

المبلغ المدفوع :.....

التوقيع

.....

قيمة الإشتراك السنوي: الأفراد: ما يعادل (١٥) دولاراً – **الهيئات والمؤسسات:** ما يعادل (٣٠) دولاراً

يرسل الشيك بقيمة الاشتراك مسحوباً على شركة الراجحي المصرفية للاستثمار بالرياض

أخـي القـارىء:

* قـراءتك للمجلــة تطلعك على مسيرة الأدب الإسلامي.
* اشتراكك في المجلـة دعم لـلأدب الإسـلامي ورابطته العالمية.

أخـي القـارىء:

* إهداء المجلة إلى صديق لك يجعله من أنصار الأدب الإسلامي.
* إهداء المجلـة إلى أحد المراكز الإسـلامية يتيح لعـدد كبير من القــراء أن يطلعـوا على الأدب الإسلامي ومسيرة رابطته العالمية.

منشـورات..

رابطة الأدب الإسلامي العالمية

١ ـ من الشعر الإسلامي الحديث ـ لشعراء الرابطة.
٢ ـ نظرات في الأدب ـ أبو الحسن الندوي.
٣ ـ رياحين الجنة «شعر في الطفولة والأطفال» عمر بهاء الدين الأميري.
٤ ـ دليل مكتبة الأدب الإسلامي في العصر الحديث ـ الجزء الأول، إعداد الدكتور عبدالباسط بدر.
٥ ـ النص الأدبي للأطفال «أهدافه ومصادره وسماته.. رؤية إسلامية» د. سعد أبو الرضا.
٦ ـ ديوان البوسنة والهرسك ـ مختارات من شعراء الرابطة.
٧ ـ ديوان «يا إلهي» محمد التهامي.
٩ ـ يوم الكرة الأرضية «مجموعة قصصية» للدكتور عودة الله القيسي.
١٠ ـ ديوان «مدائن الفجر» ـ الدكتور صابر عبدالدايم.
١١ ـ العائدة ـ سلام أحمد إدريسو «الرواية الفائزة بالجائزة الثانية في مسابقة الرواية».
١٢ ـ «محكمة الأبرياء» مسرحية شعرية ـ الدكتور غازي مختار طليمات.
١٣ ـ الواقعية الإسلامية في روايات نجيب الكيلاني ـ الدكتور حلمي القاعود.
١٤ ـ ديوان حديث عصري إلى أبي أيوب الأنصاري ـ د. جابر قميحة.
١٥ ـ في النقد التطبيقي ـ د. عماد الدين خليل.
١٦ ـ في ظلال الرضا ـ شعر أحمد محمود مبارك.
١٧ ـ لن أموت سدى "رواية" ـ جهاد الرجبي (الرواية الفائزة بالجائزة الأولى في مسابقة الرواية).

■■ سلسلة أدب الأطفال:

١ ـ غرد يا شبل الإسلام
محمود مفلح.
٢ ـ قصص من التاريخ الإسلامي
أبو الحسن الندوي.
٣ ـ تغريد البلابل
يحيى الحاج يحيى.
٤ ـ حكاية فيل مغرور
د. حسين علي محمد.
٥ ـ أشجار الشارع أخواتي «شعر للأطفال».. أحمد فضل شبلول
٦ ـ أشهر الرحلات إلى جزيرة العرب
فوزي خضر

■■ تحت الطبع:

١ ـ قصة يوسف فنياً ـ محمد رشدي عبيد.
٢ ـ المجموعة القصصية الفائزة في المسابقة الأدبية الأولى للرابطة.
٣ ـ باقة ياسمين (مجموعة قصصية للأطفال) مترجمة عن التركية
تأليف الأستاذ علي نار ـ ترجمة شمس الدين درمش.
٤ ـ معسكر الأرامل (رواية) مترجمة عن الأفغانية ـ ترجمة د. ماجدة مخلوف.
٥ ـ القضية الفلسطينية في الشعر الإسلامي المعاصر ـ حليمة بنت سويد الحمد.

■■ معتمدو توزيع مجلة الأدب الإسلامي:

http://www.saudidistribution.com.sa

- السعودية: جدة ـ الشركة السعودية للتوزيع هاتف ٦٥٣٠٩٠٩ ـ فاكس ٦٥٢١١٤٦
ـ الرياض ـ هاتف ٤٧٧٩٤٤٤ ـ فاكس ٤٧٧٩٠٣٠
ـ الدمام ـ هاتف ٨٤١٣٢٣٩ ـ فاكس ٨٤١٣١٤٨
- دار الحكمة ـ دبي ـ الإمارات العربية المتحدة هاتف ٦٦٥٣٩٤ ـ فاكس ٦٦٩٨٢٧ ص. ب: ٢٠٠٧
- الكويت: شركة درّة الكويت ـ هاتف ٢٤٢٨٢٥ ـ ٢٤٢٨٢٥٣
- البحرين: المنامة ـ مؤسسة الهلال ـ هاتف ٢٥١٠١٥ ـ ٢٦٢٢٦
- قطر: دار الثقافة للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع ـ هاتف ٤١٤١٨٢ ـ فاكس ٤٣٦٨٠٠
- مصر: القاهرة ـ جريدة الأهرام ـ هاتف ٥٧٨٦١٠٠ ـ ٥٧٨٦٢٠٠
- الأردن: عمان ـ دار البشير للنشر والتوزيع ـ تليفاكس ٤٦٥٩٨٩٣
- لبنان: بيروت ـ الشركة المتحدة للتوزيع ـ هاتف وفاكس ٨١٥١١٢ ـ ٦٠٣٢٤٣
البريد الإلكتروني Resalah@Cyberia.net.lb
- سورية: دمشق ـ الشركة المتحدة للتوزيع ـ هاتف ٢٢١٢٧٧٣ ـ ٢٢٢٦٤٤٣
- المغرب: الدار البيضاء ـ سوشبريس ـ هاتف ٤٠٤٠٣٢ ـ فاكس ٢٤٦٢٤٩

الطفل والبحر | نشيد المستقبل | نبع الحب | طائر النورس | أغلى هدية | سر الحياة

روحة النشيد (٦)

سر الحياة

كلمات صادقة
وألحان مؤثرة
يحبها الجميع

شريط كاسيت مع كتاب ملون
يضم كلمات الأناشيد

سنا للإنتاج والنشر والتوزيع
هاتف وفاكس ٦٥١٨٩٩٠ (٠٢) - ٦٥٧١٥٠٦ - ٦٥٧١٥٢٢
ص.ب: ٣٤٧٠٣ جدة: ٢١٤٧٨ المملكة العربية السعودية